
HUSSEIN H. AL-KARKHI
مجالس الأدب في بغداد
حسين حاتم الكرخي

مجالس الأدب في بغداد



مجالس الأدب في بغداد / أدب
حسين حاتم الكرخي / مؤلّف من العراق
الطبعة الاولى ، ٢٠٠٣



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ - ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس :٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@jonet.com
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي:
فؤاد سليمان وهبي / بيروت ، لبنان

لوحة الغلاف :
معالجة بالحاسوب / FM studio
التنفيذ الطباعيّ :
رشاد برس / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-053-7

حسين حاتم الكرخي

مجالس الأدب في بغداد



الإهداء

إلى أرواح الخالدين من شخوص هذا الكتاب،
عسى أن ينفع في تجديد ذكراهم.

إلى الذين تيسّر لهم حضور مجالس أدبائنا بالأمس،
عسى أن يحفزهم لتقديم المزيد من أخبارها
وطرائفها.

المؤلف

مُقدّمة

نواة هذه الفصول ترجع إلى عهد الصبا، حيث كنت أكثر من بقية الأحفاد قرباً من جدي المرحوم الكرخي، فقد كان ـ رحمه الله ـ يرتاح لي كثيراً، ربما لأنني أكثرهم طاعة وخدمة له، ومن ذلك ـ مثلاً ـ أنَّه غالباً ما كان يستدعيني في قيلولته، وهو نائم في (السرداب) صيفاً، ويطلب مني أن (أهفّي)(*) له بمهفة الخوص اليدوية طيلة الوقت الذي يقضيه في النوم، فإذا توقفت عن تعب، انتبه وصاح بي: (هفّي)!؟ وهكذا إلى أن يستيقظ.

وكم كان يطلب مني أن أنفخ في جمر غرشته (نارگيلته) عندما يخمد، وهو يردّد مبتسماً:

«نـرگـيـلـتـي يـم الـشـذر   يـا الـشـاذره كـلـيـبـي شـذر»[1]

«لانـذر ذبـايـح لـلـخِـضِـر   لـمـا تـجـي نـرگـيـلـتـي»

وأحياناً كان يأمرني بتلميع سيفه يوم خروجه على رأس المظاهرات الوطنية والقومية فأفعل، وكالمأخوذ كنت أسير وراءه مع الناس، من جانب الكرخ إلى شارع المظاهرات (الرشيد) وهو محمول على الأعناق.

بمرور السنين ازددت تقرّباً منه أكثر فأكثر واعتبرته مَثَلي الأعلى، لا لأنه جدِّي، بل لصفات الفرسان التي تميَّز بها من نخوة ورجولة وإقدام، وعطف على المظلومين والفقراء، والتي فرضت عليّ وعلى غيري، حبه واحترامه وأحياناً

---

(١) يَمْ: يا أم، كلمة الشذر الأول: حجر كريم، والثانية تعني التمزيق أو التفرق كقولهم: تفرقوا (شذر مذر).

(*) أهفّي: أروّح. المهفة: المروحة.

الخشية منه، فضلاً عن حبه المقدّس للوطن. كان يسكن هو وكافة أولاده وأسرهم ـ على عادة الناس قبل نصف قرن ـ في بيت واحد، يقع في محلة (باب السيف)، قريباً من مقهاه المفضلة (البيروتي)، ولعل من باب الغرابة والطرافة: أن باب هذا البيت كان يبقى مفتوحاً على مصراعيه آناء الليل وأطراف النهار، لأسباب منها:

كثرة عدد الساكنين فيه، وعودة بعضهم من أعمالهم في أوقات مختلفة من الليل بحكم اشتغالهم في جريدة والدهم ومطبعته، أمّا الخشية من اللصوص فلم تدر أساساً في خلد أي فرد من أفراد الأسرة، فما من لص مهما كان جريئاً يتمكن من دخول بيت، كل غرفة من غرفه تضم أكثر من خمسة أفراد بما مجموعه أكثر من خمسة وعشرين فرداً.

وإن أنسَ لا أنسى كيف أن عميدنا كان إذا دخل البيت ساد صمت رهيب، وأسرعت النساء إلى ارتداء عباءاتهن تهيباً واحتراماً. في هذا البيت تفتّحت عيناي على أول مجلس أدبي انعقد فيه، فقد أولم جدّي ـ مرّة ـ وليمة لزميله وصديقه بالروح نوري ثابت صاحب جريدة ـ حبزبوز ـ لتصفية جو تعكر بينهما، حضرها عدد من الصحفيين والأدباء وأصدقاء الطرفين، وكيف أنها أي الوليمة تحوّلت إلى مجلس أدب وشعر وفكاهة عزَّ نظيره.

بمرور السنين وبعد أن توسعت هذه الأُسر وازداد عدد أفرادها، ضاقت بهم جنبات هذا البيت[1]، وارتفعت احتجاجات جدي المشوبة بالسخرية والتذمر: (ما لي نوبة بالط. . . ما لي نوبة بالحمام)! فاضطر إلى استئجار البيوت الأربعة ـ بالإجارة الطويلة ـ والملاصقة لبيت المرحوم توفيق السويدي ـ القائم حالياً في شارع حيفا ـ وأسكنَ فيها أُسر أنجاله المتزوجين، أمّا هو فقد اتخذ له بيتاً مستقلاً يقع في الزقاق القريب من مبنى (التدريب الإذاعي)، والذي توفي فيه عام ١٩٤٦.

وقد جعل من أحد أجنحته إدارة لجريدته، ليكون وسطاً بين (دار الإذاعة) ومطبعته التي أنشأها في الأرض التي تقع عليها ـ دائرة الري ـ حالياً.

وكانت غرف الإدارة، وحديقة الدار منتدىً أدبياً، يلتقي فيه العديد من

---

(١) انظر الديوان ج٣ ص ٣٧٣ (أنا بمهجومي أشبه خنفسانه بصوف بالقولب أنا وأولادي محصورين).

الصحفيين والأدباء والأصحاب، حيث تدور مختلف المطارحات والأحاديث الطريفة والنوادر المستملحة.

وكنت وبقية الأحفاد والأقران لا نجرؤ على التقرّب من مجلسهم، فقد حاولنا مرة ولكننا جوبهنا بالطرد!؟

وبدافع من الفضول المشروع كنا نتقرفص تحت الشبابيك من الخارج شتاءً. أمّا في الصيف حيث ينعقد المجلس في الحديقة فقد كنا نختبئ خلف أشجارها ومزروعاتها الكثيفة لنستمع إلى ما كان يُروى أو يلقى. وكنت وقد سحرتني لطائف الحاضرين ومطارحاتهم أدونها كرؤوس أقلام في دفتري المدرسي.

وما زلت أتذكّر قصيدة طريفة لجدّي الراحل كان ابن أخيه المرحوم عبد الأمير الناهض يستظهرها على مسمع عمّه في طارمة الإدارة، وعمّه يفسر له معنى جملة، أو يصحح لفظ كلمة غريبة، أو يضيف أبياتاً سقطت من ذاكرة (الناهض)، وكانت القصيدة من الشعر المكشوف، في هجاء المغنية سليمة مراد أو (سليمة باشا) كما كانت تُلقّب آنذاك، بسبب موعد ضربته له ولحبزبوز في دارها وأخلفت، فغضب الكرخي وقال فيها قصيدته التي أوّلها:

توعد وتنكت، اسليمه   وتندعي ذاتك سليمه

أمّا لماذا خاطبها بصيغة المذكر فلذلك سبب نحجم عن ذكره هنا وفي هذه العجالة. وكلمة (اسليمه) بلهجة عوام العراق تعني الموت كقولهم (اسليمة التكرفك) وزاد من حنقه وغضبه عليها أنّها في ليلة ٢٧ رمضان (ليلة القدر) هيأت مستلزمات وليمة لكتلة سياسية تضم عدداً من المستهترين من ذوي الأسماء اللامعة آنذاك في بيتها تخلّلها الشراب والرقص والغناء، متحدّين بذلك الشعور الإسلامي، والتي فضحتها الصحف المحلية بوقته[1]، فهاجمهم الكرخي بقصيدة عنيفة منها:

عِمْلت (الكتله) وليمه   وكانت العُمْده (سليمه)

❀ ❀ ❀

كانت المطربه، بيهم   عُمْده، واتآمر عليهم
(بيره) يسگوها بأيديهم   وصَدِر گعدت بـ (العزيمه)

---

(١) انظر جريدة (حبزبوز) الصادرة بتاريخ ٢٧ حزيران ١٩٣٣.

ولا أطيل، فإنّني بدأت أتقرّب إلى جدّي شيئاً فشيئاً، ويوماً بعد يوم، وكان يلحظ عظيم اهتمامي به وبشعره فيرتاح لي كثيراً، ويجيبني عن أسئلتي واستفساراتي، وفي تلك اللقاءات أملى عليّ عدداً من قصائده القديمة التي نظمها إبان الحرب العالمية الأولى والتي تتناول ابتلاء العراقيين بـ (السفر بر) حيث ساقهم الأتراك عنوة إلى جبهات القتال وبخاصة جبهة روسيا، ومن هذه القصائد: ـ

صرت (مقلاجي) وافتر كُلّه من دَرْد (السفر بر)[1]

كما أملىٰ عليّ معلومات دقيقة ووافية عن نسبه وتاريخ حياته، ومجموعة نادرة من نوادره وبخاصة السياسية منها، فكانت النواة التي أشرت إليها في صدر المقدمة، والتي شجعتني فيما بعد على تقصّي ما كان يدور في المجالس الأدبية الأخرى فتجمعت لدي اضمامة طيبة نشرت عدداً من أزاهيرها في الصحف والمجلات البغدادية خلال الخمسينات، ثم أضفت إليها فصولاً أخرى، وجدت أنها تصلح لأن يضمها كتاب فولكلوري مستقل ـ وهو الذي بين أيديكم ـ أحسب أنه قد يغطي جانباً من أخبار مجالسنا الأدبية البغدادية، آملاً أن يحفز من لهم علم وإلمام أكثر مني لتقديم المزيد من أخبارهم، ومن الله التوفيق.

المؤلّف

(١) المقلاجي هنا بمعنى العاطل عن العمل والذي يقضي وقته بالتجوال، وبمكان آخر تعني (قاطع طرق) كقوله: ـ

بلحاظك سيوف اگطعت درب الناس (دگّاك الدرب) صايرلي مقلاجي



سفرة صحفية في الثلاثينات

يظهر من اليمين عبد الأمير الناهض ـ صاحب جريدة العندليب ـ وعادل عوني ـ صاحب جريدة (الحوادث) ومن اليسار نوري ثابت ـ صاحب جريدة حبزبوز ـ

(من أرشيف الناهض)

ما هي أشهر المجالس؟

أين كانت تنعقد؟

مَن هم أشهر روادها؟

إنَّ الكتابة عن مجالس الأدب، وما يجري فيها من مطارحات ومناظرات وملح أدبية، تعتبر تسجيلاً تاريخياً هاماً ينبغي أن يستأثر بعناية الكتّاب واهتمامهم، لأنَّ هذا التسجيل سوف يبقى حياً تتناقله الأجيال القادمة فتنهل منه العبرة والمتعة والفائدة. وقد فطن إلى ذلك مؤرخو السِيَر الأدبية في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً، فعقدوا الفصول الطوال، بل كتبوا المجلدات الضخمة عن مجالس الشعر والأدب، ولعل (الأغاني) لأبي فرج الأصبهاني خير سفر ضم كل طريف وملذ من أخبار أدباء العرب في مجالسهم ومناظراتهم ومنادماتهم الشيقة، وهذه مكتبات الغرب، فإنَّها تحفل بالأسفار القيمة والبحوث المستفيضة لمؤرخين أجلاء اختصت كلها بهذا الضرب من التسجيل الأدبي.

والظاهر أنَّ غالبية كتابنا ومؤرخي أدبنا لم يعنوا العناية الكافية بهذا المنحى الأدبي الهام، قدر عنايتهم بالنتاج الخاص بهم، وقد يعود هذا الإغضاء إلى أنهم، إمَّا أن يكونوا مفتقرين إلى مادة البحث، وإمَّا أنهم يعتبرون تسجيل أمثال هذه الأخبار في بحوث وتصانيف أمراً لا يتفق وروح العصر الذي يعج بالمذاهب والتيارات الأدبية المتصارعة، والتي لا مجال في ميادينها للمواضيع الكلاسيكية القديمة.

وعلى كل حال، فإنَّه في رأينا نقص ملحوظ نرجو أن يتنادى جمهرة الكتاب، وبخاصة مؤرخي الأدب في بلادنا إلى تلافيه، وإنني أجزم بأنهم سيوفقون إلى حد بعيد في هذا المضمار، فكلنا يعلم بأنَّه كانت لأدبائنا وشعرائنا

بالأمس مجالس عامرة انتظمت حلقاتها في البيوت والمقاهي وإدارات الصحف وغيرها، فكانت مقهى (سبع) المواجهة لباب وزارة الدفاع القديمة، ومقهى (عارف آغا) قرب جامع الحيدر خانة ومقهى (الزهاوي) في الميدان، ومقهى (وهب) في محلة البقجة، ومقهى (عزاوي) الشهيرة، ومقهى (المميز) ومقهى (البيروتي)[1] في جانب الكرخ، كلها منتديات أدبية عامرة تضم الفحول من رجال الشعر والأدب وحملة الأقلام، وعلى رأسهم الرصافي والمدرّس والزهاوي والكرخي والبناء ومصطفى علي ونوري ثابت (حبزبوز) وعبد القادر المميز (أبو حمد) ورفائيل بطي وشفيق سلمان وقاسم العلوي المحامي وغيرهم، كما أن الكثير من هواة الأدب الناشئين كانوا يهرعون إلى حلقاتها ليستمعوا ويستمتعوا بمطارحات شيوخها وطرائفهم الأدبية، وما يستجد من منظوماتهم وثمرات أقلامهم. فهذا يتلو قصيدة وذاك يروي نادرة والآخر يناقش موضوعاً وكأنّهم على منابر (المربد) أو في (سوق عكاظ). وكانت المجالس الأدبية تنعقد أيضاً في غير ما ذكرناه آنفاً وفي أيام معينة من الأسبوع، يحضرها الخاصة من أهل الشعر والأدب والسياسة والصحافة، وأشهر هذه المجالس، مجلس محمود صبحي الدفتري المشهور بـ (صالون الجمعة) الذي يلتئم في داره المطلة على دجلة بجانب الكرخ (محلة الشواكة) صباح الجمعة من كل أسبوع.

ومجلس شيخ الصحافيين رفائيل بطي الذي يلتئم في مقر إدارة جريدته (البلاد) مساء الأحد من كل أسبوع، ومجلس العلامة الأب انستاس ماري الكرملي الذي ينعقد في مكتبه بكنيسة الآباء الكرمليين، ومجلس (نادي القلم العراقي) الذي يتصدره العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي، ومجلس طه الراوي[*]، ومجالس آل

---

(١) مقهى البيروتي: كانت من أكبر مقاهي بغداد، على كتف الجسر العتيق (الشهداء حالياً)، يرتادها كبار التجار ورؤساء العشائر والوجوه والأعيان ورجال الدين والشعر والأدب، وكان الكرخي من روادها الدائمين. وخلال الاجتماعات التي شهدتها المقهى كانت تبحث القضايا العامة، وكم من وقفة سياسية قد اتخذت ضد سلطات ذلك العهد صدرت من رواد هذه المقهى التي لم يكن زوارها من الكرخيين وحدهم، بل إنَّ الكثير من أعلام (الرصافة) كانوا يتردّدون عليه يومياً فضلاً عن زوار بغداد من الألوية التي كانت تنطلق وسائل النقل إليها من جانب الكرخ. (من مقال للأستاذ عبد القادر البراك نُشر في (وعي العمال) عام ١٩٨٥).

(*) طه الراوي: هو طه صالح الفضيل، وُلِدَ في قرية (عنه) عام ١٨٩٠ ويرجح ولده (حارث) بأنّه من مواليد ١٨٨٦، وفي عام ١٩٠٥ جاء إلى بغداد لطلب العلم. وفي سنة ١٩١٠ =

الألوسي(*) في جانب الكرخ.

= انخرط في سلك كلية الإمام الأعظم، ثم تلقى العلم على يد الشيخ سعيد النقشبندي في جامع الفضل، وقرأ على علامة العراق محمود شكري الألوسي شروح ألفية ابن مالك. وفي عام ١٩١٧ التحق بدار المعلمين الابتدائية وبعد تخرّجه عُيِّنَ مديراً لمدرسة الكرم الابتدائية، وفي عام ١٩٢٦ عُيِّنَ مديراً للمطبوعات، ثم سكرتير مجلس الأعيان عام ١٩٢٨، وفي عام ١٩٣٣ عُيِّنَ عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. وفي عام ١٩٣٧ عُيِّنَ مديراً عاماً للمعارف، وفي عام ١٩٣٩ عُيِّنَ أستاذاً لتدريس الآداب العربية والتفسير في دار المعلمين العالية وفي عام ١٩٤٣ مثَّل العراق في مكتب التعاون الثقافي بين مصر والعراق كما مثَّل العراق في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري الذي أقامه المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٤٤، وكان عضواً فعّالاً في الجمعيات الاجتماعية كجمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الإسلامية والتفيض الأهلية وجمعية البر والرعاية الثقافية.

توفي رحمه الله في ٢١ تشرين الأول ١٩٤٦ م.

(انظر كتاب دراسات في الأدب العربي ـ طه الراوي ـ تأليف حارث طه الراوي المطبوع بمصر عام ١٩٦٥ من قبل وزارة الثقافة والإرشاد القومي).

(*) محمود شكري الألوسي: هو محمود شكري بن عبدالله بهاء الدين بن شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي. وُلِدَ في بغداد في ١٢ أيار ١٨٥٧ م وعكف على تحصيل العلوم منذ صباه، ودرس على أبيه، وحين توفي ومحمود في السابعة عشرة من عمره، كفله عمه نعمان خير الدين (١٨٣٦ ـ ١٨٩٩) وأشرف على تهذيبه وتدريسه.

انصرف محمود إلى التدريس والتأليف، فصار يدرّس الطلاب في داره وفي جامع الحيدرخانة وبعد ذلك في جامع السيد سلطان علي.

نال جائزة تقدير مشفوعة بوسام ذهبي من ملك السويد أوسكار الثاني عام ١٨٨٩ عن كتابه (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب).

أناط به والي بغداد سري باشا تحرير القسم العربي من جريدة (الزوراء) الرسمية.

حين قدم بغداد المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون سنة ١٩٠٧ لازم الألوسي وأفاد منه.

دعاه الوالي جمال باشا إلى عضوية مجلس إدارة ولاية بغداد سنة ١٩١١. عرض عليه الإنكليز بعد احتلالهم لبغداد منصب القضاء فرفضه بإباء وشمم على الرغم من حاجته وضيق يده.

ورفض بعد تأليف الحكومة العراقية كل المناصب التي عرضت عليه.

ولازمه في سنيه الأخيرة تلميذه محمد بهجة الأثري الذي حقق كتبه المخطوطة ونشرها بعد وفاته. انتخب الألوسي عضواً في المجمع العلمي العربي بالشام. وداهمته الأمراض في كبره فتوفي في بغداد في ٦ أيار ١٩٢٤ (نفس الشهر الذي وُلِدَ فيه) وندبه كافة شعراء وأدباء العراق ومنهم الكرخي. وضع الألوسي (٥٢) مؤلفاً من كتاب ورسالة رحمه الله.

(وللمزيد من المعلومات ارجع إلى كتاب أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث الصادر عن وزارة الإعلام عام ١٩٧١ ـ مير بصري).

ومجلس السيد ناجي سادن الأعظمية، وكان في الحجرة التي على يمين الداخل لجامع الإمام الأعظم من الباب المقابل لمحلة النصة، وكان يتردّد عليه الوزراء وشخصيات البلد والأدباء والشعراء، وزوار الإمام الأعظم أبي حنيفة، وكان في الأعظمية وحدها سبعة وعشرون مجلساً[1].

وقد أُتيح لي الوقوف على الكثير من أخبار هذه المجالس الأدبية العامرة، بعد جهود مضنية واستقصاء دقيق واتصال بعدد من محبي الأدب المخضرمين، حيث سجلتها في فصول تعتبر ولا شك حصيلة أدبية قيمة، لا أعتقد أن الأدب العراقي ومحبيه من أبناء هذا الجيل في غنى عنها.

---

(١) (الأعظمية والأعظميون) للدكتور هاشم الدباغ الصادر عام ١٩٨٤ ص ١٥٤. والدروبي أورد في كتابه (البغداديون، أخبارهم ومجالسهم)، الصادر عام ١٩٥٨ (٢٤٣) مجلساً في بغداد وحدها.

الرصافي وشخص يعبث بأنفه.
وصفه لأبي رزوقي.
كيف نظم (بداعة لا خلاعة)؟

في إحدى أمسيات شهر آذار ١٩٣٨ م كان المرحوم معروف الرصافي[١] والملا عبود الكرخي[٢] جالسين في مقهى (عارف آغا)، وقد لفت نظر الكرخي،

---

(١) معروف الرصافي: وُلِدَ في بغداد سنة ١٨٧٥ م وأكمل الدراسة الابتدائية والرشدية العسكرية فيها، درس العلوم العربية والشرعية على العلامة محمود شكري الألوسي وغيره، واشتغل بالتدريس بينما كان يحفظ الشعر ويعالج النظم ويتغنى بالحرية. سافر إلى (الآستانة) للاشتغال بالصحافة، فحرر في جريدة (سبيل الرشاد)، واشتغل بالتدريس، وانتخب مبعوثاً عن العراق في المجلس النيابي العثماني، وفي سنة ١٩٢١ م أسندت إليه وزارة المعارف العراقية نيابة رئاسة لجنة الترجمة والتعريب، فتفتيش اللغة العربية، فالتدريس في دار المعلمين العالية، وانتخب نائباً في المجلس النيابي العراقي عدة مرات، واشتغل بالصحافة في بغداد، فأصدر جريدة (الأمل)، ومن مؤلفاته: ثلاثة دواوين شعرية، ورواية الرؤيا، وكتاب دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة، وكتاب نفح الطيب في الخطابة والخطيب، وكتاب الأناشيد المدرسية، ومحاضرات في الأدب العربي، وكتاب الآلة والأدوات، ورسائل التعليقات، والشخصية المحمدية، ودفع المراق في الأمثال العامية لأهل العراق، وبحوث كثيرة غيرها. توفي عام ١٩٤٥ م.

(٢) الملا عبود الكرخي: وُلِدَ في بغداد سنة ١٨٦١ بدأ حياته في التجارة والتنقل بين البلدان العربية والشرقية مع قوافل التجار، تعاطى تجارة الجلود والحبوب بينما كان ولوعاً بالشعر العامي وهو في عنفوان شبابه، وبعد ذلك عهدت إليه مهمة تموين الحملة العسكرية الألمانية المتوجهة إلى روسيا أثناء الحرب العظمى الأولى بالأرزاق والخيول، ولأجل هذا سافر إلى (برلين) وتعلّم اللغة الألمانية ثم عاد إلى بغدا، وبعدها اشتغل بالزراعة =

وجود شخص في المقهى اتخذ من أنفه الشغل الشاغل، فكان يمد أصابعه في منخريه باحثاً منقباً! بصورة تبعث على التقزز والاشمئزاز، فمال الكرخي على جليسه الرصافي وقال له:

- أرأيت يا أستاذ أذم منظراً من هذا الشخص الجالس بإزائنا؟

فلما نظر إليه الرصافي، انفعل كثيراً وصرخ بالكرخي منشداً[1]:

لم أرَ في الناس أذم منظراً ... من رجل إصبعه في أنفه

يُخرج منه قذراً يرمي به ... من بعد ما يفركه بكفه

سيّان عندي وضع اصبع له ... في أنفه ووضعها في خلفه

❀ ❀ ❀

في ذات يوم من عام ١٩٣٣ م كان ثلاثة من شيوخ الشعر يجلسون في (مقهى الزهاوي) على تخت قريب من رصيف الشارع وهم الرصافي والزهاوي[2] والكرخي، وفي تلك الأثناء مرَّ من أمام المقهى شخص عظيم الجثة، منتفخ

= (١٩١٨ - ١٩٢٢)، وبعد ثورة العشرين المجيدة انتزعت سلطات الاحتلال الإنكليزية أراضيه الزراعية من يديه، بعدها اشتغل بالصحافة ونشر قصائده الشعبية في صحف العاصمة كالمفيد والاستقلال والهزل وغيرها، وفي عام ١٩٢٧ أصدر جريدة (الكرخ)، فأُغلقت بسبب جرأتها ونقدها لرجال الحكم، فأصدر (المزمار) فأُغلقت أيضاً، وأصدر (الملا) و(صدى التعاون) والكرخي و(صدى الكرخ) فأغلقوا للسبب نفسه، ثم عاد إلى إصدار جريدة (الكرخ) بعد انتهاء مدة غلقها، وفي عام ١٩٤٢ توقف عن إصدارها بسبب شيخوخته. صدرت له لحد الآن ثلاثة أجزاء من ديوانه الشعري، وهناك أجزاء أخرى في طريق الصدور، وله مجموعة طريفة من الشعر المكشوف تضم أكثر من ستين قصيدة، طُبعت مؤخراً في بيروت من قِبَل جماعة من الهواة المعجبين. توفي عام ١٩٤٦ م.

(١) الأبيات مثبتة في واحدة من دفاتر الجيب بخط يد الشاعر الكرخي تحت إشارة لهذه الحادثة بعينها.

(٢) جميل صدقي الزهاوي: وُلِدَ في بغداد سنة ١٨٦٣ م. من أبوين ينتميان إلى عائلة الزهاوي المشهورة. وهو شاعر وفيلسوف عراقي كبير، توفاه الله سنة ١٩٣٦ م، وقد فقدت البلاد به فيلسوفاً اجتماعياً محباً للإصلاح، خدم البلاد والعرب خدمة لا تنسى وجاهد في سبيل حقوق المرأة ولقي كثيراً من العنت والإرهاق، ووقف ضد السلطات العثمانية وجاهرها بالعداء فسُجِنَ ونُفِي عدة مرات وقد عُيِّنَ في عدة وظائف، منها تدريس الفلسفة الإسلامية في إحدى جامعات الآستانة، وعُيِّنَ عضواً في مجلس الأعيان العراقي، كما عُيِّنَ في أيام الحكم العثماني مندوباً عن العراق في مجلس المبعوثان بالآستانة، وله مؤلفات قيمة ودواوين كثيرة ورباعيات شعرية فلسفية.

الأوداج، يتصبب العرق من جبينه، يدعى (أبو رزوقي)[*]، وقد أثارت ضخامته هذه شاعرية الأستاذ الرصافي فارتجل لتوه الأبيات الطريفة الآتية:

لـو أتـيـنـا بـجـلـد دب كـبـيـر	ورقـعـنـا مـا فـيـه مـن خـروق
ثـم مـلأنـاه ريـحـاً وألـقـيـنـاه	فـجـأة فـي الـطـريـق
لـقـال الـنـاس مـن دون شـك:	هـذا هـو (أبـو رزوقـي)

❁ ❁ ❁

سُئل الرصافي مرة:

ـ قصيدتك (بداعة لا خلاعة) من أروع الشعر الوصفي الذي سمعناه، فهل لك يا أستاذ أن تسرد لنا قصة نظمها؟ فأجاب:

ـ نُمي إلى علم السلطان عبد الحميد بأنني لا أميل إلى النساء، فكلف الصدر الأعظم بأن يدعوني إلى قصر (يلدز) لحضور حفلة رقص شرقية، على أن يختار رئيس الخصيان أجمل گرجية من جواري السلطان، فلبيت الدعوة حيث أُقيمت الحفلة آنذاك في (قاعة المرايا)، وقد اتخذ السلطان عبد الحميد مكاناً خفياً له، يشرف منه على القاعة دون أن يراه أحد، فلما أديرت الكؤوس على الجلاس برزت تلك الگرجية الراقصة فأرتنا فنوناً غريبة من الرقص لم نألفها من قبل، وكان السلطان يراقبني من مكمنه باهتمام ليتحقق بنفسه من نوعية ميولي، ثم إنَّ جمال هذه الگرجية وتفننها في الرقص أثار عواطفي وحرّك مشاعري فنظمت في وصفها قصيدتي (بداعة لا خلاعة) التي منها:

مـثـلـت فـي دلالـهـا عـريـانـه	فـأرتـنـي مـحـاسـنـاً فـتـانـه
حـيـث طـارحـتـهـا الـغـرام بـبـيـت	بـالـمـرايـا قـد زوقـوا جـدرانـه
وتـجـلّـى خـيـالـهـا فـي الـمـرايـا	حـاكـيـاً عـن جـمـالـهـا أعـيـانـه
ذات وجـه كـأنـه بـدر تـم	وقـوام كـأنـه خـوط بـانـه

.... الخ.

وبعد اطلاع السلطان عبد الحميد على قصيدتي غيَّر رأيه فيّ، وقال لحاشيته:

ـ لقد ظلمتم هذا الشاعر العراقي فيما أشعتموه عنه، وأحمد الله أنني تأكّدت بنفسي من حقيقة ميوله العاطفية.

(*) أبو رزوقي: نعوم مغاگ.

والقصيدة رائعة جداً وهي تزيد على السبعين بيتاً تضمّنت الكثير من الأوصاف المكشوفة والعبارات الداعرة، ولم يسمح العرف والتقاليد بنشرها في ديوان الرصافي المطبوع، وأعتقد أنَّ أصدقاء الشاعر ومن بينهم السادة مصطفى علي وشفيق سلمان وتوفيق الشيخ أحمد الداود يحتفظون بنسخة كاملة منها .



كيف عاش الكاظمي في مصر؟
بداهات الزهاوي.
الرصافي عند لعبة (البليارد).
القبانجي ومَن كذب في منعاه.

في مقهى الزهاوي، كان حديث الجلاس من الأدباء والشعراء يدور حول انزواء الرصافي في مدينة (الفلوجة) بسبب ما عاناه من ضنك العيش ومرارة الجفاء والحرمان، فقال المرحوم عبد الأمير الناهض(١) صاحب جريدة (العندليب)، لجليسه المرحوم نوري ثابت(٢) صاحب جريدة (ا. حبزبوز):

---

(١) عبد الأمير الناهض: وُلِدَ في بغداد عام ١٩٠٩ م وهو ابن شقيق الشاعر الكرخي. كان كاتباً وشاعراً، تولى رئاسة تحرير جريدة (الكرخ) منذ عام ١٩٢٧ م حتى عام ١٩٣٥ م حيث أصدر جريدته (العندليب)، واستمر في إصدارها زهاء عامين أُصيب بعدها بمرض عضال أقعده عن العمل الصحفي حتى وافته المنية عام ١٩٥٤ م. له مؤلفات خطية عديدة في النثر والشعر منها (شموس الأدب) و(أعلام الأدب) ومجموعة شعرية بعنوان (بين الجد والهزل) وديوان شعري يضم حوالي الخمسة آلاف بيت من الشعر ومجموعة من الزجل العامي وتخاميس لأشهر قصائد شعراء العرب وعدة روايات وقصص اجتماعية لم تزل جميعها غير مطبوعة. ومن نتاجه المطبوع كراس في الأغاني والطقاطيق الشعبية العراقية بعنوان (أهازيج العندليب) صدر عام ١٩٣٠ م وكراس آخر بعنوان (مجرشة الناهض) وهي قصيدة نظمها على غرار مجرشة الكرخي الذائعة الصيت، صدرت عام ١٩٥٥ م، شرحها وقدَّم لها صاحب هذا الكتاب.

(٢) نوري ثابت: وُلِدَ سنة ١٨٩٧ م في مدينة السليمانية حيث كان والده مقدماً في الجيش العثماني، وأكمل دراسته الابتدائية في مدينة (الأحساء)، وهو يحمل شهادة تلك الدراسة ثم دخل مدرسة (الإعدادي الملكي) في بغداد وأكمل فيها الدراسة الرشدية، ومن ثم دخل =

ـ شتان بين معيشة الشعراء في مصر والعراق، فأين (كرمة ابن هانئ)[1] من بلدة (الفلوجة)؟ فأجابه نوري ثابت:

ـ ليس الرصافي هو الوحيد الذي تجاهله أبناء قومه، فالكاظمي[2] هجر بلاده أيضاً وقصد مصر، وهناك أناخ الفقر بكلكله عليه، وفَقَدَ كل ما كان يعول عليه في سد حاجاته المعاشية لدرجة أن الحاجة الملحة حرّكت هواجس وحيدته (رباب)، فأنستها كبرياءها، فوجهت إلى عمها خريدة باكية توقفه بها على ما هم

= مدرسة (الإعدادي العسكري) في بغداد، ومنها انتقل إلى المدرسة الحربية في الآستانة، وتخرّج منها ضابطاً في أوائل الحرب العظمى الأولى فذهب إلى حرب الدردنيل حيث اشترك فيها كضابط رشاش، وبعد انتهاء حرب الدردنيل ذهب مع فرقته إلى جبهة القفقاس حيث جُرح فرجع إلى الآستانة واستخدم في وزارة الحربية بوظيفة ضابط استخبارات حتى إعلان الهدنة، وبقي في الآستانة حتى نهاية عام ١٩٢٣، حيث عاد إلى بغداد واستخدم في وظائف مختلفة في وزارة المعارف كمفتش ومدير ثانوية ثم خيّرته الحكومة بين الوظيفة والعمل الصحفي فاختار الصحافة تاركاً الوظيفة فأصدر جريدة (ا. حبزبوز) نسبة وتصغيراً لاسم الفكه البغدادي القديم (أحمد حبزبز). وكان نوري ثابت كاتباً ساخراً له أسلوب ممتاز ونقدات لاذعة في الأدبين العربي والتركي. توفي عام ١٩٣٨ م ببغداد.

(١) كرمة ابن هاني: اسم مسكن شاعر مصر الكبير المرحوم أحمد شوقي في القاهرة، والمقصود بابن هانئ الشاعر العباسي المعروف بأبي نؤاس واسمه الكامل الحسن بن هانئ.

(٢) عبد المحسن الكاظمي: شاعر عراقي كبير، وُلِدَ في العراق ثم هاجر إلى مصر وبقي فيها حتى توفي عام ١٩٣٥ م وله ديوان مطبوع. نزح الكاظمي ـ كما يذكر الأستاذ عبد القادر البراك في كتابه (أعلام من الشرق) ـ عن بغداد بعد مطاردة المحتلين له، وبعد أن اضطر أهله إلى رمي جميع ما أنتجه من شعر ونثر في النهر خشية وقوع شاعرهم تحت طائلة السلطات وكانت وجهته الهند، ولكن مكوثه لم يطل في تلك البلاد إذ زين له بعض الأصدقاء السكنى في مصر فكان لهم ما أرادوا. قرَّبه العلامة المرحوم محمد عبده وأجرى عليه راتباً يأتيه في كل شهر دون أن يعرف الجهة التي تصرف عليه هذا الراتب، وأدناه المرحوم سعد زغلول فكان الشاعر الذي خلّد كل ما قام به سعد من أعمال وبلغ من بر سعد به أن اتخذ من نفسه أباً لـ (رباب) ـ ابنة الشاعر ـ التي تفجّرت شاعريتها يوم مات سعد فقالت:

أبي (سعد) ومثل أبي قليل ... وأمي (مصر) فهي به ثكول

ولقد بهر أكابر شعراء مصر ببديهيته المطاوعة وقدرته النادرة التي أصبحت مضرب المثل في الارتجال وأخيراً قررت أمانة العاصمة إقامة تمثال للشاعر الكاظمي بارتفاع أربعة أمتار يقام في مدخل الكاظمية أسوة بتماثيل الرصافي والزهاوي والكرخي التي ستقام أيضاً في ميادين متفرقة من العاصمة.

عليه من نكد العيش وفقدان القوت، ومنها:

عـــجّـــل بـــديـــنـــار يـــرن ... بـمـســمـع الـدهـر الأصـم
لا نـبـتـغـي فـيـه مـتـاع الـعـيـش ... مـــن أرزٍ ولـــحـــم
بـــل نـــبـــتـــغـــي خـــبـــزاً بـــه ... مـنـجـاتـنـا مـن بـطـش نـهـم
أنـــا نـــســـيـــنـــا طـــعـــمـــه ... فـعـسـاك تـذكـرنـا بـطـعـم

فلما سمع الجميع هذه الأبيات الباكية، ترقرقت الدموع في العيون، وأخذوا يدمدمون باللعنات على صروف الزمان وطوارق الحدثان.



في صباح أحد أيام كانون الثاني ١٩٣٣ م كان مجلس الزهاوي في مقهى أمين بالميدان يضم نخبة من الأدباء والصحفيين، ومن بينهم الكاتب الهزال نوري ثابت (حبزبوز)، فانبرى أحد الجالسين له وسأله عن أسباب تأخر صدور جريدته في يومها المعين فأجاب مترنماً:

- المطبعة مكسورة، وحبزبوز مستورة!

فردَّ عليه الأستاذ الزهاوي ببداهته المعروفة على الفور:

- المطبعة معمورة، وحبزبوز منصورة!

فضحك الجميع وأعجبوا بسرعة خاطر أستاذهم الزهاوي رحمه الله.

۞ ۞ ۞

كازينو المرحوم محمود الجبوري - أبو شاكر - كانت تقع على ضفة دجلة الشرقية بمكان (نادي ضباط صف الجيش العراقي) الحالي، وكان أبو شاكر من الأوائل الذين أدخلوا لعبة (البليارد) في محلاتهم، فقد كان العراقيون يسمعون عنها ولكنهم لم يشاهدوها بأعينهم، فلما نصبت المناضد في تلك الكازينو وشرع بعض الشبان يتمرنون عليها، هرع الناس إليها للتفرج والاستئناس، وكان شاعرنا الرصافي - رحمه الله - من بين المتفرجين، فلما رأى طريقة لعب أولئك الأغلمة الظراف ومهارتهم في الضرب والتسديد اندهش كثيراً، فصار يتردّد يومياً على تلك الكازينو وينعم بالنظر والاستمتاع، وفي ذات يوم اشتد به الإعجاب فأمسك بالقلم وشرع في حبك خيوط قصيدته المعنونة (عند لعبة البليارد) والتي ضمّها فيما بعد ديوانه المطبوع وهي: -

وفـي الألـعـاب لـم تـرَ قـط عـيـنـي ... كـمـثـل الـلـعـب بـالأكـر الـثـلاث

تجول بمستطيل الشكل عال ... لطيف صنعه، حسن الأثاث
فبيضاوان تندفعان جرياً ... إلى حمراء بادية اللهاث
ينال الضرب إحداها فتجري ... لضرب الآخرين بلا لباث
فتنبعث الثلاث مدحرجات ... وقد حصل اصطدام بانبعاث
يدحرجهن أغلمة ظراف ... نسيت بهم مغازلة الإناث
بأيديهم عصيّ مشرعات ... مهيأة لضرب واحتثاث
فكان إذا انحنى للضرب منهم ... غلام هاج شوقي وهو جاث؟!
وربة ضربة لما تثنى ... ليضربها تثنى بانخنات
وكانت توبة لي عن مجون ... فعادت من هواه إلى انتكاث
فلست وقد تجدّد لي غرام ... أبالي لوم ألسنة رثاث

❀ ❀ ❀

في عام ١٩٢٨ م كان المطرب العراقي الكبير الأستاذ محمد القبانجي[(١)] في سوريا، فاستغل بعض حساده فرصة وجوده خارج العراق فأشاعوا نعيه في حادث سيارة، وبعد رجوعه إلى بغداد زار صديقه الكرخي، في إدارة جريدته، فدار الحديث بينهما حول مَن كذب في منعاه، ومن طريف ما رواه القبانجي، أنَّه تسلّم رسالة من أحد معارفه في ناصرية العراق يقول فيها:

ـ «بلغنا أنك توفيت إلى رحمة الله، فإن كان ذلك صحيحاً، نرجو تبليغنا تلغرافياً لنقوم بواجب التعزية».

فكتب له القبانجي:

ـ «صحيح أنني توفيت، ولكن في المسألة خطأ وقع به عزرائيل، إذ كان المقصود بالموت هو أنت، ولذا فقد عدت إلى الحياة، والأمل أن يزوركم

---

(١) محمد القبانجي: مطرب العراق الأول، وُلِدَ عام ١٩٠٤ م، أحيا المقامات العراقية القديمة كالنهاوند والحجاز كار كردى والقطر والحجاز همايون الجمّال.

وأوجد مقاماً جديداً لم يكن معروفاً من قبل أسماه (اللامي). تتلمذ على يد المرحوم (قدوري العيشة)، وهو ينظم الشعر الشعبي الجيد، أعجب بغنائه طائفة كبيرة من أدباء العرب ومنهم أحمد شوقي وصالح جودت وأحمد رامي والملا عبود الكرخي وغيرهم. يحمل وسام الرافدين من الدرجة الثالثة ووسام الكومندور من الهيئة الدولية في فرنسا. توفي مساء الأحد ٢/٤/١٩٨٩ م.

عزرائيل قريباً ليأخذكم إلى الآخرة، فقد أعدَّ لكم منزلاً مناسباً في حارة الجحيم، فمع الخير والسلامة».

ومن طريف ما رواه القبانجي أيضاً، أن أحد الأشخاص واجهه بهذا الخصوص وقال له:

- «عجيب! ألا تزال حياً ترزق وقد تأكدنا جميعاً من خبر موتك؟»

فأجابه القبانجي على الفور:

- «إن من سوء الحظ أنني لا أزال حياً أرى من أمثالك الصقعاء أحياء يرزقون».





عبد الأمير الناهض، محمد القبانجي عام ١٩٢٧ م.
(من أرشيف المؤلّف)

شاعر الشباب والقمار.
هل يحسن الكرخي القراءة والكتابة؟
الزهاوي في حفلة (أُم كلثوم).
غادة الانتداب في رأي الرصافي.
من نوادر الدفتري في صالون الجمعة.
الملا شيلمان وقمر هندستان.
(العقرقي) والصوغة المعلوسة.
مصارعة بين الزهاوي ورضا توفيق.

في إحدى أمسيات آذار ١٩٣٥ م كان المرحوم عبد الأمير الناهض. صاحب جريدة (العندليب) جالساً في مقهى البلدية بالميدان، فتقدّم منه شخص زعم أنه شاعر الشباب، وطلب إليه نشر أبيات له في الجريدة يهجو بها القمار ومَن يلعبه، واقترح أن تنشر بمقدمة تحليلية ضافية، تبين مقام الشاعر المرموق في دولة الأدب العربي، وإلاَّ فإنَّه يضرب عن التفضل! على الجريدة بما تجود به قريحته الفيّاضة؟! وفي سبيل أن (يشلعه) الناهض من أمامه وعده خيراً وقال له: هل لك يا أستاذ الجيل أن تتكرّم علينا بخريدتك العصماء؟

أجل، استمع؟؟

القمار نار ولا تلعب مع الطفالا	ولا ترهن ملابسك وأنت نارا
ولا تقل لبو (الوار) اعطسني (قرانا)	وما بقى عندي شيئاً من الرهانا
يا أيُّها الكفار وقلوبكم صخارا	انتحروا واقتلوا النفس من القمارا

فلما انتهى صاحبنا من تلاوة هذا (الخريط المنجور) صفَّق له (الناهض) بالأقدام؟! وصرفه.

❀ ❀ ❀

من أطرف ما وقع للشاعر الكرخي في حياته أنَّه التقى بأحد وجهاء البلد في بيت المرحوم الحاج مظهر آل صكب شيخ مشايخ السعيد، ببغداد، فقال له ذلك الوجيه:

والله (ملا)، أنت على هالذكاء لو تداوم بالليلي وتتعلم القراءة والكتابة كان أصبحت (متنبي) زمانك!

فردَّ عليه الكرخي:

ـ هي شنو الكتابة، غير جيب مثله؟

ـ شلون؟ هسة آني راح أكتب لك فرد سطر أشوف تكدر تجيب مثله؟

ـ ياالله تفضّل؟!

فأخرج الوجيه قرطاساً وكتب فيه: «لازم تروح الليلي».

فأمعن الكرخي النظر في القرطاس وكتب العبارة نفسها بخط أجمل وأوضح من خط ذلك الوجيه! فاندهش صاحبنا كثيراً وقال للكرخي:

ـ ولله (ملا)، أنت على هالذكاء تتعلم بعشرة أيام.

ـ هاي شنو، إذا تريد أكتب لي بعد؟!

فكتب أخونا بالله هذه العبارة:

«حقيقة ذكاءك افراط»

فأخذ الملا الورقة وكتب تحتها:

«حقيقة بلحيتك ضرا...».

وعندئذ فطن حضرة الوجيه المحترم أنَّ الملا عبود الكرخي يحسن القراءة والكتابة... فتأمل؟!

❀ ❀ ❀

في عام ١٩٣٢ م تعاقدت إحدى الجهات الفنية في بغداد مع المطربة المصرية الشهيرة (أم كلثوم) لإحياء عدد من الحفلات الغنائية، وفي الحفلة

الأولى انبرى المرحوم الزهاوي فحياها بقصيدة مطولة في غاية الروعة، منها:

يا (أم كلثوم) إنّا أمة رزحت ... تحت المصائب أجيالاً فسلينا
حملتُ ما يعجز الفتيان محمله ... وما ابن عشرين صنو لابن سبعينا
إني دخلت (جحيمي) قبل آخرتي ... وذقت في العيش زقوماً وغسلينا
بلى جننا بلحن قد شدوت به ... وقبل ذلك ما كنا مجانينا
ماذا عليّ إذا آليت في كبري ... ألا أغازل إلاً الربرب العينا

وكان المكان غاصاً بالنساء والرجال من أهالي بغداد فلما وصل الزهاوي إلى قوله: ـ

يا (أم كلثوم) حيينا مغردة ... حيي الملائك منا والشياطينا

أشار عند كلمة (الملائك) إلى مقاصير النساء، وأشار عند كلمة (الشياطين) إلى شرفة الصحفيين، وبخاصة إلى صديقه نوري ثابت (حبزبوز)، وعندما انتهى من إلقاء قصيدته نزل من المنصة وتوجه تواً إلى شرفة الصحفيين حيث جلس إلى جنب (حبزبوز) فابتدره هذا بالسؤال:

أنا الشيطان يا أستاذ؟

فضحك شيخنا الزهاوي وأجابه بما عرف عنه من سرعة خاطر.

لا، ولكنني لو تركت صوت أم كلثوم للملائكة وحدهم لحرمت نفسي!! من هذه النعمة.

❁ ❁ ❁

عندما آثر الرصافي الانزواء في مدينة الفلوجة، زاره (حبزبوز) مرة وقال له: ـ يا أستاذ! لقد ألهمتك بغداد قصيدة (غادة الانتداب)[1]، فهل ستلهمك الفلوجة شيئاً من الشعر عن (غادة الاستقلال)؟

---

(١) من هذه القصيدة الشهيرة الأبيات التالية: ـ

دع مزعج اللوم، وخل العتاب ... واسمع إلى الأمر العجيب العجاب
في الكرخ من بغداد مرّت بنا ... يوماً فتاة من ذوات الحجاب
قال جليسي يوم مرّت بنا ... مَن هذه الغادة ذات الحجاب؟
قلت له تلك لأوطاننا ... حكومة جاد بها (الانتداب)
تحسبها حسناء من زيها ... وما سوى (جون بول) تحت الثياب
ظاهرها فيه لنا رحمة ... والويل في باطنها والعذاب

فأطرق الرصافي ملياً ثم رفع رأسه وأجاب: ـ لم يطرأ شيء على هذه الغادة، فقد كانت (متحجبة) في العهد الأول، إلاّ أنها أصبحت (سافرة) في العهد الجديد.

❁ ❁ ❁

اعتاد الأستاذ محمود صبحي الدفتري[١] أن يفتح بيته في أيام الجمع لأصدقائه من السياسيين ووجوه البلد، (وصالون الجمعة) كما يعلم روّاده لا يخلو من النكات واللطائف والأحاديث الأدبية الشيقة، ومنها النكتة الآتية التي رواها صديقه الكرخي:

كان لـ (نجلة) كريمة الأستاذ الدفتري زوج من الغزلان ـ ذكر وأنثى ـ هجم الذكر على الصالون، وأخذ يعبث بالأثاث ويزعج الضيوف، فطرده رب البيت، ولكنه عاند وأبىٰ أن يخرج، فاضطر الدفتري أن يخرجه بنفسه، وبعد برهة من الوقت رجع ضاحكاً وقد انخدشت يده اليسرى وهو يقول:

ـ لا يا ملعون الوالدين!؟ يظهر أن (النطح) حاجة ضرورية لمَن عندهم (قرون؟!) فضحك الجميع لهذه النكتة القارصة التي أوردها أستاذنا بالمناسبة.

❁ ❁ ❁

سأل المرحوم عبد القادر المميز[٢] صديقه الكرخي مرة:

ـ ما رأيك في بعض الصحفيين الذين يدعون زوراً وبهتاناً أنهم يشتغلون للصالح العام؟

فأجابه الكرخي: مثل هؤلاء يا أبا غازي مثل الملا سلمان الروزخون.

---

(١) محمود صبحي الدفتري: ينتمي إلى الأسرة الدفترية المعروفة، وقد أشغل كل من جده وجد أبيه رئاسة بلدية بغداد في أوقات مختلفة في العهد العثماني، وكان والده المرحوم فؤاد الدفتري محافظاً للعاصمة وعضواً في مجلس الأعيان. وقد أشغل محمود صبحي وظائف مختلفة، فكان مشاوراً حقوقياً لأمانة العاصمة، ونائباً في مجلس النواب، ثم عُيِّنَ أميناً للعاصمة عدة مرات، ويعد من المثقفين وذوي الاطلاع الواسع وبعد النظر، ومن الأدباء البارزين في اللغات الشرقية وكان أستاذاً في المدرسة السلطانية، وتتلمذ عليه خيرة الشباب المعروفين اليوم. وُلِدَ ببغداد سنة ١٨٨٩ م وتوفي يوم الجمعة ٧ كانون الأول ١٩٧٩ م.

(٢) عبد القادر المميز: كاتب هزال له نبذ لاذعة وشذرات لطيفة، أصدر جريدة (أبو أحمد) الهزلية في الثلاثينات، وهو ينتمي إلى أسرة المميز المعروفة في بغداد، توفي عام ١٩٥٤ م.

ـ وما هي قصة هذا الروزخون يا أبا نجم؟ فسحب الكرخي نَفَساً عميقاً من غرشته وقال:

اعتاد الملا سلمان الروزخون أن (يرد) إلى (اللطّامة) في مواكب العزاء الحسينية (السبايات) عند حلول شهر محرم الحرام في كل سنة، وكانت السبايات تقصد بيت (النواب) بجانب الكرخ يومياً، واتفق أن فجع (آل النواب) بوفاة عزيز لهم يدعى (موسى خان) رحمه الله، ولما كان الملا سلمان يعرف من أين تؤكل الكتف، فقد انتهز هذه المناسبة مستغلاً سذاجة (اللطامة) البسطاء فأخذ يرثي الفقيد موسى خان بأبيات كثيرة كان منها:

وينك يا (موسى خان)؟ يا شمعة الشبان[1]
يا قمر هندستان اعطف على (سلمان)
بـ (طاقه) شُغُل (كرمان)[2]

دگوا... دكوا يا نشامه

وقد استفزّت هذه المراثي عاطفة نجل الفقيد، فصاح على خادمه (منّور):

ـ ولك منور! أخذ (ملا شيلمان)!! والسباية إلى بيتنا الثاني حتى تسمع (البيبي)!!

فما كاد الكرخي ينتهي من سرد هذه الواقعة الطريفة حتى غصَّ جليسه (المميز) بالضحك وصاح:

ـ صدقت يا أستاذ، إنّها تنطبق كل الانطباق على مآرب بعض أصحاب الصحف عندنا.

❀ ❀ ❀

(العُقُرْقي)[3] صديق حميم للأستاذ عبد الرزاق الظاهر المحامي، أراد ذات يوم السفر إلى كركوك، وعند توديعه في محطة القطار أوصاه (الظاهر) بأن يجلب له (گيوة) من النوع الممتاز كصوغة، ثم إن (العقرقي) عاد من كركوك بعد أيام ولكنه نسي أن يجلب معه تلك الصوغة فآثر الاختفاء عن أنظار صديقه، وبعد

---

(١) وينك: أينك.

(٢) طاقة: قطعة قماش فاخرة.

(٣) للأستاذ الظاهر وصف رائع لمزاج (العقرقي) هذا في كتابه (عذارى بابل) ص ١٠٨، المطبوع في مصر عام ١٩٤٧ م.

فترة من الزمن التقى (الظـ ؟ بنجل صديقه (العقرقي) في الشارع فقال له:

ـ أرجوك سلم لي ـالدك، وقل له: وين الصوغة الوصّاك عليها فلان يعني قابل تريد (تعلسها)!

فكانت نكتة رائعة لـ كها الإبن إلاّ بعد أن واجه والده (العقرقي).

❁ ❁ ❁

ويحدثنا الأستاذ عبد القادر البراك[1] عن واحدة من النوادر الظريفة التي حصلت في (صالون الجمعة)، مجلس المرحوم الأستاذ محمود صبحي الدفتري فيقول:

وأذكر أن الفيلسوف التركي (رضا توفيق) الذي زار العراق في فترة من الوقت، قد أعرب عن استعداده للمصارعة مع بعض المصارعين في العراق، وكان ذلك في (صالون الجمعة) الذي كان يعقد في بيت المرحوم (محمود صبحي الدفتري) الذي قال له: (ليس في العراق من الفلاسفة مَن يصلح لمصارعتك إلاّ جميل صدقي الزهاوي)، فضج المجلس بالضحك لأنَّ الزهاوي ـ كما لا يخفى ـ كان مصاباً بالشلل.



---

(١) عبد القادر البراك: الأستاذ البراك غني عن التعريف، وحسبه أن شيخ الصحافة المرحوم رفائيل بطي قال عنه: (عرفته من سنين يهوى الأدب في البلد الأمي، ويحترف (التفكير) في بيئة التكالب على المادة، وإنَّه أديب يتدفق قلبه بالإحساس الرقيق، وينبض فؤاده بالغيرة الوطنية، وله نظر ينفذ إلى الأعماق.. إلخ). أصدر البراك عدة صحف منها: البلد، الأيام، الأمالي، مجلة البلد، الميثاق، كما أنه رأس تحرير عدد من الصحف منها مجلة المصور وغيرها، وهو ما يزال يصول ويجول في عالم الصحافة. له مؤلفات عديدة منها: أعلام من الشرق، مجموعة شعرية بعنوان (هكذا كان)، من ذكرياتي العابرة، من أمالي الأيام، صفحات مطوية من تاريخ الأدب العراقي، وغيرها. توفي إلى رحمة الله يوم الخميس ٥ كانون الثاني ١٩٩٥ م.



جانب من مجلس الشالچي في الستينات

من اليمين: القاضي مصطفى الأنكورلي، المحامي عبود الشالچي، المصوّر ارشاك، التاجر عبد الصاحب جعفر، حاتم عبود الكرخي (موظف)، كامل الشالچي (محام).

(من أرشيف المؤلّف)

كيف عاش الرصافي في الفلوجة؟
قصيدة (البناء) في أوشال الزهاوي.
هل نظم فهمي المدرّس الشعر؟

حينما كان المرحوم الرصافي منزوياً في بلدة الفلوجة درج صديقه المرحوم الكرخي على زيارته بين فترة وأخرى للاطمئنان على صحته وتفقّد أحواله، وفي ذات مرة اجتمع به هناك وشرعا يتجاذبان شتى الأحاديث العامة والخاصة كالعادة ومن ذلك الحديث الآتي:

- هل أنت مرتاح من سكناك في هذه البلدة الصغيرة؟

- أجل يا كرخي كل الراحة.

- وهل تكفيك مواردك التقاعدية لسد حاجاتك المعاشية؟

- إنني الآن أتناول اثني عشر ديناراً كتقاعد، على أن هناك طلباً عليّ تحسم الدائرة من أجله ثلاثة دنانير شهرياً فيبقى لدي تسعة دنانير، وبعد بضعة شهور سينتهي هذا الحسم.

- أهالي العاصمة استاؤوا كثيراً لمبارحتك بغداد من جهة، واستروا من جهة أخرى لأنَّهم يأملون أن تغذي الشعر بروائع جديدة يوحيها لك انفرادك وعزلتك.

- لقد صممت الآن على ترك النظم، وأخذت أُطالع بعض الكتب العلمية وأدرسها دراسة دقيقة، وقد أؤلف شيئاً من الكتب في المستقبل.

- أراك ترتدي الملابس الإفرنجية الشتائية، فهلا استبدلتها بصيفية؟

- أوعزت إلى أحد الخياطين ليخيط لي دشداشة وجاكيت، واشتريت كوفية

وعقالاً وسأرتدي ملابسي الجديدة متى تمّت وهي ألبسة شعبية بحتة سأستغني بها عن كل ملابسي.

ثم إن الكرخي أبلغه عواطف الأصدقاء والأدباء ثم ودعه وقفل راجعاً إلى بغداد وهو يلعن الظروف المعاكسة التي بخست حق هذا الشاعر الكبير.

❀ ❀ ❀

في الماضي القريب كان الأدباء والشعراء، ورجال الصحافة يستقبلون نتاج الأفكار وثمرات الأقلام بكل حفاوة وتقدير، فيعقدون الحفلات التكريمية للمؤلِّفين، ويتزاورون في البيوت على سبيل التهنئة والتقدير وعند صدور «أوشال» المرحوم الزهاوي في مايس ١٩٣٥ دعا المحامي الأستاذ حسين الظريفي نخبة من الأدباء والشعراء والأصدقاء إلى حديقة بيته في الأعظمية احتفالاً بصاحب «الأوشال»[*]، وفي الموعد المعين حضر الزهاوي كما حضر باقي المدعوين، فأديرت كؤوس «الدوندرمة» وأقداح المرطبات وكان الزهاوي وقتئذ يغمر الحاضرين بسيل من نكاته اللاذعة ولطائفه المرحة، بعدها نهض الشاعر الاستقلالي المرحوم عبد الرحمن البناء وأنشد قصيدة عصماء بالمناسبة مطلعها: ـ

ملأ المكان مهابة بوجوده   وقيامه في قصره وقعوده

ولما وصل إلى قوله: ـ

أ (جميل) لو نزلت بظفرك شوكة   شكّت من (البناء) حبل وريده
إن قام، قام ذوو الكمال وإن مشى   مشت الفطاحل تحت ظل بنوده

نهض الزهاوي من مكانه رافعاً يده بالشكر لصديقه البناء ولِمَن حضر الاحتفال من الأدباء والإخوان، بعدها عاد الزهاوي إلى إتحاف الحاضرين بنغمات من نوادره التي كان يبدع في روايتها غاية الإبداع.

ثم إنَّ الجميع رأوا أن يزوروا الكاتب العراقي الأشهر المرحوم الأستاذ فهمي المدرِّس[1] فقصدوا بيته ـ وكان قريباً من بيت الظريفي ـ وهناك طلب

(*) أُقيمت الحفلة بتاريخ ١٠ مايس ١٩٣٥، (العندليب) العدد ١٦ الصادر بتاريخ ٢٥ مايس ١٩٣٥ م.

(١) محمد فهمي المدرِّس: ابن القاضي الشرعي الشيخ عبد الرحمن بن سليم بن محمد بن أحمد بن الشيخ سليمان الخزرجي الشهير بالمدرِّس، وكان الشيخ سليمان قد قدم بغداد من الموصل واتخذها سكناً. =

الأستاذ المدرّس إعادة قصيدة «البناء» فأُعيدت، بعدها انفرط عقد المدعوين وهم يشكرون للداعي الأستاذ الظريفي أريحيته وحسن تقديره للأدب والأدباء.

❀ ❀ ❀

كان المرحوم فهمي المدرّس حاضر البديهة، حلو الفكاهة، في بعض الأيام غضب منه الزهاوي لأنَّه لم يحسن اختيار المقعد الملائم له حينما حضر لزيارة الملك فغمز قناة (المدرّس) قائلاً:

أنا لو كنت بليداً فاز في الأسهم سهمي
إنَّما أخّرني اليوم عن الأقران فهمي

فردَّ عليه (المدرّس) على الفور:

أنا لو كنت بليداً طاش في الأسهم سهمي
إنَّما قدّمني اليوم على الأقران فهمي

و(المدرّس) نظم عدة قصائد رائعة، منها قصيدة عصماء بلغ عدد أبياتها

= وُلِد في بغداد سنة ١٨٧٣ وقرأ مبادئ العلوم على والده، ثم عكف على الدرس على شيوخ عصره ومنهم محمود شكري الألوسي، وتلقى في الوقت نفسه دروساً في اللغتين التركية والفارسية حتى أتقنهما، ودرس بعد ذلك شيئاً من اللغة الفرنسية. ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى عُيِّنَ مترجماً في ولاية بغداد ومعاوناً لمدير مطبعة الولاية، ثم رفع مديراً للمطبعة ورئيساً لتحرير جريدة (الزوراء) الرسمية بقسميها التركي والعربي عام ١٩٠١، وعُهِدَ إليه أيضاً التدريس في المدرسة الملكية الإعدادية، وعضوية مجلس معارف ولاية بغداد ونظارة مدرسة الصنائع، وقد نقل مديراً لمطبعة الولاية في جزيرة رودس ببحر سفيد (البحر الأبيض المتوسط) عام ١٩٠٥ على أثر وشاية رفعت عنه إلى السلطان عبد الحميد الثاني، ولكن أُعيد إلى منصبه السابق في بغداد عام ١٩٠٦ م.

وفي أوائل أيار ١٩٠٨ سافر إلى الآستانة وعند وصوله قام الانقلاب العثماني، وعرفت الآستانة فضله فعيّنته أستاذاً لأصول الكتابة والإنشاء باللغتين العربية والتركية في كلية الإلهيات بجامعة دار الفنون. وأوفد عام ١٩١٣ لدراسة مشاكل التعليم في بيروت ودمشق. وفي عام ١٩١٩ استدعته الحكومة الفيصلية إلى دمشق، وعُيِّنَ عام ١٩٢١ كبيراً لأمناء الملك فيصل الأول وبعد سنة فُصِلَ من منصبه بطلب من المندوب السامي البريطاني، عُيِّنَ بعدها أميناً لجامعة آل البيت عام ١٩٢٤ حتى إغلاقها عام ١٩٣٠، وساهم في النشاط السياسي بمقالات خطيرة في جريدة (البلاد) فأُبعد إلى الشمال، وفي عام ١٩٣٥ عُيِّنَ مديراً عاماً للمعارف، وكان يجلس للناس في داره فيؤم مجلسه رجال السياسة والأدب وكان يعتز برأيه، صريحاً في القول، متدفق البيان، له مؤلفات عديدة وهو ينظم الشعر، توفي إلى رحمة الله في بغداد في ١٤/٨/١٩٤٤.

نحو من ١٢٠ بيتاً، رثى بها صديقه الأديب التركي محمد سامي سليمان المعروف باسم (سليمان نسيب) أولها: ـ

هو الموت لا يبقي من الناس باقيا   وما إن أرى حياً له الله واقيا
فذاك سليمان ونوح وآدم   وأحمد كلٌ جاءه الموت داعيا

وقد أرخ نصب جسر بغداد الذي أقامه الوالي نامق باشا الصغير في أيلول عام ١٩٠٢ بهذا البيت:

وبمعجم الألفاظ أرخ قائلاً   مروا عليه ذا صراط مستقيم

وإنه نظم قصيدة دالية من بحر الكامل في أكثر من سبعين بيتاً أعدَّها لتلقى في حفلة تخرّج الدفعة الأولى من طلبة جامعة آل البيت منها:

كل الشعوب تحرّرت من رقها   إلاَّ ابن يعرب لم يزل مستعبدا

لكن إلغاء الجامعة حال دون إلقائها فنشرت القصيدة في إحدى الصحف المحلية بتوقيع مستعار.



الزهاوي في تابين الملك فيصل الأول.
الرصافي والتدخين.
من نوادر المطرنين.
حبزبوز ولقب البناء.
الفرسان الثلاثة والعرق.

في المدرسة المقابلة لجامع (الحيدر خانة) أقيمت حفلة تأبينية بمناسبة وفاة الملك فيصل الأول، وقد دُعي أكثر شعراء وخطباء العراق لإظهار شعورهم بهذه المناسبة ولما كان الأستاذ الزهاوي منحرف الصحة أثناء استلامه الدعوة فلم يتمكن من نظم شيء بهذه المناسبة وعلى هذا الأساس لم يدخل اسمه في منهاج الحفلة. وفي اليوم المعيَّن حضر الأستاذ الزهاوي بعد أن تماثل نسبياً إلى الشفاء وجلس في الصف الأمامي بالقرب من منصة الخطابة، وكان بادي الضعف والهزال، فلما لمحه المرحوم (حبزبوز) قال لمَن حوله من الأصدقاء: أُراهنكم بأنَّ شيخنا الزهاوي سوف لا يصبر ولا يهدأ إذا لم يقل شيئاً في هذا المقام ولو أنه خارج المنهاج. ثم إن الزهاوي ظلَّ (يحوص ويفوص) أثناء تعاقب الشعراء والخطباء على منصة الخطابة، وبحركة سريعة أخرج من جيبه قلماً وقرطاساً وانهمك في الكتابة، ولما فرغ الجميع من إلقاء كلماتهم وقصائدهم انتصب الزهاوي على قدميه العاجزتين وتوجه سريعاً إلى المنصة، فألقى قصيدته العصماء التي أسالت الدموع وأثارت العواطف والتي كان مطلعها:

خطبت - تؤبنك - الدموع وبكت تشيعك الجموع

وفي تلك الأثناء التفت (حبزبوز) إلى صحبه وهمس في آذانهم:ـ ألم أقل

لكم بأنَّ هذا الرجل لا يطيق السكوت؟ وخصوصاً في المناسبات؟!

❀ ❀ ❀

المرحوم الرصافي لم يعتد التدخين، وإنَّه إنما يدخن فبحكم الصدف أحياناً، وفي ذات يوم زاره صديقه المرحوم الكرخي فوجده يدخن سكاير (البدر) فاندهش لذلك وسأل: ـ أستاذ! أراك تدخن سكاير (البدر) فلماذا اخترتها دون سواها؟ فأجابه الرصافي: ـ

أدخن (البدر) أبغي	به انشراحاً لصدري
فأجتني منه أنساً	يزيل وحشة دهري
وأجتلي في السدآدي	منه ليالي بدر
فلا سعال بصدري	ولا انتفاخ بمري
ما قلت هذا جزافاً	لكن بذوق وخبر

فلما سمعت الشركة التي تنتج هذه السكاير بهذه الأبيات تلاقفتها ونشرتها في الصحف المحلية على سبيل (الإعلان)!!

❀ ❀ ❀

قال المرحوم الكرخي محدثاً جلساءه عن نوادر المطرنين: ـ صادف أن ركبت عربة (الترامواي) راجعاً من الكاظمية إلى بغداد، وفي الطريق شرع الجابي يمر بالركاب واحداً بعد الآخر، فكان كل منهم يسلمه الأجرة وقدرها سبعة فلوس فأتى دوري وأخرجت الأجرة وسلّمتها إليه وأخذت تذكرتي، ثم انتقل الجابي إلى راكب آخر كان جالساً بالقرب مني ووقف أمامه، ولما شاهده هذا مدَّ يده في (عبّه) وأخرج كيس تتن النارگيلة وفتحه ثم أخرج منه (كف تتن) وسلّمه إلى الجابي قائلاً: ـ بالله شويه ندّيها.

فقال له الجابي: ـ دير بالك عمي انت وين گاعد؟ وحينذاك انتبه الراكب وقال: ـ أهو آني وين؟؟ العفو أغاتي عبالي گاعد بالگهوة.

❀ ❀ ❀

سئل الشاعر الاستقلالي المرحوم عبد الرحمن البناء مرة على سبيل المداعبة: ـ يا أستاذ؟ لماذا اخترت لقب (البناء) دون سواه؟ فأجاب: ـ

أنا (البناء) من غير افتخار	قضيت العمر في ماء وطين
بنيت لهم ورب البيت مجداً	على العيّوق من (قلم ونون)

فعلّق المرحوم (حبزبوز) على هذين البيتين ملاطفاً بذلك صديقه البناء: ـ

هذا دليل على أنك سلحفاة، لأنَّ السلحفاة هي التي تقضي العمر بين الماء والطين! أمَّا أن حضرتك بنيت لأبناء يعرب مجداً على العيوق من قلم ونون فإنَّك ادعيت سلاحاً ليس لك إذ إن (نون والقلم وما يسطرون) من كلام الله، والبناء لا يملك من السلاح إلاَّ الفأس والمالج! أمَّا المجد الذي بني ليعرب إنما بُني بحد السيف ولا يعرف التاريخ مجداً بُني بالفأس والمالج فضحك المرحوم (البناء) على هذا التعليق الظريف وقال لحبزبوز: ـ إنك يا حبزبوز تصلح ليس فقط للكتابة الهزلية بل للنقد أيضاً، فهذه المحاججة الأدبية رائعة ولا شك.

❁ ❁ ❁

من طريف ما يرويه الكاتب الجهنمي المعروف الأستاذ خالد الدرة القصة الآتية: ـ

صودف أن اجتمع ثلاثة من الأصدقاء في أحد الأقضية الشمالية النائية، وكان يصعب في ذلك القضاء الحصول على (العرق) بسهولة، لذا اتفق أولهم وهو المحامي الموصلي الأستاذ محيي الدين أبو الخطاب مع موكله أن يجهزه بنصف قنينة من (العرق المستكي) عند حضوره، وقد جلبها له بالفعل، وحين حلَّ موعد المحاكمة أودع القنينة لدى القائممقام الأستاذ فائق توفيق، وطرق المدينة ثالثهم وهو المرحوم الكرخي، وهناك ضاق ذرعاً عندما علم بصعوبة الحصول على (العرق)، وشكا لفائق لوعته فما كان من الأخير إلاَّ وأرشده إلى نصف القنينة المودعة لديه كأمانة، فاحتساها الملا قبل أن ينتهي المحامي أبو الخطاب من مرافعته أمام القضاء، وخشي الكرخي من العاقبة فانزوى في إحدى دور البلدة بعد أن عوض أبا الخطاب بهذا البيت الذي كتبه على ورقة وضعها بمكان القنينة: ـ

بـ (فائق) اللوذعي واسمه ... احلف ورسمه وجسمه
يا (أبا الخطاب) زحمه ... تودّع البزون شحمه

❁ ❁ ❁

خالد الدرة: كاتب كبير وصحفي معروف، أصدر مجلة (الوادي) في الخمسينات، وكانت لسان حال الزبانية.

عبد الرحمن البناء: الشاعر الاستقلالي المشهور وُلِدَ في بغداد سنة ١٣٠٢ هـ ونشأ عاملاً في البناء حتى صار من المعماريين المعدودين واشتغل في عدة

وظائف معمارية في العهدين التركي والعراقي وأولع بالشعر إلى جانب أعماله فنبغ فيه حتى وصل إلى درجة أن شعره كان محور الحركة الوطنية أيام الاحتلال.

اشتغل في الصحافة فأصدر جريدة (بغداد) وتوفي يوم الجمعة ٢٧ مايس ١٩٥٥ م.

فائق توفيق المحامي: كان من أعز أصدقاء الكرخي هو ووالده توفيق أفندي قائمقام قضاء المحمودية، منذ أن كان الشاعر يشتغل في الزراعة، وكانا يسكنان في بيتين متجاورين وانسجمت عائلتاهما بحيث أصبحتا وكأنهما عائلة واحدة وكل منهما أهل للأخرى.





الملا عبود الكرخي (بالسدارة الچبن). فائق توفيق المحامي.
(من أرشيف المؤلّف)

حديث ودي بين طاهر وتوفيق.

رأي الرصافي في تنصيب أحد المتنفذين.

كيف استقبل الرصافي فوز سعد زغلول؟

قانون تعدد الزوجات.

تخلص رائع.

في عام ١٩٣٤ تهاتر اثنان من أرباب الصحف في جريدتيهما بأسلوب غامض أشبه بالألغاز، وكان القرّاء لا يفطنون لهذه المهاترة إلاّ أنَّ صاحبي الجريدتين على علم تام بما يكتبه كل منهما، وقد أشغلت هذه المهاترة عدداً من الأصدقاء المقربين لهذين الصحفيين في نواديهم ومجالسهم الخاصة، وفي ذات يوم اجتمع المرحوم الكرخي بصديقه المرحوم عبد القادر المميز صاحب جريدة (أبو حمد) فدار الحديث بينهما حول هذا الموضوع، فقال الكرخي:

ـ مثل هذين الزميلين مثل «طاهر» و«توفيق»، فقال له «أبو أحمد»:

ـ وما خطبهما يا أبا نجم؟ فأخذ الكرخي يقص لصديقه أبي أحمد قصتهما قال: اتفق أن اجتمع شخصان في أحد مقاهي بغداد وكان الأول يدعى طاهر والثاني يدعى توفيق، وصادف أن كنت جالساً بالقرب منهما، فأخذا يتحدثان فاستنتجت من حديثهما أن كلاً منهما يحاول الإساءة إلى صاحبه بتعابير لا تخفى على النبيه، ومن ذلك أن توفيقاً قال لطاهر: ـ ما فينا طاهر. لعنة الله على طاهرنا!!

فأجابه طاهر: ـ صحيح والله لأن توفيقنا خـ. . . لعنة الله على توفيقنا!!
وهنا ضحك أبو أحمد لهذه الطريفة التي أوردها صديقه الكرخي بالمناسبة.

❀ ❀ ❀

وفي ذات مرة قال نوري ثابت (حبزبوز) للأستاذ الرصافي:

ـ لقد أصبح (يوسف غنيمة) في منصب مرموق فما رأيك يا أستاذي؟

ولده حارث وكنت تعرّفت عليه مساء ١/ ٥/ ٩٩ في الفاتحة المقامة على روح شقيقه خيري العمري في جمعية الشبان المسلمين وكان برفقة سالم الألوسي.

فعلق الرصافي على قوله حالاً:

ـ خـ. . . كلبٍ على الأيام والقُلَلِ.

❀ ❀ ❀

وفي إحدى الأمسيات كان جمع من الشعراء والأدباء في مقهى الحاج رشيد الشيخلي في الباب الشرقي، وكان الحديث يدور حول فوز حزب سعد زغلول بالأكثرية البرلمانية، وقد انبرى أحد الجلساء سائلاً الرصافي عن رأيه في هذا الفوز، فارتجل على الفور البيتين الآتيين مخاطباً بهما المرحوم سعد زغلول: ـ

إنَّ فـوز حـزبـك يـا (زغـلـول) لـلـمـجـلـس الآتـي
هـذا دلـيـلٌ سـوف لا يـبـقـي فـي (مـصـر) ولا آتـي

❀ ❀ ❀

في عام ١٩٣٣ اقترح أحد نواب المجلس العراقي على الحكومة تشريع قانون للزواج الإجباري وتعدّد الزوجات، وقد استأثر هذا الاقتراح باهتمام الصحف البغدادية آنذاك، كما أنه أصبح حديث الأندية والمجالس الأدبية في حينه. وفي مقهى (عارف آغا) بالميدان انعقد مجلس أدبي ضمَّ المرحومين عبد القادر المميز ونوري ثابت وعبد الأمير الناهض وغيرهم، وكان الحديث يدور حول هذا الموضوع، فسأل الناهض جليسه نوري: ـ ما رأيك في هذا القانـون يا أبا ثابت؟ فأجابه: ـ قيل لأعرابي مَن لم يتزوج لم يذق حلاوة العيش، فتزوج

هذا المسكين امرأتين ولما ذاق تلك الحلاوة!! المزغومة ندم فأنشأ يقول:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي — بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما (خروفاً) — أنعّم بين أكرم (نعجتين)
فصرت كنعجة تضحي وتمسي — تداول بين أخبث ذئبتين
وألقى في المعيشة كل ضرّ — كذاك الضر بين (الضرتين)
لهذي ليلة ولتلك أخرى — عتاب دائم في الليلتين

فرأيي يا ناهض في هذا القانون من رأي ذلك الأعرابي المسكين.



في مجلس آل الجوربچي عام ١٩٣١ م

الجالسون على الأرض من اليمين: فرج الله ويردي، الطفلة؟، عبد الرحمن الجوربچي.

الصف الثاني من اليمين: حسن چينكو (صحفي)، نوري ثابت (حبزبوز)، الكمنجاتي المصري سامي الشوّا، الملا عبود الكرخي، خالد الجوربچي.

الواقفون: من اليمين: طالب مشتاق، إسماعيل الجوربچي. ؟، عثمان نوري آل رئيس الكتاب.

(من أرشيف المؤلِّف)

الطفلة هي (سعاد) ابنة عبد الرزاق الأمير، وأمها (حياة) الجوربچي شقيقة إسماعيل وخالد والدكتور عبد الرحمن الجوربچي، توفيت أوائل أيلول ١٩٩١.

قال طالب مشتاق في كتاب (أوراق أيامي) الصادر ببيروت عام ١٩٦٨:

(هذه الصورة التذكارية أخذت في الدار العائدة إلى أُسرة الجوربچي، في محلة رأس القرية في بغداد بتاريخ ٢٩ ـ ٣٠/ ؟/ ١٩٣١ بمناسبة وليمة أقامها عميد الأسرة إسماعيل الجوربچي على شرف الفنان العربي، عازف الكمان الشهير حينذاك، سامي الشوّا، الذي كان في زيارة إلى العراق).

في مجلس ضم الكرخي وبعض الأصدقاء، كان (. . .) وهو أديب معروف هرم يقص على الجماعة بعض القصص والنوادر الأدبية والكل يستمعون إليه باهتمام، وفي تلك الأثناء خرج من تحته (صوت!!) فسأله الكرخي:

- هاي شسويت أبو فلان؟

- شنو المسألة؟ ما سويت شي!

- بلى مولانا شلون ما سويت شي؟! يعني قابل احنه طرشين؟

- هل شافت عينك أم سمعت أذنك؟

- نعم سمعت بأذني.

فما كان من حضرة الأديب اللبق إلاّ وقال:

- إذن لا تصدق كل ما تسمعه بأذنك، وأنصحك بأن ما تنظره بعينك هو الحق والصواب.

فكان هذا الجواب تخلصاً بارعاً أضحك الحاضرين مرتين!!



كيف نظم الرصافي (اليتيم في العيد)؟
الفكيكي بين الراوي والعاني.
القبانجي في ألحانه وإلحانه.
إلى جناب أخينا (يُمّه) المحترم.

سُئل المرحوم الرصافي مرة: ـ تحت أي تأثير نظمتم رائعتكم (اليتيم في العيد)؟

فأجاب:

ـ كان يوجد أمام جامع الحيدر خانة ببغداد دكان (تتنجي) لصديق يدعى محمد علي، وفي ليلة عيد الأضحى خرجت من داري وجلست في هذا الدكان، وبينما كنت أحدّث صاحب الدكان إذا بامرأة متحجبة يظهر من عباءتها أنها فقيرة الحال، وهي تحمل صحناً من (الجينكو)، تقدمت منا وطلبت صاحب الدكان (بالإشارة)، فنزل إليها وتكلّم معها همساً ثم انصرفت! فاسترعى هذا الأمر اهتمامي فسألت صديقي عن بغيتها فأعلمني بأنّها أرملة تعيل يتيمين وهما الآن جياع وهي تريد أن ترهن هذا الصحن بأربعة قروش لتشتري بها خبزاً لهما، فقفزت من مكاني ولحقت بها فسلمتها اثني عشر قرشاً كانت كل ما أملكه حينذاك، فأخذت القروش متردّدة ثم سلمتني الصحن وهي تقول: ـ الله يرضى عليك، تفضّل وخذ الصحن. فرفضته بطبيعة الحال وودعتها وقلبي ينفطر من الألم.

وفي تلك الليلة رجعت إلى بيتي ونظمت هذه القصيدة والدموع تنهمر على

وجهي، (فاليتيم في العيد) كتبت بدموعي لا بالمداد، لذا تراها تمثل الحقيقة المرة، تمثّل البشرية المعذبة.

❀ ❀ ❀

شاهد المرحوم الكرخي مرة صديقه الأستاذ الفكيكي[1] يسير في شارع الرشيد بين أطول شخصين في بغداد هما السيدان ثابت الراوي وعبد الكريم العاني[2]، فتقدّم من الفكيكي وقال له: ـ موقعك يا أستاذ بين أطول شخصين مما يلفت النظر، فهل لك أن تغيِّر ترتيبك بينهما؟ فأجابه الأستاذ الفكيكي بما عرف عنه من حضور البديهة: ـ يعجبني كثيراً يا أبا نجم أن أشكّل بين هذين الصديقين كلمة (لنا)، فأنا نقطة النون وهما اللام والألف فضحك الجميع لهذا الجواب الطريف وانصرف كل منهم لحال سبيله.

❀ ❀ ❀

في عام ١٩٣١ زار المطرب العراقي المعروف الأستاذ محمد القبانجي صديقه المرحوم نوري ثابت صاحب جريدة (حبزبوز) في إدارة جريدته على أثر ما كتبه الأخير عن فن الموسيقار سامي الشوّا[3]، فقال: ـ بإمكاني أن أسحر

---

(١) توفيق الفكيكي: هو توفيق بن علي بن ناصر بن محمد سعيد بن عبد الحسين بن عباس بن كريط الفكيكي، ينتهي نسبه إلى بني شيبان بن بكر بن وائل بن تغلب، عالِم باحث وكاتب ضليع ومصنف خبير.

واللقب جاء من جد الأُسرة الأعلى الذي كان يتوسط لفك رهائن الحرب والأسرى (انظر كتاب عبدالله الجبوري المطبوع عام ١٩٧١ ص ١٢). وُلِدَ في جانب الكرخ ببغداد سنة ١٩٠٣ م (١٣٢١ هـ) وأتم دروسه في المدرسة البارودية في العهد العثماني، ثم دخل المدرسة الرشدية الملكية حتى احتلال بغداد، ثم دخل دار المعلمين الابتدائية فمارس مهنة التعليم مدة ثم استقال ودخل كلية الحقوق وبعد تخرجه منها مارس مهنة المحاماة. من آثاره اثنا عشر كتاباً مطبوعاً وتسع مخطوطات. توفي إلى رحمة الله عام ١٩٦٩ م. اشتغل بالصحافة وله جولات جريئة فيها، وكان مديراً مسؤولاً لجريدة (الكرخ) فترة من الزمن وله صداقة متينة مع صاحبها الكرخي الذي داعبه بقصائد ظريفة.

(٢) ثابت الراوي وعبد الكريم العاني: من وجهاء الكرخ المعروفين وقد امتازا بالطول الفارع بعكس صديقهما الفكيكي.

(٣) كمنجاتي بارع وموسيقار مشهور، زار العراق في الثلاثينات والتقى كبار الشعراء والصحفيين كالرصافي والزهاوي ونوري ثابت والكرخي، وكان فنه موضع إعجابهم، وقد امتدحه الرصافي بقصيدة منشورة في ديوانه المطبوع واصفاً إيّاه بأمير الكمان سامي الشوّا.

الألباب بأوتار حنجرتي كما يسحرها (الشوّا) بأوتار كمنجته يا حبزبوز. ثم إنه أنشد بعض المقامات العراقية كالحسيني والطاهر والأوج وغيرها، ولكنه حينما أنشد بيت ابن الفارض: ـ

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها وفي الغرب مزكومٌ لعاد له الشم

قرأ كلمة (طيبها) بفتح الباء، فقال له حبزبوز: ـ لا! يا أستاذ. فرجع وقرأها بضم الباء، فقال له: ـ هم ما صارت.

فاغتاظ الأستاذ القبانجي وصرخ قائلاً: ـ بس شلون؟ مو قتلتوني!! فأرشده حبزبوز إلى صحتها، (فسلّم) وقال: ـ إي آني شمدريني (أنفاس طيبها) هل ثخن!؟ فكانت تورية جميلة ضحك لها الاثنان طويلاً.



في إدارة جريدة (أبو حمد) اجتمع عدد من رجال الصحافة على سبيل الزيارة، فوجه صاحب (أبو حمد) المرحوم عبد القادر المميز السؤال الآتي إلى صديقه المرحوم الكرخي: ـ

ما هو سر حملاتك على بعض النواب يا أبا نجم؟ فأجابه: ـ إسمع يا أبا غازي هذه القصة ففيها الجواب الشافي على سؤالك: هناك رجل يحسن مبادئ القراءة والكتابة، وفي ذات يوم كتب إليه أحد أصدقائه رسالة افتتحها بالتحية الآتية: (إلى جناب الأجل الأكرم الأفخم الأشيم أخينا فلان المحترم)، فراقت لصاحبنا هذه التحية وحفظها عن ظهر قلب ليفتتح بها رسائله إلى أصدقائه، واتفق أن سافر هذا الذات إلى خارج العراق، فكتب إلى والدته كتاباً استهله بقوله: (إلى جناب الأجل الأكرم الأفخم الأشيم أخينا (يمّه) المحترم)، ظناً منه بأن هذه التحية تصلح لكل من الذكور والإناث على حد سواء، ولذلك خاطب بها أمه، وكم كانت دهشتي عظيمة يا أبا غازي عندما سمعت بأنَّ هذا المنطيق أصبح نائباً في إحدى الدورات النيابية السابقة، فهل تلومني والحالة هذه إذا ما أشعلتها حرباً شعواء على هذا الصنف من النواب؟ فانخرط الجميع بالضحك وقالوا بصوت واحد: ـ الحق معك يا أبا نجم.

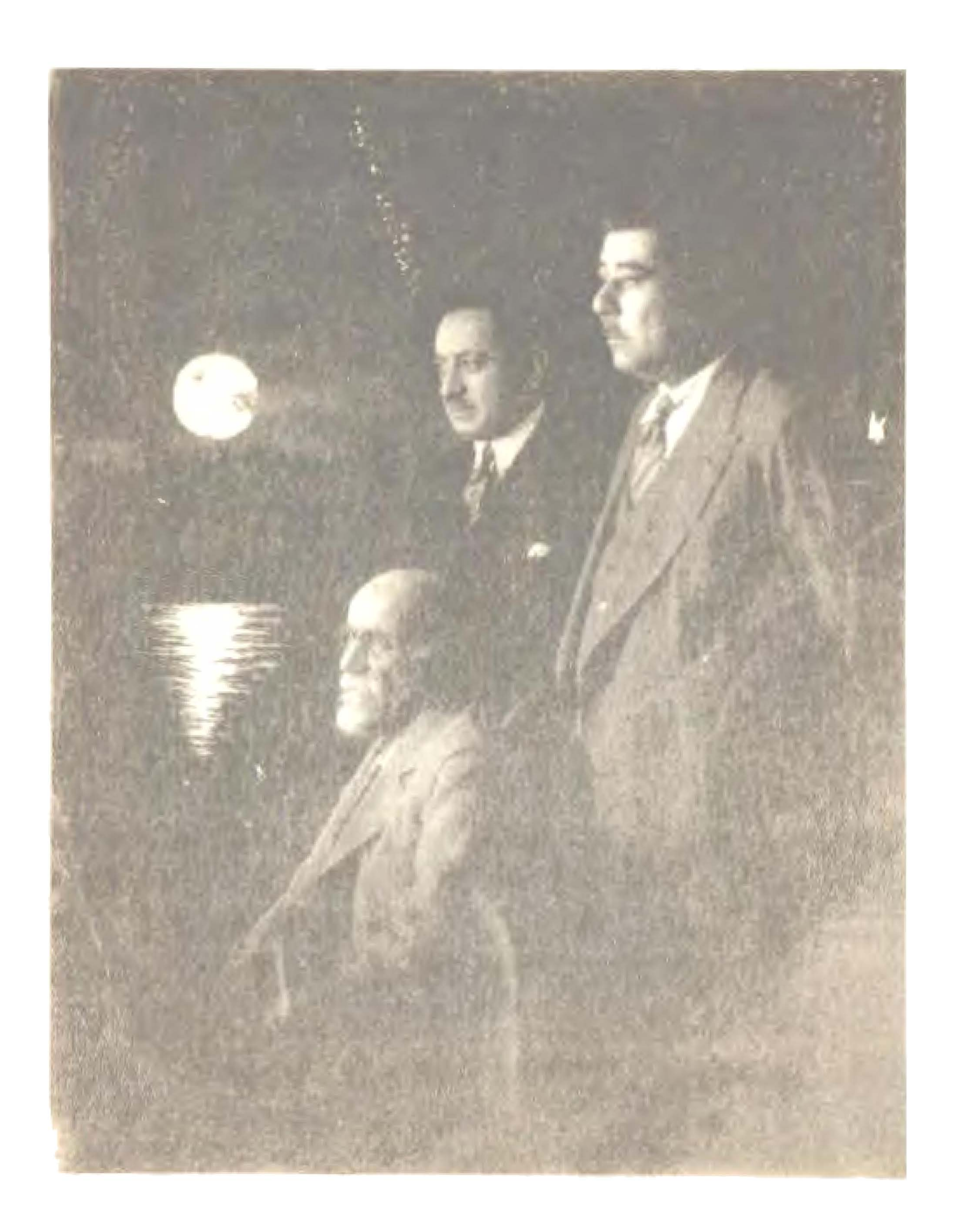




صورة نادرة

الرصافي، سامي الشوّا، الزهاوي عام ۱۹۳۱ م.

(من أرشيف الناهض)



صورة نادرة أخرى
الرصافي، الشوّا، الزهاوي

(من أرشيف الناهض)



توفيق الفكيكي المحامي (١٩٠٣ - ١٩٦٩ م)
(من أرشيف الفكيكي)

على بختك (نوري) هاي ما دبرناها.
كل مگلوبنه بالحچي.

راكب لو ماشي؟

أقام شاعر معروف دعوى جزائية على الشاعر الكرخي، بسبب قصيدة نُشرت في العدد ١٣١ من جريدة (الكرخ) الصادرة صباح الخميس ١٢ حزيران ١٩٣٠ مطلعها: ـ

(يندعي لفظه جواهر لوذعي، شاعر وناثر) وقد كانت مثار اهتمام وتندّر المجتمع البغدادي آنذاك، كما أنَّ الحديث عن طرافتها ما يزال يتردّد في صحف اليوم بالرغم من مرور ستة وخمسين عاماً عليها، فمجلة (ألف باء) الصادرة بتأريخ ٢٨ آذار ١٩٨٤ قالت عنها: ـ

حكاية صحفية

صحفيان وقصيدة شعبية!

* الصحفيان هما، الشاعر الشعبي الملا عبود الكرخي. والصحفي الساخر نوري ثابت صاحب جريدة «حبزبوز» وقد جمعتهما علاقة زمالة قديمة، إلاَّ أنهما ـ رحمهما الله ـ اختلفا فيما بعد، ولاختلافهما حكاية أخرى سنرويها ذات يوم.

وقد حدث أن خصَّ الكرخي جريدة حبزبوز بواحدة من قصائده الجارحة، وما أن صدر عدد الجريدة الذي نشرت فيه، حتى بادر الشخص المهجو في أبياتها بإقامة الدعوى على الشاعر والناشر وطالبهما بدفع تعويض له على أساس أنَّ ما جاء في القصيدة يعتبر قذفاً بحقه، وأنه يحط من مكانته بين عارفيه!

* وفي الليلة السابقة لصباح اليوم الذي تجري فيه المرافعة اجتمع نوري والكرخي حول مائدة مثقلة بما عليها من المحللات والمحرمات. وراحا يبحثان عن «تخريج» لكل بيت من أبيات القصيدة، وإيجاد المعنى المغاير لما فهمه المشتكي عليهما بداهة، إلاّ أنّهما تجاوزا أحد الأبيات أثناء انهماكهما بالتناول مما كان على مائدتهما، ثم انصرف كل منهما إلى بيته والتقيا صباحاً أمام القاضي الذي أُحيلت إليه شكوى المدعي عليهما.

* وعند مثولهما أمام القاضي نفيا الاتهامات بما هو ضدها، بيتاً بعد آخر حتى سألهما عن البيت الذي تجاوزاه سهواً، وهنا نظر كل منهما إلى وجه صاحبه بذهول ثم قال الكرخي:

ـ أبو ثابت، كيف غفلنا الليلة البارحة عن هذا البيت؟

وبصعوبة كتم القاضي ضحكة لا تليق بهيبة القضاء!

صادق الأزدي

والأستاذ عبد الكريم الدجيلي ذكر في كتاب صدر له عام ١٩٧٢ وصفاً مشابهاً لهذه المحاكمة وجريدة (الجمهورية) الصادرة بتاريخ ١٢/٢/١٩٧٢ تحدّثت عنها بهذه الصورة: ـ

شاعر وناشر وبيت شعر!

نشر الشاعر الشعبي الملا عبود الكرخي بعض قصائده الانتقادية في جريدة «حبزبوز» ربما وفاء لدين قديم، ذلك لأنَّ نوري ثابت صاحب «حبزبوز» كان ينشر مقالاته الساخرة في جريدة «الكرخ» تحت عنوان «نقدات خجه خان».. وقد حدث أن وجد أحد الأشخاص أنه المقصود في قصيدة للكرخي نشرها نوري فأقام الدعوى عليهما لأنَّ ما جاء في القصيدة يعتبر من قبيل القذف بحقه.

وقبيل يوم المرافعة اجتمع الشاعر والناشر مساءً وراحا يتدارسان أبيات

(*) والأستاذ أمين المميز ذكر في الصفحة ١٧٨ من كتابه (بغداد كما عرفتها) الصادر عام ١٩٨٤ وصفاً مشابهاً لهذه المحاكمة، ولكنه أورد اسم الحاكم (عبد الرحمن خضر)، والصحيح أنه (عبد العزيز الخياط)، أمّا عبد الرحمن الخضر فقد نظر في دعوى قطب الدين شاكر التي أقامها ضد الكرخي عن قصيدته التي أوّلها:

آه، أوف، شـــلـــون ربـــي   هـم رجـع يـسـتـعـفـي (قـطـبـي)

المنشورة في الجزء الثاني من ديوانه صفحة ٢٢٣.

القصيدة معاً لإيجاد «التخريجات» لها دفعاً للتهمة، وفي أثناء تبادل الرأي المصحوب برواية النوادر والمضحكات لم ينتبها إلى بيت من القصيدة مرّا به من غير إيجاد تفسير له يغاير ادعاء المشتكي!

وفي أثناء محاكمتهما أجابا عن كل سؤال وجّه إليهما بشأن المعنى المقصود من هذا البيت وذاك، إلى أن جاء دور البيت المنسي، وعندما سألهما الحاكم عن معناه وعن الشخص المعني به، فطنا معاً إلى ما وقعا فيه من خطأ في الليلة السابقة، وهنا التفت الكرخي إلى صاحبه وقال له:

- أبو ثابت هالبيت البارحة ما بحثته أمره... عجباً اشلون فلت من عدنه؟!

- الراوي العجوز -

و(ألف باء) أيضاً نشرت في ١٢ تشرين الأول ١٩٧٧ رواية المرحوم مصطفى علي لهذه المرافعة الضاحكة: -

«جرت محاكمة الملا عبود الكرخي وكان نوري ثابت واحداً من الحاضرين، فسأل الحاكم الملا عبود عن الغاية من نظمه هذه القصيدة فقال:

- هذه قصيدة نظمتها من العهد العثماني، وما إلها علاقة بالمشتكي.

فقال له الحاكم:

- طيب.. لقد ورد في القصيدة (روح إسأل وين أوتيل الجواهر؟) فهل كان في بغداد (أوتيل) بهذا الاسم في ذلك العهد؟

فلم يجب الملا عبود عن سؤال الحاكم بل التفت إلى نوري ثابت وقال له:

- (على بختك نوري... هاي فاتتنه).

فضجّت المحكمة والمستمعون بالضحك، واعتبر الحاكم قول الملا عبود هذا اعترافاً وإقراراً فحكمت عليه بالغرامة».

أمّا روايتنا لهذه المحاكمة، المستقاة من أوراق الكرخي نفسه المحفوظة لدينا، وقرار الحكم المرفق بها، فكالآتي: -

جرت المرافعة بتاريخ ٣١ تموز ١٩٣٠، وقبلها بليلة اجتمع المدعى عليه بزملاء له منهم المرحوم نوري ثابت (حبزبوز) لتهيئة الدفاع وإيجاد التخريجات لكل بيت من أبيات القصيدة. ويظهر أنه فاتهم بيت لم يجدوا له تخريجاً. وفي

المحكمة أعلن الحاكم المرحوم الأستاذ عبد العزيز الخياط(*) بدء المرافعة، ونبّه المستمعين إلى أن المحاكمة بين الكرخي والـ. . . وعليه فإنَّ كل مَن يضحك خلال المرافعة سيخرج من القاعة. وكانت جماعة الكرخي في الصف الأول من القاعة.

ثم بدأ الحاكم يناقش الكرخي عما ورد في قصيدته بيتاً بيتاً، والكرخي يدفع بما عنده من تخريجات، وكاد أن يتخلص من التهمة الموجهة إليه وهي القذف، إلاَّ أنَّ الحاكم كان ذكياً، فقد أحرجه بهذا السؤال: تقول في قصيدتك:

ويـــن خـــلـــيـــت الـــعـــــامـــه الـــوصـــخـــه يـــا زفـــر الـــجـــهـــامـــه

فمَن تقصد بهذا البيت؟!

فأجابه الكرخي: مولانا. . إنَّ الكثيرين كانوا يلبسون العمامة ومنهم أنت مثلاً وطه الراوي وشهاب الدين الكيلاني وشاكر غصيبة وأحمد جوجه (عم عبد الغني الراوي) فلماذا يعتقد المشتكي بأنَّه هو المقصود؟

فأجابه الحاكم: هذا صحيح! ولكنك تقول بأن المقصود هو أحد خدم (أوتيل الجواهري)، وهو مسيحي، فهل يلبس المسيحيون العمائم؟!

وهنا ارتبج الموقف على الكرخي واحتار في الإجابة، فالتفت إلى صاحبه (حبزبوز) وخاطبه بجرأة وسلامة نية:

«على بختك نوري. . هاي ما دبرناها»

فلما سمع الحاكم والحاضرون هذا الجواب الصريح الظريف انفجروا ضاحكين.

ثم إن الحاكم التفت إلى المشتكي وقال له: ـ

(*) عبد العزيز الخياط: وُلِدَ في بغداد سنة ١٨٩١ وأتمَّ دراسته في مدرسة الحقوق، فعُيِّنَ حاكماً للتحقيق في محكمة بداءة (حيفا) فـ (عكا) حتى الاحتلال البريطاني.
وقد عُيِّنَ على عهد الحكومة العربية في الشام حاكماً في (مأدبة) بشرق الأردن ـ سابقاً ـ فمعاوناً للمدعي العام في محكمة استئناف (حلب) فمدعياً عاماً لمحكمة بداءة (حلب) فمديراً لشرطتها.
عاد بعد ذلك إلى العراق فامتهن المحاماة ثم عُيِّنَ حاكماً في المحاكم المدنية العراقية، فتنقل في مراكز مختلفة حتى عُيِّنَ حاكماً أول للجزاء في بغداد.
وهو حائز على وسام الرافدين من الدرجة الخامسة ومن النوع المدني.

أنت جاي تشتكي على الكرخي، أبو قلب الأبيض؟!

ومع هذا خرج الكرخي من القاعة بغرامة قدرها (٣٠ روبية) اعتبرها حبزبوز أكثر من قيمة المشتكي، فقد صدرت جريدته في اليوم التالي وفيها صورة كاريكاتورية بريشة رسام الجريدة عبد الجبار محمود يظهر فيها ميزان في كفته الراجحة مبلغ الغرامة وفي الكفة الثانية المشتكي بهيئة قزم مذعور متشبث بحمائل الكفة. علماً بأن المشتكي كان قد طلب تعويضاً قدره (ألفا روبية).

❁ ❁ ❁

قابل الكرخي أحد نواب المجلس السابقين فسأله النائب أين كنت؟

فأجابه: «الزد شايط والگطع مجسور والناس عجه عوصه متدري بيا عثارة تحجر»، ويقصد الكرخي: «الشط زايد والجسر مگطوع والناس عصه عوجه، متدري بيا حجارة تعثر» وغاية الكرخي من ذلك أن الظروف المعكوسة هي التي جاءت بك إلى مجلس النواب[1].

❁ ❁ ❁

روى لي والدي هذه الطريفة الواقعية عن صديقه إسماعيل الجنابي والتي حصلت بحضوره قائلاً: ـ

أحمد الجنابي كان خارق الطول، وفوق ذلك يعتمر (عقال اللف) العالي، بحيث إنه إذا مشى بين الناس يكون كتفاه بمستوى رؤوسهم، وهو ابن عم الظريف البغدادي المعروف إسماعيل الجنابي.

وفي ذات صباح مرَّ (أحمد) من أمام (أوتيل الهلال) الواقع ـ سابقاً ـ في رأس القرية، فلفت طوله نظر ابن عمه إسماعيل الذي كان يسير معه في الاتجاه المعاكس، فحبكت عنده النكتة وقال له:

ـ ها!؟ أبو شهاب، راكب فرس، لو ماشي على رجلك؟ فـ (بلعها) وضحك، ضحكنا، وانصرف كل منا إلى حال سبيله.

❁ ❁ ❁

(١) مكتوبة في دفتر جيب الشاعر المؤرّخ ٢٨ حزيران ١٩٣٣.

صور من كلام البسطاء في المجالس الأدبية.

إعلان مضحك.

رأي الرصافي في شوقي.

من نوادر الحاج زاير النجفي.

(أبو الخطاب) ودنياه المقلوبة.

في مجلس ضمَّ عدداً من الأدباء والصحفيين كان الكرخي يتحدّث عن نوادر بعض السذج الذين لا يحسنون التعبير حتى في أبسط المجاملات، قال: - صادفني في البصرة شخص وقال لي: يا أستاذ حينما كنت تلقي قصيدتك في الراديو العراقي والتي منها:

شلون اسكت وأشوف الكان جوّايه   اليوم بادعاءه صار فوگايه

كان في المجلس الذي أستمع فيه لقصيدتك بعض الأذناب فصرخت بهم: «إسمعوا؟! هذا الكرخي دواكم، وما دواء العقرب غير (اليمني)!!...»

فلما انتهى الكرخي من سرد هذه النادرة، قال له أحد الجلساء: - هذه بسيطة جداً بالنسبة لما سأحدثكم عنه يا كرخي فاسمع؟: - كان أحد كبار الموظفين في عهد الحكم العثماني يحسن النحو والصرف وينظم الشعر الراقي، وله ديوان خاص يجتمع فيه رجال الفضل والعلم والأدب، وصادف ذات يوم أن حضر هذا الديوان موظف لا يحسن اللغة العربية جيداً، فأراد تبجيل صاحب الديوان فقال له: - حقيقة أنت أدبسز، تربية سز يا أفندي. فاغتاظ الأديب صاحب الديوان وقال له: - أجننت يا هذا؟ لماذا تتهجم عليّ بمثل هذه الألفاظ

النابية دونما سبب؟ فأجابه: ـ عفواً يا مولاي!؟ إن قولي لك (أدبسز) أعني به إنك توصلت إلى هذه الدرجة الرفيعة من الأدب مع أنك لم تدرس في المدارس، وأما قولي لك (تربية سز) فأعني به أنك قد ربيت نفسك بنفسك، والخلاصة فإنك كما يقول المثل الفارسي (خداي نابت) أي زرع ربه. فضحك الحاضرون لهذا التعليل الساذج، وعلّق عليه أحدهم بقوله: ـ يوجد بين ظهرانينا الكثير من أمثال هذا المتطفل وهم إذا ما حضروا مجلساً من المجالس نراهم يهرفون بما لا يعرفون.



في بواكير الحكم الوطني طلب أحد القائمقامين إلى رئيس بلديته أن يكتب إعلاناً على باب غرفة الرياسة يمنع فيه دخول الضيوف وجلوسهم في الغرفة باستثناء أعضاء المجلس البلدي، فكتب الرئيس ـ لافض فوه ـ هذا الإعلان الغريب وألصقه على الباب: ـ «يأمر سعادة القائمقام وأمره على العين والرأس بأنّه ممنوع خشوش الخطار وشرب الگهوة والغرشات والجگاير، بلاكت أعضاء البلدية إذا خشوا على العين والراس ماكوباس».

وفي اليوم الثاني قرأ أحد المراجعين (الشقندحية) هذا الإعلان المضحك فأخرج قلمه وأضاف إليه العبارة الآتية: ـ (گام الداس يا عباس).

❀ ❀ ❀

حدّثني صديق عن بداهات الرصافي قال: ـ سُئل شاعرنا مرة، مَنْ مِنَ الاثنين أشعر من صاحبه، أنت أم شوقي؟ فأجابه: ـ شوقي أشعر مني لأنّه مصري ويعيش في (كرمة ابن هاني)، فأما أنا فعراقي وأعيش في محلة (الصابونجية). ثم إنّه تنهد وقال: ـ أعطني (كرمته) أعطك مجداً وشعراً خالداً.

❀ ❀ ❀

المرحوم الحاج زاير النجفي شاعر عامي ينظم الموالات والبوذية والميمر وهو لا يقرأ ولا يكتب، وكان علاوة على ذلك سريع البديهة حاضر النكتة، وفي العهد العثماني اتفق أن اتهم بقضية جزائية أوقف بسببها ثمانية عشرة شهراً، ولما سيق إلى المحكمة ثبت لها إدانته فحكمت عليه بالسجن لمدة تسعة أشهر، وعندما انتهى الحاكم من تلاوة القرار، طلب الحاج زاير الكلام، فانتصب وخاطب الحاكم قائلاً: ـ

مولاي! أنا توقفت ثمانية عشر شهراً، حكمتوني تسعة أشهر فبقيت أطلبكم

تسعة أشهر. فأجاب الحاكم: ـ إي وهسة شتريد؟ فقال: ـ أريد تسجيل هذا الطلب عندكم، أخاف تصادف عليّ قضية ثانية وانحكم من أجلها تسعة أشهر فأنا والحالة هذه ما أدخل السجن، خل يصير عندكم معلوم؟ فضحك الحاكم من كلام الحاج زاير في مثل هذه الساعة الرهيبة، ولم يسجل دينه بالطبع.

❀ ❀ ❀

في بلدية الموصل موظف فاضل يحتفظ بنسخة من جريدة (الأديب) الموصلية، لصاحبها الأستاذ المحامي محيي الدين أبي الخطاب[١].

وهذا الموظف الفاضل يهدّد أبا الخطاب دائماً بهذه النسخة لأنها مطبوعة طبعاً مقلوباً بحيث إن عاليها أصبح سافلها، وسافلها أصبح عاليها! ولدى الرجوع إلى أبي الخطاب في هذا الباب علل المسألة بصورة فلسفية...! ومذهبه في ذلك أن الموظف الفاضل مخطئ في نظريته، ضعيف في تهديده، فإذا كان طبع الجريدة مقلوباً فإنَّ حياتنا كلها مقلوبة. ألا ترى أننا نصف الأعمى بالبصير، والأعور بكريم العين، والجاهل بالأستاذية، والأهوج بالشجاعة، والجبان بالمسكنة، والصقيع بأنّه من أهل الله.

ثم يذهب (أبو الخطاب) في فلسفته إلى القول بأنَّه إذا لم يساير الناس في القول والعمل على الطريقة المقلوبة فإنَّه لا يستطيع أن يعيش معهم ثم أضاف:

إيه أيتها الدنيا! انك لا تستقيمين إلاَّ بالطريقة المقلوبة!؟

❀ ❀ ❀

(١) محيي الدين أبو الخطاب المحامي: صحفي موصلي، أصدر جريدة (الأديب) وجريدة (الرقيب) ومجلة (صوت الأديب) وهو من الظرفاء المعروفين في الثلاثينات، وله أصدقاء كثيرون في بغداد خاصة، منهم الشاعر الكرخي، الذي داعبه بهذه القصيدة، وهنأه بمناسبة انتقاله إلى قصره الفخم الذي شيّده في منطقة (الدندان) بالموصل، مطلعها: ـ

بالموصل (أبو الخطاب) أديب ومنبع الآداب

تورية جنوبية.
أحد أصدقاء الشاعر وكروية الأرض.
مَنْ هم أشهر (العبادلة)؟

الزهاوي والشعر والمنجور؟!

السيد عبد الحسين جويعد من رجال العلم والأدب في بلدة «الحي» وكان فضلاً عن ذلك من هواة النكتة المتصفين بسماحة الخلق وسعة الصدر، وفي بيته كان يجتمع يومياً الكثير من أهل الفضل والأدب والأصدقاء يتطارحون الشعر ويتحدثون في علوم المنطق والكلام وفي ذات يوم توافد الأصدقاء إلى بيته بينما كان هو متأخراً في السوق لقضاء بعض حاجاته، فلما عاد وجد مجلسه مزدحماً كالعادة عدا جليسه الظريف الشيخ مهدي، فقد كان آنذاك يقضي حاجة ملحة له في «دورة المياه»، فهتف السيد عبد الحسين جويعد مستفسراً عنه:

ـ أين الشيخ مهدي؟

فلما سمعه هذا حبكت عنده النكتة فأجابه من مكانه:

ـ مولاي جويعد!! بالأد. . .

فكانت تورية رائعة ضحك لها الجميع طويلاً كما ضحك السيد عبد الحسين جويعد نفسه.

❁ ❁ ❁

في أحد مقاهي بغداد احتدم النقاش مرة بين المرحوم الكرخي وصديق له لا يؤمن بكروية الأرض، فكان الكرخي كلما حاول إقناع هذا الصديق بهذه

الحقيقة، كان يشتد عناداً وتصلباً في رأيه، حتى أنه كان بين الحين والحين يقاطع الكرخي قائلاً:

- متروح تشتري بعقلك تمر أشرسي، مولانه الأرض لو مثل البرتقالة چان وگعنا على روح أبوها الكافر «ماجلان».

وفي تلك الأثناء مرَّ من أمام المقهى أحد الأعراب «المكارية» وهو يصرخ بأعلى صوته:

- وين ابن الحلال؟ چسّاب الأجر والثواب؟ وين اللگه زمال حساوي والحلاوة «مجيدي»؟؟

فما كان من الكرخي إلاَّ وناداه قائلاً:

- تعال دلال! جيب المجيدي، واخذ زمالك؟! (وأشار إلى جليسه).

⊛ ⊛ ⊛

في إدارة جريدة (حبزبوز) سُئل المرحوم نوري ثابت مرة:

- مَن هم أشهر (العبادلة) في تاريخ العرب؟

فأجاب:

- نحن نعرف من الأحياء ثلاثة: الملا عبود الكرخي، والمليونير المصري عبود باشا و(عبود اجه من النجف شايل مكنزيه)[١].

⊛ ⊛ ⊛

أتحفني بهذه النادرة الصديق الظريف محمد فائق العاني، نقلاً عن عمه الأستاذ شاكر علي[٢]: -

---

(١) هذه (بستة غنائية قديمة وزنها سنگين سماعي وتغنى بعد مقامي الحليلاوي والباجلان، وأولها:

عـبـود اجـه مـن الـنـجـف	شـايـل (مـكـنـزيـه)
واشـلـون گـلـبـك صـبـر	لـمـن مـشـوا بـيـه
عـيـنـي، عـيـنـي، يـا عـبـود	ولـيـش مـا اتـعـلـمـنـه دگ الـعـود

(٢) شاكر علي العاني: كان مدرِّساً في ثانوية الكرخ، يهوى الأدب ويحضر مجالسه، وينظم الشعر الإخواني بالفصحى والعامية، ولا ينشره، وأفخر أنني كنت طالباً في الأربعينات بنفس المدرسة وانتفعت كثيراً من طريقة تدريسه وظرافة شخصيته، بحيث كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه، أمدَّ الله في عمره. (توفي إلى رحمة الله بعد الانتهاء من طبع هذه الملزمة، صباح يوم ١٩/٢/١٩٨٧).

في مجلس أدبي ضمَّ العديد من أعلام الشعر والأدب والصحافة، في مقهى الزهاوي، منهم الرصافي والزهاوي والكرخي وشاكر العاني، تقدَّم أحد (الأفندية) بمنظومة سخيفة من الكلام (المصفط المنجور)، وطلب رأي الحاضرين فيها فسمحوا له بإلقائها، وبعد أن فرغ منها انفجر الجميع من الضحك لسخافة ما ورد فيها. وزيادة في السخرية، سأل الكرخي هذا الأفندي المتشاعر!؟

- صحيح، هذه القصيدة العصماء مالتك؟ أخاف مال غيرك؟

فأجابه الأفندي:

- لا، والله، هاي مالتي، وطالعه من بطني!!

فحبكت النكتة عند الزهاوي وصرخ بالكرخي:

- (جانم)[1]! صحيح هاي القصيدة مالته، وطالعه من بطنه، بدليل (ريحتها) فعلت القهقهات ثانيةً أما (الأفندي) فقد خرج من المقهى مسرعاً، على أن لا يعود إليها.



(١) جانم، كلمة فارسية بمعنى (روحي) وغالباً ما كان المرحوم الزهاوي يستعملها.

الشعر في مجلس (السوز).

كلابنا وكلابهم.

وساطة (آل صكب) بين الشعراء.

المرحوم السيد أحمد السوز يجمع بين ميله للأدب وحبه للنكتة، وقد اجتمع به مرة صديقه المرحوم الحاج محمد حسن موسى الخطاب فدار الحديث بينهما حول الشعر والشعراء في العراق ومن ذلك أن الحاج قال للسوز: ـ

إنَّ الشعراء الأحياء عيال على أسلافهم، بدليل أنهم لا يزالون يردّدون معانيهم ويكرّرون أقوالهم ولكن بأسلوب فج وتعابير ركيكة، فأين شعرهم المهلهل هذا من رصانة الشعر العربي القديم. فاعترض عليه السوز قائلاً: ـ ما هكذا يا حاج! أراك تبالغ كثيراً في الانتقاص من مواهب شعرائنا الحاليين، واعلم بأن هذه الزهرة اليانعة من تلك الروضة الغناء، فالشعر الحالي لا يختلف من حيث القوة والإبداع عن الشعر القديم إلاّ قليلاً، وفي العراق الآن شعراء لهم مكانتهم المرموقة في دولة الشعر، فردَّ عليه الحاج بقوله: ـ لا أعتقد ذلك أبداً، ربما تتمخض الأيام القادمة عن شعراء قد يكون لشعرهم نصيب من الروعة والرصانة، أمَّا الآن فلا يوجد ـ في رأيي ـ مَن يستحق العناية والإعجاب. ثم إن السوز قال له: ـ دعني أقرأ عليك شيئاً من الشعر ولك أن تحكم إمَّا له أو عليه، وشرع باستظهار قصيدة العلامة الشيبي (أنتم متعتم بالسؤدد)، فلما أجاز المطلع وتوغل في صلب القصيدة بدأ الحاج يترنح إعجاباً لدرجة أنه كان بين آونة وأخرى يقوم ويقعد مسحوراً بروعة أبياتها وفخامة معانيها. وبعد أن أتمها السوز صاح الحاج: ـ أجاد، أجاد، إنَّه ولا شك شعر عربي قديم. وهنا أعلمه السوز

بشخصية قائله، فلما تيقن من ذلك قال: ـ لقد آمنت الآن برأيك يا أستاذ، وسوف لا تجدني بعد الآن مجحفاً بحق شعرائنا الأعلام من أمثال العلامة الشبيبي وأضرابه الأماجد.





نوري ثابت (حبزبوز)، عبد الأمير الناهض، الملا عبود الكرخي.
(من أرشيف المؤلّف)

كان المرحوم الكرخي من هواة اقتناء الكلاب، وكان له كلب ضخم الجثة مخيف الملامح ينحدر عن أصل ذئب يدعى (روب)، وفي إحدى الأمسيات من عام ١٩٣٣ كان شاعرنا جالساً مع رفيقه المرحوم نوري ثابت صاحب جريدة (حبزبوز) على أريكة في فناء (مطبعة الكرخ) بالصالحية بمكان دائرة الري الحالية، وفي تلك الأثناء مرت من أمام بناية المطبعة امرأة أجنبية تقود كلباً مدللاً، فلما لمحه (روب) انقضَّ عليه بضراوة وأخذ يشبعه نهشاً وإيلاماً، فصاح حبزبوز بصديقه الكرخي: ـ امنع كلبك يا أستاذ، ولكن الكرخي لم يبدِ حراكاً واكتفى بالنظر والاستئناس، فأعاد حبزبوز الكرة عليه: ـ ما هذا البرود يا أبا نجم؟ ألم تسمع؟! وهنا غضب الكرخي غضباً شديداً وصرخ بحبزبوز: ـ دعه يا أبا ثابت فإنَّه حتى كلابنا تمقت كلاب الأجانب، ولا يروق لها أبداً أن تراها تسرح وتمرح هانئة على أرض الوطن، فهلا أكرمتنا بسكوتك؟!



طلب نفر من الأصدقاء إلى الكرخي أن يحوّل (فائية الرصافي) الشهيرة إلى العامية شعراً، ولما كان الكرخي لا يرغب في خدش عواطف صديقه الرصافي فقد اعتذر عن تلبية الطلب، إلاَّ أنهم ألحوا عليه كثيراً فلم يستجب لهم، وأخيراً اهتدوا إلى حيلة جديدة فقد علموا بأن الكرخي لا يستطيع رد رجاء صديقه المرحوم الحاج مظهر آل صگب شيخ مشايخ السعيد، فالتمسوه أن يكلِّف الكرخي بذلك ففعل، وفي اليوم المعين سلَّم الكرخي القصيدة إلى الحاج مظهر الذي سلَّمها بدوره إلى هؤلاء الأصدقاء فأسرعوا بها إلى مجلس الرصافي في مقهى (الحاج رشيد الشيخلي) بالباب الشرقي من بغداد، وكان ناظمها الكرخي حاضراً أيضاً، فقرأها على مسامع الرصافي ولما وصلوا إلى نهايتها ارتاح الرصافي كثيراً وأعجب بدقة مطابقتها للأصل فارتجل بحق صديقه الكرخي على الفور البيتين الآتيين: ـ

تالله لم تظهر الدنيا حقيقتها ... إلاَّ بما راقني من شعر (عبود)
شعر لو امتلكت قلبي عواطفه ... لكان دون إلَـه الشعر معبودي

وفي أدناه ننشرهما بيتاً بيتاً، النص للرصافي، وما يشابهه بالعامية للكرخي لتسهيل المقارنة: ـ

(أنا بالحكومة والسياسة أعرفُ ... أ ألام في تفنيدها واعنّفُ)؟
آني بالحكومه والسياسه أعرف ... إذا فنّدتها انلام واتعنّف؟

(سأقول فيها ما أقول ولم أخف   من أن يقولوا شاعر متطرف)
أگول اشما أگول ولا أخاف اللوم   خل يگلون شاعر جَسِر يتطرف
(هذي حكومتنا وكل شموخها   كذب، وكل صنيعها متكلف)
حكومتنه وعملها وهالشموخ الكل   كذب والصنع كله امبرگع امكلف
(غشت مظاهرها، وموّه وجهها   فجميع ما فيها بهارج زُيّف)
مظاهرها تغش الناس، واموه   وجهها، والجميع امبهرج امزيف
(وجهان فيها باطن متستر   للأجنبي وظاهر متكشف)
وجوه اثنين واحد باطن ومستور   الباطن للغريب وظاهر امكشف
(والباطن المستور فيه تحكم   والظاهر المكشوف فيه تصلف)
الباطن بيه تحكُّم والظلم والجور   والظاهر، على المسكين يتصلف
(علم ودستور ومجلس أمّة   كلٌّ عن المعنى الصحيح محرف)
الدستور وعلمها ومجلس الأُمّه   عن معنى الصحيح اتغير اتحرف
(أسماء ليس لنا سوى ألفاظها   أمّا معانيها فليست تعرف)
ألفاظ وأسامي عن فِعلِها ابعيد   ظلّ معنى الأسامي ابد ما يُعرف
(مَنْ يقرأ الدستور يعلم أنه   وفقاً لصك الانتداب مصنف)
الدستور اليشوفه حالاً ايشك بيه   بصك الانتداب مرتب مصنّف
(مَن ينظر العلم المرفرف يلقه   في عز غير بني البلاد يرفرف)
يرفرف مَن يشوف العلم يلگه البيه   عز، الغير عزه بكل جهه رفوف
(مَنْ يأتِ مجلسنا يصدق أنه   لمراد غير الناخبين مؤلف)
مجلسته اليجيه يقتنع ويصدّگ   مو ذاك اليريده انتخب واتألف
(مَن يأتِ مطرد الوزارة يلفها   بقيود أهل الاستشارة ترسف)
لو طب للوزارة يشوف كل چنحيت   بقيد الاستشاره، اليوم تترسف
(أفهكذا تبقى الحكومة عندنا   كلماً تموه للورى وتزخرف)
حكومتنه علينه شلون تبقه هيچ   الكلام اتموهّه وتقدمه امزخرف
(كثرت دوائرها وقلّ فعالها   كالطبل يكبر وهو خالٍ أجوف)
دوائرها كثيره، وفعل ما بيها   طبل منفوخ لكنْ داخله مجوّف
(كم ساءنا منها ومن وزرائها   عملٌ بمنفعة المواطن مجحف)
ومن الوزراء ومنها چم وچم   عمل سيئ صدر، بالمنفعه اجحف
(تشكو البلاد سياسة مالية   تجتاح أموال البلاد وتتلف)
البلد يشكو سياسه اقتصاديه   رديئه اللي نملكه بهالقُربُ يتلف

(تجبى ضرائبها الثقال وإنما
تجمع بالضرائب من عموم الناس
(حكمت مشددة علينا حكمها
علينه تحكم بشده وقساوه وجور
(يا قوم خلوا الفاشسية إنها
اتركوا الفاشِسيّه، بجنب خلّوها
(للانگيز مطامع ببلادكم
مطامع الانگليز بهالوطن متزول
(بالله يا وزراءنا ما بالكم
بالله، يا اخوتي الوزراء شصار؟
(وكأن واحدكم لفرط غروره
واحدكم غرور وخشمه يابس حيل
(أفتقنعون من الحكومة باسمها
تقنع بالحكومه بالاسم بس هاي
(هذي كراسي الوزارة تحتكم
بكراسيها الوزاره التحتكم كادت
(أنتم عليها والأجانب فوقكم
عليها أنتم و(أبو ناجي) عليكم فوگ
(أيعد فخراً للوزير جلوسه
فخر هذا جلوسك يا وزير اتشوف
(إن دام هذا في البلاد فإنّه
لو ظل بالبلاد ايدمّره وينهار
(لا بد من يوم يطول عليكم
لا بد يوم للظالم عليه ايطول
(فهنا لكم لم يغن شيئاً عنكم
يجيك اليوم، ما ظن واحد اليغنيك
(الشعب في جزع فلا تستبعدوا
الشعب جازع ولا يقبل ذليل ايصير
(وإذا دعا داعي البلاد إلى الوغى
إذا ما صاح داعي من الوطن: حيهم

في غير منفعة الرعية تصرف
ولكن على غير ابن الوطن تصرف
أمّا على الدخلاء فهي تخفف)
وعلى الداخل بلدنا حكمها تخفف
في السائسين فظاظة وتعجرف)
فظاظه من اليسوس بجور واتعجرف
لا تنتهي إلاّ بأن تتبلشفوا)
ولا يعفون عنك، كون تتبلشف
إن نحن جادلناكم لم تنصفوا)
إذا جادلنه واحدكم فما انصف
ثملٌ تميل بجانبيه القرقف)
دلو سكران يتمايل من الگرگف
ويفوتكم في الأمر أن تتصرفوا)
وتفوتك الفرصه، شلون تتصرف
كادت لفرط حيائها تتقصف)
من زود الحياء وخجل تتگصف
كلٌّ بسلطته عليكم مشرف)
متسلط، تنفّذ امره، تتشرف
فرحاً على الكرسي وهو مكتف)
وانت على الكرسي مقيّد امجتف؟
بدوامه لسيوفنا مسترعف)
ولو داوم تره بسيف الظلم يرعف
فيه الحساب كما يطول الموقف)
مثل يوم الحساب، شلون يتوگف
لُسُن تقول ولا عيون تذرف)
اللسن ماظن تگول ولا مُقَل تذرف
يوماً تثور به الجيوش وتزحف)
لا بد ما تثور جيوشنه وتزحف
أتظن أن هناك مَنْ يتخلف)
همْ واحد تظن بالوطن يتخلف؟

(أيذل قوم ناهضون وعندهم   شرف يعزز جانبيه المرهف)

شِفتِ لك ناس اباة ومرجله عِذْهم   شرف إلهم يعزّز جانبه المرهف

(كم من نواصٍ للعدا سنجزّها   ولحىً بأيدي الثائرين ستنتف)

شكُثر منهم نواصي بإيدنا انجزها   ولحاياهم القذره جَزِم تتنتف

(إن لم نضاحك بالسيوف خصومنا   فالمجد باكٍ والعلى تتأفف)

لو ما بالسيوف انضاحك العدوان   تره مجدك يراعي المجد يتأفف

(قد كان للعرب الأكارم دولة   من بأسها الدول العظيمة ترجف)

كانت للعرب دوله كريمه اتصول   كثره دول عظمى منها تتراجف

(زر ردهة التاريخ أن فناءها   للمجد من أبناء يعرب متحف)

روح وشوف تاريخ المَجدِ يا صاح   من أولاد يعرب للمجد متحف

(عاش الأديب منعماً في ظلها   والعالم النحرير والمتفلسف)

العالم عاش عيشه امنعّم بظلها   وأهل فضل وأدب والچان يتفلْسَف

(أيام كان المسلمون من الورى   في ظلها لهم المحل الأشرف)

بذاك الوگت چان المسلم من الناس   مكانه إله، وبالإسلام يتشرف

(ثم انقضى عهد العروبة مُذ غدا   عنها الزمان بسعده يتحرف)

بعد هذا انقضى عهد العرب من يوم   الزمان أعلى الكرام بباطله تحرف

(حتى تقلص بعد من سلطانها   ظلٌ بأقصى المشرقين مورّف)

بعدها للأسف سلطانها تقلّص   وظله چان مد الدهر متورّف

(وغدت ممالكها الكبيرة كلها   لسهام كل دويلة تستهدف)

ممالكها الكبار اتمزقت تمزيق   لزغار الدول كل يوم تستهدف

(فبنو العروبة أصبحوا في حالةٍ   منها العروبة ـ لا ابالك ـ تأنف)

بيا حاله العرب أصبحوا فيها اليوم   شيفيد الأسف لو ردت تتأسف

(والمسلمون بحالةٍ من أجلها   تالله ضج بما حواه المصحف)

والإسلام وأهله اسف متفرقين   تزعزع من فعلهم ما حوى المصحف[1]

---

(١) هذه القصيدة كانت محفوظة لدى السيد بديوي الحاج رحومي وقد أتحفني بها في الخمسينات عندما كنا نعمل سوية في مديرية السكك الحديدية العراقية، وكان صديقاً للشاعرين الرصافي والكرخي منذ عام ١٩٢٢ وكثيراً ما كان يحضر مجلسيهما. وهو أديب وشاعر، ومن رؤوس أهل الديوانية، ابتدأ عمله الوظيفي في أواخر العشرينات موظفاً في المجلس النيابي.

* العلامة محمد رضا الشبيبي: عالم وكاتب وشاعر كبير، له جولات معروفة في ميدان الصحافة والسياسة قبل الحرب العامة وما بعدها مثَّل أدواراً مشرِّفة في الثورة العراقية عام ١٩٢٠ فكان من موقدي نارها ومؤججي لظاها بخطبه المؤثرة وكتاباته القيمة. لقصائده روعة، ولكتاباته هيبة في قلوب الناس لما تتضمن قصائده من رقة وإحساس وسلاسة واتساق معان، ولما تحتويه كتاباته من آراء وحجج بينة وموعظة حسنة، تقلَّد إبان الحكم الوطني وظائف متعددة رفيعة فمن نائب إلى وزير معارف إلى عين. وهو من مواليد ١٨٨٦ م.

وللقارئ الكريم قصيدة الشبيبي التي أشرنا إليها في أول الفصل والمنظومة عام ١٩٢٠.

أنتم متعتم بالسؤدد	يا شباب اليوم أشياخ الغد
يا شباباً درسوا فاجتهدوا	لينالوا غاية المجتهد
وعد الله بكم أوطانكم	ولقد آن نجاز الموعد
أنتم جيل جديد خلقوا	لعصور مقبلات جدد
كوّنوا الوحدة لا تفسخها	نزعات الرأي والمعتقد
أنا بايعت على أن لا أرى	فرقة، هاكم على هذا يدي
عُقَدُ العالم شتى فاحصروا	همكم في حل تلك العقد
لتكن آمالكم واضعة	نصب عينيها حياة الأبد
لتعش أفكاركم مبدعة	دأبها إيجاد ما لم تجد

❀ ❀ ❀

لا ينال الضيم منكم جانباً	غير ميسور منال الفرقد
أو تخلون وأنتم سادة	لأعاديكم مكان السيد
الوفا حفظكم أو رعيكم	بعد عهد لله - عهد البلد
لا تمدوها يداً واهية	ليدٍ مفرغة في الزرد
تشبه الأرض التي تحمونها	عبث الأعداء غاب الأسد
دبروا الأرواح في أجسادها	فاق داء الروح داء الجسد
إن عقبى العلم من غير هدى	هذه العقبى التي لم تحمد
مَن أتانا بالهدى من حيث لم	يتأدّب، حائر لم يهتد
غير مجدٍ - إن جهلتم قدركم -	عدد العلم وعلم العدد
وإذا لم ترصدوا أحوالكم	لم تفدكم درجات الرصد
وإذا لم تستقم أخلاقكم	ذهب العلم ذهاب الزبد

بوركت ناشئة ميمونة نشأت في ظل هذا المعهد
من جنى من علمه فائدةً غير مَن عاش فلم يستفد
ما يُرجَّى ليت شعري ـ والدٌ أهمل التعليم عند الولد
سيرة الآباء فينا قدوة كل طفل بأبيه يقتدي

❁ ❁ ❁

ليس هذا الشعر ما ترونه إن هذي قطعٌ من كبدي

❁ ❁ ❁

الصحافي في رأي الملك غازي الأول.
الظريفي وشعر حافظ شيرازي.
شاعر الرفاعي والميمر.
لغة الدواوين في العهد العثماني.

في ذات يوم أرسل الملك غازي بطلب الكرخي وكان قادماً من سفرة طويلة في أنحاء العراق، فلاحظ أمارات التعب والإعياء على وجهه فسأله:

ـ لماذا انقطعت عن زيارتي يا كرخي؟

ـ إنني ـ كما تعلمون ـ موكل في فضاء الأرض أذرعه(*).

ـ أراك تعباً؟

ـ قد بلغت من العمر عتياً وأصبحت لا أطيق مشاق السفر.

ـ بما أنك صحفي متتبع وشاعر شعبي، فمن واجباتك أن تتجوّل في جميع أنحاء القطر العراقي لتقف على كل شيْ فتذكره في جريدتك ليطّلع عليه الرأي العام ولا بأس عليك إذا ما ضحيت براحتك في سبيل المصلحة العامة.

ـ كما تفضّلتم، ولكنني لا أملك تلك القوة التي تساعدني على التجوال بصورة مستمرة.

ـ إسمع إذن يا كرخي؟: يقال إنَّ أحد (البحارنة) أراد الإقامة في العراق

(*) إشارة إلى قول محمد بن زريق الكاتب البغدادي من قصيدته الشهيرة (لا تعذليه):

كأنما هو من حلٍّ ومرتحلٍ موكلٌ بفضاء الأرض يذرعه

فأوصاه أصدقاؤه: إنَّك إذا وصلت العراق وكُلّفت بعمل ما، لا تقل (ما أعرف) لأنَّ أهل العراق سيعلمونك إياه، أمَّا إذا أردت التملص من هذا العمل فقل (ما في حيل)، فأنت يا كرخي لا ترتفع عنك الواجبات إلاَّ إذا قلت كما قال (البحريني): ما في حيل.

في مجلس أدبي ضم الزهاوي والمحامي الشاعر حسين الظريفي(*) وعبد الأمير الناهض، صاحب جريدة (العندليب)، كان الزهاوي يتحدّث عن الشاعر الفارسي (حافظ شيرازي)، وقد أورد لحافظ بيتين من الشعر ادّعى أن ترجمتهما شعراً إلى العربية من الصعوبة بمكان لما فيهما من خيال مجنح ومعنى عميق، ولكن الأستاذ الظريفي رأى أن يحاول الترجمة بحكم شاعريته ومعرفته لأسرار اللغة الفارسية، فقال للزهاوي: -

هل لك يا أستاذنا أن تمهلني قليلاً؟

ثم إنَّه أمسك بقلم وقرطاس وانتحى جانباً، وبعد هنيهة من الوقت قرأ على الجميع هذه الترجمة المنظومة: -

وبلبل روض قال للورد لا تته
علينا فكم في الروض مثلك من ورد
فقال له: قد قلت حقاً وإنَّما
مقالك هذا لا يليق بذي ود

فما كان من الأستاذ الزهاوي - رحمه الله حين سمع هذه الترجمة إلاَّ ونهض على قدميه مصفقاً وهو يقول: - لقد أبدعت يا ظريفي، فإنَّها في الحق خير من الأصل.



(نعيمة الدبيب)(**) شاعر عامي من أهل (الرفاعي) وقد عمَّر ١٢٥ سنة،

(*) حسين الظريفي: وُلِدَ في بغداد سنة ١٩٠٩، عُيِّنَ سنة ١٩٢٨ مدرساً في ثانوية البصرة، ولكنه استقال بعد سنة والتحق بكلية الحقوق وتخرّج منها سنة ١٩٣٣ واشتغل بعد ذلك بالمحاماة.وفي سنة ١٩٣٥ عُيِّنَ حاكماً في محاكم العراق. وله مؤلفات عديدة وهو مولع بنظم الشعر.

(**) نعيمة الدبيب: خفاجي النسب، مولده ونشأته في (قلعة سكر) ارتحل بعائلته إلى (الكرادي) وهي قرية على الضفة اليسرى من نهر الغراف، سنة ١٩١٨ وعمره آنذاك =

زار مرة بعض أصدقائه من معلمي مدرسة (الرفاعي)، فطلبوا إليه أن يقرأ لهم شيئاً من شعره، فلبّى طلبهم، وأخذ يقرأ والكل ينصتون، فلما انتهى من إنشاد شعره قالوا له: ـ إنَّ شعرك فيه لحن، وقد أحرقت (نفطويه) بنصف اسمه وجعلت الباقي عويلاً عليه. فأجابهم: ـ إنَّ الشعر العامي لا يتقيد بقواعد النحو والصرف، ثم إنَّه أشفع قوله هذا بأبيات على وزن (الميمر) ارتجلها حالاً: ـ

كـلـمـا أراد اقـفـي شـوتـگـولـوا الـحـانـه

وقـانـونـكـم إحـنـه عـرفـنـه الـحـانـه

كـلـنـا رضـيـنـه فـي زيـان الـحـانـه

لاكـن الـشـارب شـو الـذنـب يـتـبـتـر؟

فهو يقصد بـ (الحانه) الأولى الأخطاء النحوية، وبالثانية الأنغام، وبالثالثة (اللحى) جمع كلمة لحية. فأعجب الجميع بهذا الذكاء العجيب وطيبوا خاطره معتذرين.



اجتمع الكرخي مرة بفقيد اللغة العربية المرحوم انستاس ماري الكرملي(*)،

= ٦٥ عاماً تقريباً، يقرأ ولا يكتب مهنته (مريبحاني) أي بياع شراي ومع رقة حاله وضيق ذات يده فهو صاحب ديوان عامر بالرواد، تدار فيه القهوة العربية عصر كل يوم. شاعر شعبي مطبوع، سريع البديهة، حاضر النكتة، مقل وينظم الشعر بالمناسبات ارتجالاً «انظر (التراث الشعبي) العدد الأول، السنة الثامنة ص ١٢٠ لسنة ١٩٧٧».

(*) الأب انستاس ماري الكرملي: وُلِدَ في بغداد في اليوم الخامس من شهر آب عام ١٨٦٦م، وهو يرجع إلى قبيلة (بني مراد) العربية، وكان والده ميخائيل عواد أو كما سُمِّيَ (ميكائيل الماريني) ترجماناً لأمير من أمراء (آل بونابارت)، وكان للأب انستاس في صغره ثلاثة أسماء هي بطرس وبولص عبد الأحد وماري، ولما بلغ الثامنة من عمره دخل مدرسة (الآباء الكرمليين)، وفي هذه المدرسة ومدرسة (الاتفاق الكاثوليكي) أكمل تحصيله الابتدائي. وكان وهو ابن ست عشرة سنة يقوم بتدريس علوم اللغة العربية في نفس المدرسة وهي (الآباء الكرمليين).

وفي عام ١٨٨٦ ترك بغداد قاصداً بيروت لتدريس اللغة العربية في المدرسة اليسوعية الاكليركية والتفرغ لتعلم اللاتينية واليونانية. وفي عام ١٨٩٣ رسم كاهناً باسم (الأب انستاس ماري الألياوي) في (مونبيليه)، فغادر فرنسا عائداً إلى بغداد راهباً فأسندت إليه مهمة إدارة المدرسة الكرملية، غير أنه بعد أربع سنوات رغب في ترك هذه المهام والانصراف للوعظ والكتابة والتأليف، فأخذ ينشر في أمهات الصحف والمجلات العربية =

وكانا يتحدثان عن لغة الدواوين في العهد العثماني الغابر، ومما أورده الكرخي للكرملي بهذا الخصوص القصة الطريفة الآتية، قال: ـ كان في أحد أقضية العراق رئيس بلدية، كتب كتاباً رسمياً بخصوص مجنون يؤذي الناس في بلدته، طالباً إبعاده عن حدود القضاء وإدخاله في مستشفى الأمراض العقلية تخلصاً من شروره وأذاه، وإليك هذا الكتاب البليغ بالحرف الواحد: ـ

«إلى جناب أخي (فلان)، من خسوس المجنون يتعرض الأناس على قارعة التريك، أرجو أخذ وإرسال مستشفى المجانين ودمتم خارج الحدود». ثم إن المرحوم الكرملي انخرط في الضحك عند سماعه لهذه الرسالة القيمة!!

وقال: ـ لا عتب على هذا المخضرم لأنَّه عثماني المنبت، ولكن ما رأيك يا كرخي في كتابات الموظفين العرب في الحال الحاضر؟! إنَّها ـ والله ـ تضحك الثكلى، وإن المقام لا يتسع لإيرادها، فإنَّها ما بعدها من مهزلة.



= بحوثه اللغوية بتواقيع مستعارة أحصاها الأستاذ كوركيس عواد فإذا هي تبلغ سبعة وعشرين توقيعاً منها: الشيخ بعيث الحضري، كلدة، فهر الجابري، محب الفجر، ابن الخضراء... إلخ. وهو يتقن اللغات الأجنبية المختلفة كاللاتينية واليونانية والفرنسية والإيطالية والإنكليزية والحبشية والتركية والفارسية والآرامية والصابئية. أصدر مجلة (لغة العرب) عام ١٩١١ وفي عام ١٩١٤ اعتقله الأتراك ونفوه إلى مدينة (قيصرية) في الأناضول فتوقفت مجلته عن الصدور، ثم عاود إصدارها عام ١٩٢٦ لمدة ست سنوات ثم اختفت هذه المجلة التي كانت من أرقى المجلات العربية وأغزرها مادة وأكثرها نفعاً.

انتخب عضواً في مجمع المشرقيات الألماني عام ١٩١١ م واختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً فيه، ورشحته وزارة المعارف العراقية عضواً مؤسِّساً للمجمع اللغوي العراقي عام ١٩٢٧، وانتخبه مجمع فؤاد الأول للغة العربية عضواً عاملاً فيه عام ١٩٣٤، واختير عضواً في لجنة التأليف والترجمة والنشر العراقية عام ١٩٤٥.

من أشهر آثاره ومؤلفاته المطبوعة عدا مجلة (لغة العرب) كتبه: (الفوز بالمراد في تاريخ بغداد)، (خلاصة تاريخ بغداد)، (نشوء اللغة ونموها واكتمالها)، (النقود العربية)، (أغلاط اللغويين الأقدمين)، فضلاً عن تحريره النصوص المطوية مثل الجزء الثامن من (الأكاليل) للهمداني و(نخب الذخائر في أحوال الجواهر) لابن الأكفاني وكتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي).

ومن أهم كنوزه غير المطبوعة معجمه (المساعد) وهو أشبه بدائرة معارف واسعة.

توفي ـ رحمه الله ـ في صبيحة اليوم السابع من كانون الثاني عام ١٩٤٧ م.

الشيخ ضاري و(الچلبي) القصاب.
الرصافي والشعر.
روح إسأل أمك.
نماذج من كتابات الموظفين أيام زمان.
الحاكم يحب شقه!؟

كان المرحوم الشيخ ضاري ـ رئيس عشائر زوبع ـ قد غاب مدة من الزمن عن الكاظمية، وفي ذات يوم هزّه الشوق إليها فقصدها زائراً. وبحث عن صديق له، فعلم أنَّه في الديوان الفلاني، فذهب إليه، وهناك وجده جالساً مع جمع من الناس وهم ملتفون حول رجل يقدّمون له التهاني: ـ

الله يساعدك چلبي! حج مبرور چلبي، سعي مشكور چلبي... الخ.

وقد جلبت هذه الصورة انتباه الشيخ ضاري، فتقدّم من الچلبي المذكور، وتفحصه جيداً، فإذا به يعرفه، ويعرف أنه كان قصاباً، فلم يتمالك الشيخ نفسه، وقال للذين كانوا معه: ـ

يا عونة الله، يُبَه هذا موگصيصيبنه؟ (ويقصد أنه كان قصاباً بالتصغير). هذا متى استچلب؟ (أي متى أصبح چلبياً)، فكانت تورية ظريفة أضحكت الحاضرين.

❀ ❀ ❀

سأل السيد ناجي[1] (كليدار الأعظمية) صديقه الرصافي:

---

(١) السيد ناجي: سادن جامع الإمام الأعظم، والده توفيق بن عبد الباقي بن عبد الحميد بن =

ـ لماذا فضّلت الشعر وهو مجلبة للفقر، وكان بإمكانك امتهان أية مهنة تعتاش منها؟

فأجابه الرصافي فوراً: ـ

كل ابن آدم مقهور بعادات لهن ينقاد في كل الإراداتِ
يجري عليهن فيما يبتغيه ولا ينفك عنهن حتى في الملذاتِ
قد يستلذ الفتى ما اعتاد من ضرر حتى يرى في تعاطيه المسراتِ
لو لم تكن هذه العادات قاهرةً لما أسيغت بحالٍ بنت حاناتِ

❁ ❁ ❁

روى الأستاذ القبانجي عدداً من الحكايات الضاحكة، نشرتها جريدة (كل شيْ) البغدادية بتاريخ ١٤ شباط، إليكم واحدة منها: ـ

هناك رجلٌ اسمه فتوحي جودة، كان الملا عبود الكرخي كلما واجهه قال له:

ـ أهلاً عبد الأحد! شلونك؟؟

وذات يوم زهق الرجل فقال للكرخي:

ـ ملا، تره أني اسمي فتوحي، مو عبد الأحد!؟

وهنا قال الكرخي غاضباً:

ـ ما يصير أخي، أنت غلطان، واذا ما تصدگ، روح اسأل أمك!؟

«وردت أيضاً في كتاب خيري سلمان السعدي المعنون (مليون نكتة ونكتة) عام ١٩٦٧».

= ملا أيوب من عائلة مدلج بن الحاج إبراهيم بن عبدالله العبيدي، التي تولت سدانة الجامع أباً عن جد، ومن أبناء عمومته لأبيه السادة المعروفون حسين الظريفي المحامي وعوني ولطفي بكر صدقي والمحامي عطا رفعت. عاش ومات أعزباً في الثلاثينات، وكان من أعز أصدقاء الرصافي والكرخي وحبزبوز، وحين توفي إلى رحمة الله تأثر الكرخي كثيراً ورثاه بقصيدة عامرة، مطلعها:

يا أخا العفه يـ (ناجي) نهاري بعدك صار داجي

ومنها: ـ

البين لو تسمع آذانه كنت أقدمله احتجاجي

(انظر (الأعظمية والأعظميون) للدكتور هاشم الدباغ، عام ١٩٨٤).

عندما كان الكرخي يطوف في بعض النواحي والأقضية بمهام صحفية، زار أحد القائمقامين، وفي مكتبه وقع نظره خلسة على رسالة موجّهة إلى القائمقام من قِبَل أحد موظفيه، وها هي بالنص: ـ

«قمقم المحترم ـ عجيل باشا سمرمود[*] هرزي گنطره من وره ومن گدام، حشر لم جاء، سداد خراب» فاستغرب الكرخي من غرابة كلام هذا الموظف الأمي، الذي لا يفهمه (البابوجتر بنارجي) محرر القسم الهندي[1] في جريدته (الكرخ)، واستفسر عن شخصية الكاتب فعلم أنه موظف (عليه القيمة) كما يقولون، وبعد التحري الدقيق اطلع على رسالة ثانية له أرسلها إلى مدير القضاء يعتذر فيها عن تغيب ولده عن الدوام. وهذه هي بنصها وفصها: ـ

«جناب فلان المحترم ـ أرجوكم اعفو من طرف تعطل الذي لم حضر في هذه الساعة ـ هذا ودمتم».

ثم مال الكرخي إلى القائمقام وقال له بحنق:

ـ تصور، لو أن الله مَنَّ على سيبويه ونفطويه وابن المقفع بالحياة مرة أخرى، أترى أنهم كانوا يستطيعون العيش والحياة بين ظهراني أمثال هؤلاء

(*) عجيل باشا السمرمد: من شيوخ فخذ (البوهندي) الراجع إلى زبيد الأكبر، والد عجيل هو علي، وأخوه مزهر السمرمد ومن أولاد عجيل باشا، حامد وغازي وعلي وهادي، يمتد نفوذه من بغداد إلى حدود الخزاعل.
وأشهر قبائل زبيد: الجحيش، والبو سلطان (الكرخي منهم)، والسعيد. (انظر الجزء الثالث من كتاب عشائر العراق للمؤرِّخ عباس العزاوي المحامي، صفحة ٣٥).
هرزي: هكذا وردت في النص. كنطره: قنطرة. حشر: عمال يستنجد بهم لإنجاز أعمال طارئة، كدرء أخطار فيضان، أو حفر نهر (كري) مجاناً من قبيل الفزعة.

(١) محرر القسم الهندي في جريدة (الكرخ) وهو الأستاذ خلف شوقي الداوودي الكاتب الفكه/ صاحب (الفلقة) وصاحب (نقدات ملا نصر الدين)، بدأ حياته الصحفية بالعمل في جريدة (الأوقات البصرية) التي أصدرتها سلطات الاحتلال الإنكليزي في أعقاب احتلال البصرة في أوائل الحرب العالمية الأولى، ومن ثم راح يشارك في تحرير أكثرية الصحف والمجلات وعلى الأخص الجرائد التي أصدرها الكرخي وذلك بحديثه الشيق الذي ينشره على لسان أحد الهنود تحت عنوان (عراق شلون سويك ترقي). وهو من مواليد ١٨٩٨ وينتمي إلى عشيرة (الداوودة) المعروفة، وكان رحمه الله يجيد اللغات الإنكليزية، والهندية، والتركية، والكردية، والفارسية، عدا لغته العربية.

الجهلاء؟ ثم أليس من العيب أن تكون المخاطبات الرسمية بهذه الرداءة؟

❀ ❀ ❀

هذه الطريفة المؤلمة نقلت من دفتر جيب الشاعر المؤرخ ٣١ كانون الثاني ١٩٢٨:

في عهد الاحتلال الإنكليزي للعراق دخل أحد رجال الدين المعممين على حاكم سياسي بريطاني ـ بناء على طلب الأخير ـ فحصل نقاش عنيف بينهما أدى إلى قيام الحاكم بضرب هذا الرجل، فانفلت عمامته، ولما خرج وجد عدداً من الناس متجمهرين على الباب لمعرفة ما يجري في الداخل، فقال لهم ـ وهو يعيد لف العمامةِ ـ: ـ

(الحاكم هواية يحب شقه) ومعنى قوله: الحاكم يحب المزاح كثيراً.

وهكذا كان الشعب يعاني من ظلم الإنكليز، واستهتارهم بالحريات، وعدم احترامهم للناس بل وحتى رجال الدين منهم.





حفلة شاي في كلية الإمام الأعظم الدينية عام ١٩٣٠
من اليمين: الشيخ، ؟، عبد الأمير الناهض، الملا عبود الكرخي، نوري ثابت (حبزبوز)، نافع المصرف (مفتي بغداد)، حسن النائب (قاض).
(من أرشيف المؤلّف)

اضحك مع حامل لواء الطرونة في بلاد الرافدين.

ما إن صدر كتاب المرحوم عبد المسيح وزير[1] حامل لواء الطرونة في

---

(1) المرحوم عبد المسيح وزير، من أبناء ماردين تثقف في لبنان، أديب وكاتب وعبقري فذ في فن الترجمة والنقل عن الإنكليزية. ولقد جاءت أسرته، العراق في أعقاب الحرب العالمية الأولى واستقرت في بغداد، وسرعان ما أصبح عبد المسيح رئيس المترجمين في وزارة الدفاع، واستطاع بجهده ومثابرته أن يضع أول وأدق معجم للمصطلحات العسكرية لا مثيل له في كل الأقطار العربية في ذلك. ولكن من المؤسف أنَّ هذا المعجم طبع في كراريس صغيرة مشوشة، ثم ضاعت نسخه فلم يبقَ منه إلاَّ بضع نسخ يحتفظ بها بعض المعنيين بالعلم والمعرفة من الضباط.

بدأ عبد المسيح نشاطه في مطلع السنوات الأولى من تأسيس الحكومة العراقية وساهم في الكتابة في أشهر الصحف والمجلات العراقية التي صدرت في ذلك الوقت من أمثال الصفحة الأدبية لجريدة العراق ومجلة الحرية الشهرية التي أصدرها رفائيل بطي سنة ١٩٢٤ ومجلة «الأماني» التي أصدرها عبد الرزاق شبيب وإبراهيم صالح شكر في سنة ١٩٣١ وكان عبد المسيح أوَّل مَن نشر البحوث المترجمة عن «الذرة» وغيرها من العلوم الحديثة.

ولقد دأب عبد المسيح على أن يزين الصفحات التي يكتبها في الصحف والمجلات بصورة شمسية تمثله وهو في عز الشباب أيام لم يكن ليتجاوز العشرين من عمره. توفي يوم ٢٠ أيلول ١٩٤٣.

الترجمة من مقال نشر في جريدة (الاتحاد) البغدادية، العدد ٣٤، تشرين الثاني ١٩٨٦ للأستاذ سليم طه التكريتي وهو سليم طه مخلف آل قاطع الناصري، وُلِدَ في تكريت عام ١٩١٥، وأكمل تحصيله الابتدائي فيها عام ١٩٣٣، وأكمل دراسته المتوسطة في الشرقية ببغداد ١٩٣٣ ـ ١٩٣٦، وأكمل دراسة الحقوق عام ١٩٤٣. اشتغل موظفاً في الكمارك والمكوس للفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٤٨. =

أرض الرافدين المعنون (نوادر المطرنين) وذلك عام ١٩٣٧، حتى أصبح كتابه حديث الأندية والمجالس البغدادية، وفي ذات يوم اجتمع لفيف من الأدباء وحملة الأقلام في مقهى (عارف آغا)، وشرعوا في التحدث عن هذا الكتاب النفيس وصاحبه، فقال الكرخي:

ـ أود اليوم أن أحدثكم عمّا جرى لي مع الأستاذ عبد المسيح وزير بالذات، وهو ولا شك حديث طريف يصلح أن يلحق بكتابه الصادر مؤخراً، كانت ساعة من الساعات التي ذهبت هدراً فلم أستطع أن أضيفها إلى قائمة الصالح من الأعمال، تلك الساعة التي أمضيتها مع الأستاذ الكبير والعالم النحرير السيد عبد المسيح وزير ـ لاحظ السجعة الحلوة ـ كان ذلك في أحد أيام الأسبوع الفائت وكنت واقفاً أنتظر عربة خالية، فمرت عربة وإذا بشيخ المطرنين راكب فيها، فما كان مني إلاّ أن استوقفت سائقها وركبت إلى يمين الأستاذ دون سابق إنذار وأمرت السائق بالمسير، وكان الأستاذ ساعتها تائهاً في عالم من التفكير اللذيذ، فآثرت أن لا أقطع عليه أحلامه، فلربما كان يعد أسماء دائنيه؟! سارت العربة ـ باسم الله مجريها ومرساها ـ والأستاذ يجهل وجودي إلى يمينه وأنا أيضاً متجاهل وجوده، وكل همي أن أصل إلى حيث أريد ثم أنزل من العربة كما ركبتها ـ أي بدون أن يشعر ـ ولكن الويل لي من تلك الساعة، فما كل ما يتمنى المرء يدركه، انتبه الأستاذ وليته لم ينتبه وألقى عليّ نظرة فاحصة وقال: ـ لا فض فوه ـ ها، أنت شتسوي هنا؟ ولما بينت له غايتي وهي أني أردت أن أكون في خدمته ساعة من الزمن التقط فيها الدرر الغوالي وأنظمها في عقود لأقدمها إلى قراء الجريدة بشكل حديث عن زعيم الطرونة وواضع كتابها. لم ينتبه لما قلته له لأنّه غرق في التفكير ثانية وبصورة أشد وتركني مشدوهاً، بقينا نسير ونحن على هذه الحال فلم ينتبه الأستاذ إلاّ على صوت الحوذي الذي صاح به:

ـ وين تأمر أغاتي يمنه لو يسره؟؟

وهنا يفتح الأستاذ عينيه وألقى على العربجي نظرة حالمة ثم قال:

= بدأ اهتمامه بالصحافة منذ عام ١٩٣٤، وأصدر جريدة (العصور) اليومية السياسية عام ١٩٤٨ وعاد إلى الوظيفة أواخر عام ١٩٦١ كمعاون مشاور حقوقي في دائرة الموانئ العراقية في البصرة. فُصِلَ من الوظيفة في ١٩٦٣/٢/١٨، وعاد إليها في حزيران ١٩٦٧ في وكالة الأنباء العراقية. تولى تحرير الجريدة الرسمية الصادرة باللغة الإنكليزية من ١٩٦٩ إلى آب ١٩٧٢. انصرف بعدها إلى الترجمة والتأليف.

- هاي، روح جيب چايين!!

وأردت أن أنقذ الموقف فطلبت من الحوذي أن يتجه إلى وزارة الدفاع، فانصاع السائق لأمري وسار حيث أريد، أما الأستاذ فقد حدّق فيّ للمرة الواحدة بعد المائة وقال:

- شربت چاي؟

وبقي السائق ينظر إليه في طلب الأجرة وكان لزاماً عليَّ أن أدفع أجرة العربة، فدفعتها وأمري إلى الله. دخلنا غرفة الأستاذ الفسيحة بشق الأنفس، أقول بشق الأنفس ولأنَّه حفظه الله ينسى كل يوم طريقه إلى الغرفة فيتيه في دواوين الوزارة الفسيحة حتى يأتي ابن حلال فيقوده إليها.

دخلنا الغرفة وكان الفراش قد انتهى من ترتيب ما بعثرته يد العلم أمس، فكان أول أمر أصدره إلى الفراش هو أنه طلب لنا كوبين من الشاي..! ولعل حنينه إلى الشاي هو الذي دفعه إلى طلب الشاي من الحوذي على تلك الصورة. ثم إنه انكب على كتب الترجمة والتأليف بما عرف عنه من نشاط، وتركني في زاوية النسيان والإهمال، أمَّا أنا فقد قطعت عليه حبل انهماكه، فبينت له سبب وجودي في الغرفة واستعدادي لأخذ الأحاديث منه، فسألته:

- مَن هو طرن العراق الأكبر؟ فأجابني:

- هو أنت أو الشيخ جواد الدجيلي، وكلاكما يتنازع على الزعامة.

أمَّا أنا فشكرته على هذا النوع من نكران الذات الذي دفعه إلى نسيان نفسه، فقلت له: - هل يعد الأستاذ رزوق غنام من المطرنين؟

فأجابني: - كلا، لأنَّه عصبي المزاج حاد الطبع لا يصلح أن يكون في عداد المطرنين.

- والأستاذ السمعاني؟

- هذا الرجل مبعثر الآراء ومتى جمع فلسفته في قالب معين فمن الممكن أن يعد طرناً.

- والأستاذ رفائيل بطي[1]؟

---

(١) روفائيل بطي: وُلِدَ في الموصل عام ١٩٠١ وتخرّج من مدرسة الآباء الدومينكان العالمية عام ١٩١٤، ثم عُيِّنَ معلماً أولياً في مدرسة (مار توما للسريان الأرثوذكس)، درس =

ـ هذا ليس له اسم في قاموسي لأنَّه يدَّعي بأنه فكه خفيف الروح، والحال أنه عكس ذلك.

ـ والأستاذ خلف شوقي الداوودي؟

ـ وهذا أيضاً لا يعد طرناً لأنَّه خلق من فضلات!! الطين التي خلق الله منها البشر فجاء على هذه الصورة؟!

ـ والأستاذ ميخائيل تيسي، صاحب جريدة (كناس الشوارع)[1]؟

هذا هو الطرن الأكبر وله من الطرونة ما تكفي لأن نكوّن منها كتاباً كبيراً، فإنَّه أراد ذات يوم أن يشرب خمراً فوضع كل ما عنده من الخمر في كوب وأحضر بعد ذلك قطعة من الثلج والتفت يميناً ويساراً يريد بعض الماء لغسل قطعة الثلج، فأخذ الكوب الذي أمامه وسكبه عليها، وأخيراً أدرك أنَّه غسل الثلج بالخمر، وهكذا ضاعت عليه (السكرة).

ـ أستاذ! أنا أخشى أن تكون أنت بطل هذه القصة!

ـ ولك دروح سخيف؟!

فما كان مني إلاَّ أن انصرفت شاكراً دون أن أشرب الشاي الذي طلبه لنا منذ ركبت العربة.

= خلالها اللغة السريانية نزح إلى بغداد والتحق بمدرسة دار المعلمين الابتدائية وكان عمره آنذاك ثمان عشرة سنة، فأكملها في سنتين. انتمى إلى كلية الحقوق عام ١٩٢٤ وتخرّج منها عام ١٩٢٩.

أنشأ جريدة (البلاد) مع جبران ملكون عام ١٩٢٩ واستمرت في الصدور لسنين طويلة.

له مؤلفات كثيرة المطبوعة منها ستة والمخطوط ثمانية توفي رحمه الله عام ١٩٥٦ م.

(١) ميخائيل يوسف تيسي: وُلِدَ في بغداد سنة ١٨٩٥ ودرس في كلية القديس يوسف فتخرّج منها واشتغل في التجارة، عُيِّنَ مترجماً في نظارة المالية سنة ١٩١٨، فرئيساً للكتاب في دائرة الأوقاف، فموظفاً في وزارة الدفاع فمديراً لناحية (تلكيف) فقائمقاماً لقضاء (شيخان) فمعاوناً لرئيس لجنة تسوية حقوق الأراضي.

أصدر جريدة (كناس الشوارع) الهزلية في ١ نيسان ١٩٢٥، وجريدة (سينما الحياة) الهزلية في ١٧ كانون أول ١٩٢٦، وأصدر مجلة (مرآة الحال) الهزلية في ١٥ تشرين الأول ١٩٢٦، ثم أصدر جريدة (الناقد) الأسبوعية في ١/٥/١٩٣٦. توفي في الأسبوع الأول من كانون الأول ١٩٦٢ م.

ما كاد (الكرخي) ينتهي حديثه الطريف هذا عن نوادر حامل لواء الطرونة في العراق المرحوم عبد المسيح وزير حتى غصَّ الجميع بالضحك، أمَّا (حبزبوز) فقد ضرب (دقلة) إلى الوراء.



هذا (الزيگ) على شرف أبو فلان.
الشوربة الگيلانية شفاء ودواء.
الجنرال عبود الكرخي.
زندة بله مردة بله.
الكرخي وأبو العلاء المعري.
إسماعيل الجنابي و(البرياني).

روى المرحوم عبد المنعم الجادر في جريدته (كل شيْ) الصادرة بتأريخ الرابع من كانون الثاني ١٩٦٥ الطريفة الآتية: ـ

المعروف عن المرحوم الملا عبود الكرخي أنه كان لا يدع فرصة تمر دون أن يكيل الصاع صاعين لمَن يحاول النيل منه، وذات يوم أغاظه أحد المسؤولين، فأضمرها له في نفسه، وذات يوم كان ذلك المسؤول في حفلة رسمية يحيط به لفيف كبير من مسؤولين أكبر مقاماً منه وأقل. ووقف المرحوم الكرخي بجواره برهة، ثم مدَّ يده إلى قميصه فشقه من أمام. عجب المسؤولون وسألوه جليّة الأمر، قال ضاحكاً:

ـ مولانه، هذا الزيك على شرف أبو فلان!!

وكان يقصد ذلك الموظف المسؤول الذي (بلعها) وسكت!!

ومعلوم ماذا يعني (ضرب الزيك) باللهجة الشعبية!!..

❀ ❀ ❀

الأوقاف (القادرية) كانت توزع ـ الشوربة ـ مساء كل يوم على الفقراء،

وكان الناس يتبركون بإطعام هذه الشوربة إلى مرضاهم ليشفوا. وذات يوم زار المرحوم الكرخي صديقه المحامي المرحوم الشيخ حميد ـ الذي كان لا يقل طرافة ونكتة عن صديقه الكرخي ـ زاره في داره بباب الشيخ، وشكا الكرخي لصديقه حمّى ألمّت به، فذهب به إلى (الشوربخانة) وأطعمه جزءاً منها، وفي اليوم الثاني فارقت الحمى الكرخي. . . ذهب إلى صديقه فرحاً وقال له:

ـ دادا شيخ حميد هاي الشوربة مال الشيخلية طيبتني، وهسّه لازم أقدم فد هدية بالمناسبة. . . اشتقترح؟ فقال الشيخ حميد:

ـ والله (أبو حاتم) أشوف لو نتحفّه ونمشي منّا للحضرة الكيلانية، هذي تصر خوش نذر، وخوش هدية.

وفعلاً (تحفّيا) وسارا حتى الحضرة، وأديا ـ رحمهما الله ـ صلاة المغرب هناك[1] ـ

❁ ❁ ❁

اجتمع عدد من الصحفيين والأصدقاء في إدارة جريدة (أبو حمد) للأستاذ عبد القادر المميز في الثلاثينات، وكان الحديث يدور حول ردود الكرخي على أسئلة الحاكم أثناء محاكمته عن تهمة قذف بحق أحد الشعراء، والتي وردت في هذا الكتاب، ويظهر أن أحد الحاضرين لا يعرف الكرخي جيداً، فسأل الأستاذ المميز عنه فأجابه بما يلي:

ـ الملا عبود الكرخي، وكيل شركة العرباين في علاوي الحلة، ثم مترجم اللغة الألمانية في الهيئة السفرية الألمانية في إيران، ثم زارع مشهور في أراضي (الصخريجة والسليمية) بالمحمودية، ثم يتذمر من مهنة الزراعة بقصيدة مطلعها:

بصخريجه زرعنا وبالسليميه وبسنين الوبا صرنه طبلجيه

ثم مفلس ينظم قصائد هزلية وعامية يقتل بها الوقت، ثم صحافي يصدر جريدة (الكرخ) ثم تاجر حبوب يساوم في قهوة (موشي) على الأسعار:

ـ اليوم الشعير يسوه تسعين روبية! عندنا خمسين طغار سمسم حايرين بيهه! الماش اشيسوه هل يوم يا موشي الدلال؟!

---

(١) جريدة (المنار) ١٣ نيسان ١٩٦٤ تحت باب (مع الناس) ص ٨.

وفي الوقت نفسه صاحب مطبعة وجريدة، مؤلف، شاعر، تاجر، فلاح، سركال. . الخ.

ومَن يدري؟ لعل الزمن يرينا عما قريب:

«سعادة قنصل جنرال المملكة العراقية في البرازيل اللورد الملا عبود الكرخي».

❁ ❁ ❁

سُئل الشاعر الكرخي مرة:

- ملا! وردت في قصائدك، وبمواضع عديدة عبارة (زنده بله مرده بله) فما هو معناها؟

- كان لأحد الأغنياء خادم ذكي، وكان كثير الإساءة إلى سيده طوال حياته. وقضت الأقدار أن يشرف ذلك الخادم على الموت، فجاءه سيده، واستفسر منه عن الوصايا التي يوصي بها قبل الموت. فقال له الخادم:

أوصيك يا سيدي، إذا مت، أن تربط رقبتي بحبل متين وتسحبني في حديقة القصر، عسى الله سبحانه وتعالى أن يغفر لي مقابل آلام السحب التي أعانيها.

وعندما مات الخادم، قام سيده (المغفل) بتنفيذ وصيته وفي تلك الأثناء شاهده عسس الحكومة فألقوا القبض عليه ثم قدموه إلى المحاكمة متهماً بخنق خادمه.

فحكمت عليه المحكمة بالإعدام، فلما سمع قرار الحكم ردد هذه العبارة بالفارسية (زنده بله مرده بله) وتعريبها (حي تؤذي، ميت تؤذي) فراحت مثلاً سائراً.

❁ ❁ ❁

في الصفحة ٩٣ من كتاب (آراء أبي العلاء) للمرحوم الرصافي المطبوع عام ١٩٥٥ م أورد بيتين هما:

لو كنت كالرائش أو ذي المنار ... لعشت في الدنيا كثير العثار

وليتها لم يكُ من بعدها ... خوف حسابٍ وعقاب بنار

(الرائش وذو المنار من ملوك اليمن) وعلق الرصافي على هذين البيتين قائلاً:

ـ ويذكرني قول أبي العلاء هذا، بما قاله شاعرنا الشعبي الملا عبود الكرخي في إحدى قصائده: ـ

«هم هاي دنيا وتنكضي   وحساب أكو تاليها»

رحم الله الاثنين.

❁ ❁ ❁

حدثني والدي المرحوم حاتم عبود الكرخي قائلاً:

ـ في عام ١٩٣١ أقام السيد النقيب (شقيق هاشم النقيب) وليمة غداء، دعا إليها عدداً من أصدقائه على أكلة (برياني) ـ حيث كان له طباخ هندي خاص بهذه الطبخة ـ في بيته المطل على نهر دجلة، قرب (أورزدي باك القديم) بشارع النهر، ويسمى (المسناية)، وكان المدعوون معي: نوري ثابت (حبزبوز)، وعبد القادر المميز (أبو حمد) ورؤوف الجباري (معلم) وناصر عوني (معلم رسام) والظرفاء إسماعيل الجنابي، وإسماعيل الأسود (مراقب بلدية) وغيرهم من الأدباء والصحفيين، وكانت الدعوة في ظهر أحد أيام فصل الشتاء. حضر (البرياني) وكان في غاية الجودة والنفاسة ويحتوي على الكثير من صنوف الطعام كالبيض والسمك والدجاج واللحم والأفاوية... الخ. ومن باب الظرافة مدَّ إسماعيل الجنابي يده وظلَّ ينقب ويبحث في خبايا صينية البرياني طويلاً. فاعترض عليه حبزبوز، ولكن الجنابي ردَّ عليه ضاحكاً: معوّد! ما ظل شي ما موجود بهالبرياني، دا اشوف بلكي الگي فد (ربع عرگ)!





الصديقان الحميمان

حسن فهمي المدفعي، الملا عبود الكرخي عاشا متلازمين وتوفاهما الله في نفس اليوم المصادف ١٧/ ١١/ ١٩٤٦ م.

(من أرشيف المؤلّف)

قره قوش يحلم بالكرخي.

هل يجوز مثل هذا الدعاء في الصلاة؟

شاعران وقصيدة واحدة.

رأى الأستاذ (قرقوش) فيما يرى النائم المرحوم الكرخي، وجرت بينهما محاورة نشرها في جريدة (چفچير البلد) صباح السبت ١٨ كانون الأول ١٩٤٨ : ـ

دقت ساعة الحائط تعلن الثانية زوالية بعد منتصف الليل، وقد تعبت من الكتابة (لچفچير البلد)، فتركت المنضدة، واندسست في الفراش الدافئ ، وأخذتني سنة من النوم، فرأيت فيما يرى النائم، أنني واقف في مدخل جسر الملك فيصل أستعرض المارة، وإذا بي أجد الفقيد المرحوم الملا عبود الكرخي الشاعر العامي المعروف، يسير وبيده عصاه المعتادة وعلى رأسه سدارة (الچبن) المعروفة، يتلفت يميناً وشمالاً فاقتربت منه وسلمت عليه:

ـ هاي وين ملاّ، اشولَنشوفك. . لنسمعك. . ؟

فوقف المرحوم ونظر إليّ ملياً ثم استبشر وقال ضاحكاً:

ـ أهلاً وسهلاً ومرحباً. . أهلاً بالأستاذ قره قوش. . والله تعرف شگد مشتاق!

ـ الداعي أشوق، لكن هاي وين ملا؟

ـ يا أخي شتريد مني؟ متخلّيني مرتاح وخلصان من هَلْغوات آني وين اكدر اسكت:

لساني ما اگدر اضبطه   ولا اتمكن اسنده

والله ملا ماكو أحد يسد فراغك، كل ما تصير قضية اتلفت بلكي تبين سدارتك لو عوچيتك وقبض ماكو؟

ـ شوف أستاذ، آني أحمد ربي وأشكره لأن خلصت من هلدنيا الوصخة گبل ما تصير قضية فلسطين. يعني شتتصور لو آني موجود؟ چان احچي عله گص راسي. لكن زين صارت خلصت وارتاحيت.

ـ منظمت فد شي جديد ملا؟

وهنا قهقه الملا عبود ـ رحمه الله ـ قهقهة عالية وقال:

ـ هاي خوش حجاية، اسمع داقرالك:

اتم بالبير أمد راسي غَصُب واصيح — واضبت اللغز ما انظم بتصريح
بالبير أنا خايف انگلب واطيح — هذي وين چانت لي هلبليه؟

ـ وبعد، ملا، متحجي عالوضع الحاضر مال العالم وشلون صاير؟

ـ مولانة، متخليني بقهري وبدردي: ـ

مَن يگدر على حلگ السبع جايف — يگول ودائماً يبقى وجل خايف
كلما انشوف عوجه نگول ميخالف — أحسن ما يسدوها الجريدتنه

ـ ملا وشتگول عالدخيل الديمتص دماءنا ودينهب فلوسنا، والخزينة خاوية، والحكومة دتنسّق الموظفين، مسمعت بهذا؟

ـ يا أخي، موشفنه هوايه من أمثاله، يعني هاي جديدة؟ ـ مو هذا حچايته تعدت الحدود؟ منظمت فد چم بيت شعر، سجعة؟

ـ يعني اِلّه تحچّيني، دسمع:

يا عراقي يا ابو گلب الفطير — لا تظل قشمر لكل دوني وحقير

❁ ❁ ❁

شفت في بغداد أغيد چلبي — قصير قامه عقرب ويدبي دبي
متلون قسم احلف بالنبي — هذا جاسوس أجنبي جداً خطير

❁ ❁ ❁

أبيض أمرد وبنزاكه ينشني — بعَظمه يحچي كمخلص وطني
من تقصده شيل بيدكِ يمني — أبو العقجه وعلى راسه هالحقير
ذوله الله جابهم عالوطن داء — وبهم جاء على الكون البلاء

منين أجيب النايمين النبلاء جَانَ سحكوا بالقنادر هل حقير

❀ ❀ ❀

ألف وسفه مثل هالفار النجس ميسوه من جعيبه ليراسه فلس
صار واعظ بالوطن ينطي درس عگب عين القطط ويصوفر صفير

وبينما نحن في حديثنا إذا بالمرحوم نوري ثابت بك صاحب جريدة حبزبوز يشير إليه من رصيف الشارع المقبل فقال:

- يابه نترخص، حبزبوز ديريدني.

وصحت على أستاذي حبزبوز:

- تفضل أستاذي أريد آخذ منك حديث!

- يابه اسبوع اللاخ نجيك آني والملا.. هسه عدنا شغل شويه، نريد نمر يم مختار الشواكه نشوف شغلنه وياه(1)..

وإذا بصوت خالتي يرتفع..

- يالله عاد يا قره قوش، الساعة صارت بالعشرة!

❀ ❀ ❀

من مشاهدات الكرخي الصحفية في المناطق الشمالية من العراق، وجدنا هذه الملاحظة في أحد دفاتر جيبه:

الشيخ البرزاني (لم يذكر اسم من منهم) كان يصلي جماعة، وخلفه أعوانه، وبعد انتهاء الفرض، يرفع يديه إلى السماء داعياً:

- اللهم خذ روح فلان (كان يسميه طبعاً).

وحين يسمع الأعوان هذا الدعاء ينطلقون (لأخذ روحه) فعلاً.

ثم يشيعون بين الناس بأنَّ أمر الله نفذ فيه استجابة لدعاء شيخهم الورع؟؟

---

(1) مختار الشواكه أو الكريمات كناية عن السفير البريطاني، حيث تقع السفارة بين هاتين المحلتين بجانب الكرخ.

جريدة (الأخبار) البغدادية الصادرة بتاريخ ٧/ ١٢/ ١٩٤٩.

ولا ندري كم هو عدد الذين نفذ فيهم أمر الله بهذه الصورة الإجرامية، (حاشا لله، ونعوذ به من شر خلقه).

❀ ❀ ❀

شاعران رقيقان، هما الأستاذ علي الخطيب[1] والأستاذ مهدي العبيدي، اجتمعا في (كازينو)، فقال العبيدي لصديقه الخطيب إنَّه أراد نظم قطعة عنوانها: (قطرة طل) وقد قال: ـ

يا حبذا لو شي قد مر يمسح ما   تبقين من أثرٍ يا قطرة الطل

واستعصى عليه نظمها، ثم تكلما في معانٍ تجول في خاطريهما نثراً، فأوضح كل منهما لصاحبه ما توحيه له تلك القطرة.

وقال (الخطيب) في نهاية الحديث: حسناً ولنبدأ بنظم القصيدة؟! وقال المطلع ثم تمت القصيدة بالشكل التالي وبعنوان (قطرة طل).

يا قطرات الطل عند الضحى

عالقاتٍ في ورق الزهر

من مدمعي أنتن أم من خاطري

تلمعن أم من الق الفجر

الورد لولاكن لما تكن

أنفاسه طيبة النشر

❀ ❀ ❀

(١) هو شقيق الشاعر العالِم مفتي بغداد عطاالله الخطيب، وهو ابن محمد جميل ابن عبد القادر، وتعرف أُسرته بآل الخطيب الشهرباني، وجدها عبد القادر مترجم كتاب (تذكرة الشعراء) أو شعراء بغداد وكتابها في أيام وزارة داود باشا والي بغداد وقد نشره الأب الكرملي سنة ١٩٣٦. وعبد القادر هذا ابن محمد مختار (خطيب بلدة شهربان). وكان محمد جميل والد علي الخطيب أمين الإدارة في قوة الدرك على العهد العثماني، ثم تولى رئاسة بلدية بغداد ثلاثة أشهر وتوفي سنة ١٩١١ عن خمسين عاماً وكان كاتباً وشاعراً باللغة التركية.

وعلي الخطيب أديب وشاعر، ولا عجب فهو من أسرة أدب وعلم وشعر ودين.

في عام ١٩٥٤ كان مديراً مسؤولاً لجريدة (صدى الأخبار) لصاحبها جبران ملكون، وهي جريدة يومية سياسية مستقلة.

صحفي على خشم وسيف.

قابل حرام؟

نماذج من طلاب النيابة.

تحدّث المرحوم الفنان عبد المنعم الجادر في جريدته (كل شيء) في السابع من تموز ١٩٦٩ عن نكات الكرخي وسرعة بديهيته قائلاً:

يروى أن أحد رؤساء الوزارات ـ قبل ربع قرن ـ أقام حفلة حضرها لفيف من الأدباء، منهم واحد لم تكن الدعوة قد وجهت إليه، فأراد الداعي إحراجه أمام المدعوين فسأله:

ـ يابه؟ أنت مو من المدعوين، ليش جاي؟

فقال ذلك المتأدب:

ـ اني جاي لأني أديب على سن ورمح!؟

والتفت الداعي إلى الصحفي الملا عبود الكرخي ـ مداعباً ـ وسأله، وكان من المدعوين للحفلة:

ـ مولانه، وانت شنو؟؟

وحبكت النكتة عند المرحوم الكرخي فقال له:

ـ مولانه وبابوجكم فوگ أحذانه(١)، آني صحفي على خشم وسيف!؟

❁ ❁ ❁

---

(١) البابوج ضرب من الأحذية، وغالباً ما تستعمله النساء.

أورد الأستاذ سليم طه التكريتي هذه النكتة في مجلة (قرندل) الصادرة بتاريخ ١٩٥٧/٢/٢١ تحت باب (ذكريات ضاحكة): كان أحد المحامين المشهورين اليوم صديقاً للشاعر الشعبي الكبير المرحوم ملا عبود الكرخي، وكان المحامي(*) يأخذ مجلسه المعتاد مساء كل يوم في مقهى كانت تقع عند مدخل جسر المأمون (الجسر العتيق)(١).

وفي أحد الأيام مرَّ الملا عبود وهو مصطحب شاباً صغيراً من أقربائه، وسرعان ما غمزه المحامي بالسؤال عن الفتى الذي يسير معه، فأعلمه الملا بواقع الأمر، وبعد أيام كان الملا يسير في نفس الشارع ومعه واحد من أبنائه، فإذا بالمحامي يعترضه قائلاً:

ـ ها ملا هذا هم گرايبك؟

فما كان من الكرخي إلاّ أن صرخ بوجهه قائلاً:

ـ لك ملعون الوالدين، آني عندي عشرين ولد يعني قابل حرام عليّ أمشي ويّه واحد منهم؟

❀ ❀ ❀

جرت عادة الكرخي على تقضية يوم الجمعة من كل أسبوع، متنقلاً في المجالس البيتية للوزراء والكبراء، والأدباء والعلماء وغيرهم لما له معهم من صلة وألفة، ولغرض صحفي أيضاً.

وفي أحد أيام الجمع زار المرحوم ياسين الهاشمي في بيته، فوجد في الباب ثلاثة من رؤساء العشائر يرومون الدخول، وهم يتهامسون، فوقف قريباً منهم، وأصغى لحديثهم متظاهراً بعدم الإصغاء، وعدم الاهتمام بحديثهم، فسمع أحدهم يقول للآخر:

ـ أنت أول ما تدخل سلم، وعرِّف الباشا باسمك، ولا تجيب طاري النيابة، هو يصير عنده معلوم.

فأجابه الثاني وكان (صابغاً لحيته وسنونه مهدمة):

ـ أنا (يستنخبوني) نايب بغير منية لأن طلعت (مشنوي) ويعني (منتخب

(*) المحامي هو المرحوم قاسم العلوي.

(١) أطلق عليه اسم (جسر الشهداء) فيما بعد.

ثانوي). حيث كان الانتخاب يجري على درجتين آنذاك.

وحانت من أحدهم التفاتة إلى ملابس صاحبه فقال له:

- ليش لابس عباتك الجربه العتيكه وعندك عباه جديدة مجلبدة؟

- بعدهي عند الخياط، والوكت تدارك، وغصباً عليّ لبست هالعباه.

وبعد أن سمع الكرخي كل ما دار بين هؤلاء الزوار الثقلاء التفت إليهم وقال:

- يابه، متگولي شنو المقصد من مجيئكم إلى بيت الباشا، زيارة لو تجارة؟ (ويقصد بقوله تجارة محاولة إحراز كرسي نيابي).

فأجابه أحدهم وهو يحمل خيزرانه، وله زوج شوارب لا بأس بكبرها:

- لا زيارة ولا تجارة، جينه نتعرّف على الباشا ثم دخل الجميع، وكان الأستاذ أمين خالص[1] جالساً بجنب صاحب البيت ياسين باشا في صدر المجلس، أما أنا فجلست بالقرب منه.

وهناك دخل واحد من هؤلاء الثلاثة وتقدّم لأداء التحية ولما كان لا يعرف مَن هو صاحب البيت، أخطأ فمد يده إلى أمين خالص قائلاً:

- شلون كيفكم باشا، أدام الله وجود الباشا.

ولما كان الأستاذ أمين دمث الأخلاق، كره أن يفاجئه بقوله (آني مو الباشا) وإنَّما رد عليه التحية ولطفه ثم أشار بيده إلى الباشا قائلاً:

- ذاك هو الباشا.

فارتبك أخونا بالله، واشتبه عليه الأمر وظنَّ أن الذي أشير إليه هو عبد الحميد الدبوني (قائمقام خانقين) لقربه من الباشا.

فذهب وصافحه وسلّم عليه قائلاً:

- حياك الله وجعلك ذخراً للعرب والعروبة.

فأجابه الدبوني:

- متوهم مولانه! الباشا عن يمينك، ولما كان الكرخي بالقرب منه، اشتبه

(١) كان يشغل منصب مفتش إداري في وزارة الداخلية في الثلاثينات.

الزائر الكريم للمرة الثالثة وتقدّم من الكرخي ظناً منه أنه هو المقصود (سيما وأنهما يرتديان نفس السدارة المصنوعة من الچبن)، وتقدّم لمصافحته، فبادره الكرخي على الفور خوفاً من أن يخلع عليه لقب الباشوية هو الآخر والذي هو بعيد عنه بعد اللبن عن وجه مرزوگ، وقال له: ـ شصار بيك ارتبكت اكو واحد يجهل الباشا؟ هذا هو. وقاده بيده كالأعمى إلى مجلس الباشا.

وكان أحد الظرفاء حاضراً فهمس بأذن الكرخي، بعد أن شاهد هذه المهزلة بأم عينه:

ـ تتذكر لما كتبت بالجريدة (باشه صرت من پشونك؟)، بس انت الآن من بشونك؟ وكاد لقب الباشوية يأتيك عفواً؟

فضحكا على هذه النماذج الهزيلة من طلاب النيابة، وانصرفا مستأذنين.



بكم سعر (الصوت)؟!

الكرخي يحيي صحافة مصر الحرة.

الكرخي والسمكة الفاسدة.

ماذا قال لرئيس التحرير عند تأخّر صدور جريدته.

صحفيون قدامى وشركات النفط.

في الثلاثينات أنشأت أمانة العاصمة دورات مياه عامة في شارع الرشيد، كان القيم عليها يتقاضى أربعة فلوس عن (العمل الكبير) وفلسين عن (العمل الصغير). ومن باب التفكهة والنقد دخل الكرخي ـ متقصداً ـ واحدة منها، وعند الخروج سأل القيّم:

ـ كم هو الحساب؟

ـ الكبيرة بأربعة فلوس والصغيرة بفلسين!

فدفع الكرخي ستة فلوس وانصرف، وبعد أن مشى بضع خطوات، رجع مسرعاً إلى القيّم وقال له:

ـ مولانا.. آني ما أريد أكل حق الحكومة... باجر شبر واربع أصابع، تره من غير الجبيرة والصغيرة، خرجت من تحتي أربعة (أصوات)؟! شكد تسوي دا انطيك؟؟ فضحك القيّم ولم يفطن أن صاحبه هذا، هو الكرخي الذي أراد بهذا الأسلوب الساخر أن ينتقد أمانة العاصمة على تسعيرتها.

❀ ❀ ❀

نقلت (المنار) بتاريخ ١٩٦٧/٥/١٢ تحية سبق أن نشرها الكرخي في

جريدته بتاريخ ٢ كانون الأول سنة ١٩٢٩ موجهة إلى صحافة مصر الحرة، وها هي بالنص: ـ

«حيا الله مصر وحيا الله صحافتها الحرة وحيا الله نفوس عظمائها الأبية.

تلقب الصحف الوفدية أحمد لطفي بك السيد، مدير الجامعة المصرية ـ سابقاً ـ بمعالي (جبل اولمب)!

فلو هبَّ علينا نسيم الحرية الصحفية وكتبنا عن أحد الوزراء ـ مثلاً ـ ولا موجب لتشخيص ذلك الوزير الآن!:

(معالي منارة سوق الغزل)! ترى ماذا كان يحدث؟ أتظن أنهم يكتفون بإغلاق الجريدة فقط؟ هذا ما لا أظنه أنا ولا يظنه نصف سكان مستشفى المجانين! بل قل إنهم سوف يرسلون الجريدة إلى النار وصاحبها إلى الدمار.

ومَن لا يصدّق فليجرب.

❀ ❀ ❀

من نكات الكرخي ذات المغزى السياسي، والتي تحوّلت فيما بعد إلى مثل شعبي سائر، واسع الانتشار: أنَّه تقدّم مرة من بائع سمك في (علاوي الحلة) بجانب الكرخ وحمل واحدة منها وأخذ يشمها من ذيلها، فاعترض عليه البائع مستغرباً وقال له:

ـ ملا.. إذا أردت التأكد من طزاجتها فعليك أن تشمها من رأسها!؟

فأجابه الكرخي ساخراً:

ـ أنا أعلم ذلك، ولكنني أردت التأكد، هل أن رائحة التفسخ وصلت إلى ذيلها!؟

❀ ❀ ❀

تأخرت جريدة (الكرخ) عن الصدور في موعدها المحدد، فاستشاط غيظاً وقصد في التو دار ابن أخيه المرحوم عبد الأمير الناهض الذي كان رئيساً للتحرير، فناداه بحدة وغضب:

ـ لماذا تأخرت الجريدة عن الصدور؟

ـ عمي..! مو اني صايم!

(وكان ذلك في شهر رمضان المبارك).

فحبكت النكتة وحكمت القافية عند الكرخي فأجابه:

ـ وعلى... نايم.

ثم انصرف ضاحكاً.

❀ ❀ ❀



جلسة اخوانية

من اليسار: مدحت أمين، الملا عبود الكرخي، حسن إبراهيم الكرخي (بالنظارات)، الآخرون لم نتوصل إلى معرفتهم.

(من أرشيف المؤلف)

قال صحفي في جريدة (المنار) عام ١٩٦٧ تحت باب (بالمناسبة) وبتوقيع (ميم) ما يلي: -

للصحفيين القدامى حكايات كثيرة مع «النفط».. و«شركات النفط».. ومَن كان يحمي جشعها وسرقاتها.. هذه سطور منها لم تنشر من قبل.

أبو الصدارة!

ذات عيد جلس الصحفيان المرحومان الملا عبود الكرخي وعبد الرحمن البناء في مقهى بالباب الشرقي.. ودخل أحد متعهدي النفط والبنزين آنذاك.. وكان من غير العراقيين.. ومعه لفيف من المسؤولين المتعاملين في تعهدات النفط والبنزين.. وتساءل لفيف من الجالسين في المقهى عن مصادر البذخ البادية على ذلك المتعهد الذي تسلّل بطريقة ما إلى العراق فأثرى على حساب أبناء البلد.. فقال البناء مجيباً على التساؤلات بتهكم:

النفطخانه اليوم عندي

هذا صوجر. لو له شندي؟

هالأغا صاير أفندي

امحزّم. ولابس صداره! (سدارة).

وضحك المتسائلون.. وقال الكرخي يكمل:

امحزم أو يشبه البومه

امهندز أو حلوه اهدومه باچر اتجيكم اعلومه وابد متفيده النداره!

حبزبوز يشارك!

وسمع المرحوم نوري ثابت بالحادثة بعد فترة فقال يكمل: يا أغاتي اشچم مجيدي ابجيبك؟ اوها ليوم عيدي! خلّني بهمومي أو حديدي وانت وأعوانك سكاره!

(ميم)

❁ ❁ ❁

الرصافي وقدر الباميه.

هل نظم مصطفى علي الشعر؟

الرصافي والكرخي في تكريم الأمير عادل ارسلان.

في عام ١٩٣٠ كان للمرحوم الرصافي خادم يدعى (حمدان)[١] يجمع بين البلاهة وعدم الأمانة، وفي ذات يوم أعطاه الرصافي خمس روبيات، ليطبخ له بامية وليدبر أمور منزله بالباقي، فقد كان الرصافي قنوعاً بأنواع الطعام فهو لا يأكل إلاّ نوعاً واحداً منه يومياً، وبعد رجوع الخادم من السوق أعلم أستاذه بأنَّه صرف جميع الروبيات على (قدر البامية)!! وكان يتكلم وعلائم الخيانة بادية على وجهه، فغضب الرصافي لهذا الأمر غير المعقول وسأله: ـ ولك! ما تفهمني شسويت بالخمس روبيات؟

فأخذ الخادم حمدان يعدد مشترياته: ـ بانتين بامية، وبانة طماطة، وبانة راس ثوم، وبعشر انات لحم، وبانة فلفل وبهارات وبانة للحمال.

فأجابه الرصافي: ـ زين هاي كلها صارت روبية واحدة، والأربع روبيات الباقية وين صارت؟

فتلعثم الخادم وقال:

ـ اشتريت بيها فحم لطبخ البامية؟!

فما كان من الأستاذ الرصافي إلاّ وصرخ به:

---

(١) بعد (حمدان) اتخذ من (عبد صالح) خادماً له، وأوصى أن تؤول تركته إليه بعد موته.

ـ ويحك، أما كان الأجدر بك أن تضع الفحم في القدر وتشعل تحته البامية واللحم، لأنَّ البطانة أصبحت أغلى من الوجه.

❀ ❀ ❀

كان المرحوم الهاشمي[1] يعطف كثيراً على الصحافة والصحفيين لدرجة أنَّه ساعد مرة في زواج أحدهم مالياً، حتى أن بطاقات حفلة عقد القران طُبعت على حسابه الخاص.

وفي (دار العلوم)[2] بالأعظمية أقيم حفل عقد القران.

فلما سمع الأديب المعروف الأستاذ مصطفى علي[3] بقصة هذا الزواج نظم

---

(١) ياسين الهاشمي: وُلِدَ في بغداد سنة ١٨٨٤ م وأتم دراسته في المدرسة الحربية في استانبول فتخرّج منها ملازماً ثانياً عام ١٩٠٢، وتقلّد بعد ذلك مناصب مختلفة في الجيش العثماني حتى إعلان الحرب العالمية الأولى، وكان إذ ذاك رئيس أركان حرب الفيلق الثاني عشر في حلب.
عاد إلى بغداد عام ١٩٢٢ فعُيِّنَ متصرفاً للواء المنتفك، فوزيراً للأشغال والمواصلات عام ١٩٢٢، وانتخب عضواً في المجلس التأسيسي فنائباً في مجلس النواب، وفي ٤ آب ١٩٢٤ تقلّد رئاسة الوزراء إلى أواخر عام ١٩٢٥، وأُسندت إليه بعد ذلك وزارة المالية خمس مرات ثم تقلّد رئاسة الوزارة للمرة الثانية في ١٧ آذار ١٩٣٥. وفي عام ١٩٣٦ أطاح به انقلاب الفريق بكر صدقي فهرب إلى سوريا وهناك توفي إلى رحمة الله.

(٢) دار العلوم الدينية والعربية: مدرسة وقفية يعود تأسيسها في الأصل إلى سنة ٤٥٩ هـ، وسُمِّيت باسم الإمام أبي حنيفة النعمان. وفي زمن الانقلاب العثماني طالب منوروا الأعظمية بإصلاحها، وبعد جهود طويلة قرّرت الحكومة العثمانية إعادة فتحها وتنظيمها سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) باسم كلية الإمام الأعظم. وفي عهد الحكومة الوطنية عام ١٩٣٤ استبدل اسمها القديم من كلية الإمام الأعظم إلى دار العلوم الدينية والعربية، وكانت هيئتها التدريسية تتألف من الحاج نعمان العبيدي الأعظمي ـ مديراً ـ والسادة طه الراوي، كمال الدين الطائي، نجم الدين الواعظ، عبد اللطيف ثنيان رشيد الشيخ داود، محمد القزلجي، ناظم جعفر، شيت نعوم، محمد سعيد الأعظمي، حسيب السعدي، عبد المجيد الخوجة، عبد الهادي الأعظمي، عبد الحميد الهيتي، حسين الأعظمي، كمال إبراهيم الأعظمي.

(٣) مصطفى علي: من الأدباء البارزين، وذوي الاطلاع الواسع، أشغل عدة مناصب (بعد أن مارس المحاماة مدة غير قليلة) منها رئاسة كتاب مجلس النواب وكاتب عدل جنوبي بغداد وملاحظية الأمور الذاتية في وزارة العدلية.
وهو يجمع إلى أدبه ثقافة عالية، وقدرة صحفية، وجرأة نادرة، وقد منح امتيازاً لإصدار =

هذين البيتين الساخرين يصف بهما ذلك الحفل:

وفـي (دار الـعـلـوم) أقـيـم حـفـل | لـعـقـد قـران (عـادل...)
وقـام الـحـاج (...) خـطـيـبـاً | لأن الـحـاج شـيـخ الـ ...

زار بديوي الحاج رحومي الأستاذ الرصافي في بيته، فوجد المرحوم الكرخي جالساً مع الرصافي واجماً واضعاً يده فوق خده، فسأله بديوي: ـ ماذا بك يا أبا نجم؟ أراك على غير عادتك.

فأجابه: ـ الطابوگ نام والشگنك گام.

فاستفسر منه بديوي عن مقصده فأجابه:

ـ إنك تعلم أن الأمير عادل أرسلان قدم إلى بغداد، وقد أقام له لفيف من المحبين وعلى رأسهم المرحوم ياسين الهاشمي حفلة في (سينما رويال) ـ سينما الحمراء الصيفي ثم موقف للسيارات الأهلية حالياً ـ ولم أُدعَ لهذه الحفلة التكريمية فتألمت كثيراً، إلاَّ أني لما رأيت الأستاذ الرصافي لم يُدعَ أيضاً هان الأمر عليّ، في الوقت الذي كان يجب أن يترأس الرصافي هذه الحفلة.

وفي هذه الأثناء دخل شفيق نوري السعيدي وسلّم وجلس، وكلَّم الرصافي والكرخي قائلاً: ـ إن ياسين الهاشمي يعتذر لعدم إيصال بطاقتي الدعوة لكما، وهو يدعوكما للحضور الآن، فرفض الرصافي وسكت الكرخي، فكرّر شفيق الكلام والتمس من الرصافي تلبية الدعوة فرفض ثانية وبإصرار. فعاد شفيق من حيث أتى. وبعد نصف ساعة أتى ياسين الهاشمي بنفسه ومعه عدد من الأشخاص، فدعاهما لحضور الحفلة واعتذر لعدم وصول البطاقتين إليهما، فوافقا وتهيئا للحضور. ولما وصل الرصافي والكرخي وبديوي إلى مكان الحفلة وجدوا القاعة غاصة بالمدعوين، فأحضرت لهم الكراسي وصُفّت بالقرب من الشاشة.

= جريدة باسم (المعول) عام ١٩٣٠ ـ١٩٣١ م وقد حياها صديقه الكرخي بقصيدة ظريفة مطلعها:

جـوز مـن الـكـذب، اثـول | يـكـسـر راسـك (الـمـعـول)

وهو راوية المرحوم الرصافي وقد حقق وطبع ديوانه. وكان أول وزير عدل بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. توفي إلى رحمة الله في الثمانينات. (٤ آذار ١٩٨٠).

افتتح الحفلة الأستاذ الهاشمي بخطبة ارتجالية بليغة رحَّب فيها بالأمير عادل أرسلان. بعده تعاقب الشعراء والخطباء، والرصافي يدعك شاربه بأصبعه وهي علامة غضبه.

فسأله الكرخي: ـ ما رأيك يا أستاذ؟ فأجابه:

ـ اصبر شوية؟!

وعندما انتهى الخطباء والشعراء تغيّرت سحنة الرصافي وجحظت عيناه، فقام وارتجل القصيدة الشهيرة التي مطلعها:

علــم يـعــززه مــن دولــة عــلــم ... في كل عصر به قد سادت الأمم

فصار بديوي يضبط القصيدة، وكان إلى يمينه المرحوم جعفر الشبيبي وإلى يساره الأستاذ مصطفى علي، فكانا ينتزعان الأوراق من مفكرتيهما ويسلمونها إلى بديوي لضبط القصيدة كاملة، إلى أن ختمها بقوله:

يا عادلاً كاسمه لا تنسَ مظلمتي ... عندي خصوم وما عندي لهم حكم

فدوى التصفيق زهاء ربع ساعة، وهو يشير بهذا البيت إلى الأستاذ الهاشمي وينحي عليه باللائمة لعدم توجيه الدعوة له مسبقاً ليكون مستعداً أكثر فأكثر ولو أنه لم يقصر وإن كان قد حضر متأخراً.



لقاء بين الرصافي ومستشرقة فرنسية.
إبراهيم أدهم الزهاوي وشعر القبانجي.
ماذا كتب الصائغ عنيسي على عصا الكرخي؟
من نوادر المشتركين في الصحف.

حدثني المرحوم عمي نجم عبود الكرخي عن بعض ذكرياته يوم كان مديراً لإدارة جريدة (الكرخ)، قال:

ـ قدمتْ إلى بغداد مستشرقة فرنسية كانت تود زيارة الأستاذ الرصافي، فراجعتنا بهذا الخصوص، إلاَّ أننا أحلناها إلى الزميل نوري ثابت (حبزبوز) لتسهيل أمر هذه الزيارة لكونه من المقربين جداً إلى الرصافي، فاتصلت به ولكنه اعتذر لأسباب تتعلق بأحوال الرصافي، إلاَّ أنَّها أصرّت عليه فلم يتمكن من رد طلبها، ثم أنه اصطحبها معه إلى بيت الرصافي، وبعد أداء التحية وإجراء التعارف، جلست فأمر لها الرصافي بشاي فاعتذرت، وبقهوة فاعتذرت أيضاً ثم بحامض فاعتذرت ثالثة، ولما رأى أنَّه كلما يأمر لها بشيْ تقابله بالاعتذار حبكت عنده النكتة فصاح بخادمه حمدان:

ـ اذن، قم وعمر لها (بيكاً) من المستكي.

وهنا وضع حبزبوز يده على قلبه منتظراً ما ستقوله هذه المستشرقة تجاه هذا الأمر الشاذ، وكم كان عجب الجميع شديداً حينما انطلقت أساريرها وقالت بلهجة رقيقة انطوت على رحابة صدر:

عفوك يا أستاذ، إنني لا أشتهي شيئاً الآن، وحسبي أنني اجتمعت بك لأتحدث وإياك عن الشعر العراقي ومواضيعه. ثم أنهما انغمرا في الأحاديث وانشغلا في المحاورات مدة طويلة، قامت بعدها فودّعته وداعاً حاراً وهي تثني على أدبه الجم وشاعريته الفياضة وروحه المرحة. وفي طريق العودة قالت لحبزبوز:

ـ إنَّ الرصافي مغبون في هذا البلد، وإن معيشته الحالية لا تليق به كشاعر عظيم يندر وجود مثله في البلاد العربية.



إبراهيم أدهم الزهاوي(*) شاعر مفلق وحجة قاطعة في النحو والصرف، وهو صديق للمطرب العراقي محمد القبانجي، وقد تعوّد القبانجي أن يقرأ على الأستاذ الزهاوي ما ينظمه ويلحنه من الأبيات العامة، وعندما سمع الزهاوي هذه الأبيات من قصيدة القبانجي التي أولها:

(اتبع حبيبك ... وارضى بنصيبك)
والدنيا لعنه ... كلها محايل
يميلون أهلها ... مع كل مايل
يوجد أكارم ... لكن قلائل
عند الشدائد ... يبين صحيبك

مال الزهاوي على القبانجي وقال له:

ـ يا محمد! إنَّ الذي ساعدك على النظم هو الأستاذ الشاعر الكبير الملا عبود الكرخي، ولو لم تكن معاشراً هذا الرجل لما تسلطت على هذا النظم البديع.



كان الصائغ الشهير الشيخ عنيسي الفياض قد أهدى المرحوم الكرخي

(*) إبراهيم أدهم الزهاوي: وُلِدَ في بغداد ودرس في مدارسها وأحب اللغة والعلوم الدينية، ودخل جامعة آل البيت فتخرّج منها عام ١٩٣٠ م، وبدأ ينظم الشعر في حداثة سنه حتى أصبح من الشعراء المجيدين، ليس له ديوان مطبوع ولا يحب أن يجمع شعره. إلاَّ أنَّ د. عبدالله الجبوري جمع شعره وطبعه بعد وفاته.

مقبضاً من الفضة المزركشة (بالمينة) للعصا التي كان يحملها، وبعد أن شكره الكرخي على هديته النفيسة، قال له:

- أرجو إتمام الفضل بكتابة هذا البيت عليه:

أنا الكرخي من الرجال الخلصا[1] شاعر الجمهور صاحب هل عصا

وفعلاً فقد لبى الشيخ عنيسي طلب صديقه ونقش هذا البيت على العصا وأرسلها إليه في اليوم التالي.

❀ ❀ ❀

كتب أحد المشتركين في جريدة حبزبوز العريضة الآتية وقدّمها إلى قائمقام قضائه: -

صاحب السعادة قائمقام (. . .) المحترم

لي الشرف بأن أقدّم استقالتي من جريدة (حبزبوز). أرجو قبولها أطال الله عمركم وعمر أولادكم سيدي لأني موش اعرفن اقره واكتب.

خادمكم يا مولاي

(. . . . . .)

فعلّق عليها القائمقام:

تحال هذه الاستقالة (الرفض) إلى الجريدة.

(قائمقام قضاء (. . . . . .)

فكتب له مدير الإدارة الكتاب الآتي بواسطة القائمقام.

قَبِلْنا مع الممنونية استقالتكم ونحن كنا (موش) أرسلناها لكم إلاّ بطلب منكم. نرجو إرسال ثمن الطوابع لمدة سنة لأننا (موش) سراكيل عندكم، و(موش) خدام أو قهوجية في مضيفكم، وعند عدم الإرسال سننشر اسمكم، قلل الله من أمثالكم ودمتم أفندم.

مدير الإدارة

حاتم عبودالكرخي

❀ ❀ ❀

---

(١) الخلصا: الخلصاء، قد حذفت الهمزة للضرورة الشعرية.



نوري ثابت (حبزبوز)، الملا عبود الكرخي في الثلاثينات
(من أرشيف المؤلّف)

حبزبوز والشعر الشعبي القديم.
منيرة الهوزوز في مجلس الرصافي.
الرصافي وقصيدة السنتري.

الكرخي يتيه في أسواق بغداد.

في مقهى (عارف آغا) اجتمع مرة حبزبوز بالكرخي فقال له:

ـ أشوفك گمت تطلع قصايد قديمة وتنشرها بالجريدة، أخاف صح المثل عليك «المفلس يدور دفاتر عتگ».

فسحب الكرخي من غرشته نفسين ثلاثة ثم أجابه: ـ

إذا أمـدح متـنـبـاع ويـشـتـمـونـي وإذا أقـدح ايـسـدوهـا ويـحـبـسـونـي
حـرت والله بـيـهـا خـابـت اظـنـونـي مـا أعـرف الـعـلـه شـنـهـو والأسـبـاب

❀ ❀ ❀

كان يجتمع في دار الرصافي يومياً على وجه التقريب عدد من الأدباء والشعراء والأصدقاء المقربين، ومن بينهم السادة مصطفى علي وشفيق سلمان وتوفيق الشيخ أحمد الداود وحبزبوز والكرخي وحسن الشگرة وبديوي الحاج رحومي وغيرهم، وفي ذات مرة همس بديوي في أذن الكرخي:

ـ جاءت راقصة جديدة إلى بغداد تجيد الرقص والغناء الشعبي وهي الآن في ملهى (ماجستيك) ـ الجواهري سابقاً بالميدان ـ تسمى منيرة الهوزوز، قم لنسمع غناءها.

فلما علم الرصافي بسر هذه الهمسة رجاهما أن يجلسا لأنه كان يتضايق إذا

خرج جلساؤه قبل أن يذهب هو للنوم، إلاّ أنهما أصرا على الخروج، فأقعدهما الرصافي ثانية، ولما كان الكرخي يتحاشى خدش عواطف صديقه الرصافي فقد أجابه إلى طلبه، ثم إنَّ أحد الجلساء كلّف بديوي بعمل أكلة (مطبك سمج) ليوم الغد، فاعترض الرصافي بقوله:

ـ لا... فليعمل لنا (كبة حامض شلغم) ونأكلها سوية هنا. وفي اليوم الثاني التأم الجمع في دار الرصافي ـ حسب الموعد ـ وإذا بالمغنية منيرة الهوزوز حاضرة أيضاً فقد عزَّ على الرصافي أن يحرم جلساءه من فنها وغنائها، فانقلب المجلس في الحال إلى مجلس لهو وغناء وشراب، ثم إن منيرة أبدعت في رقصها وغنائها بحيث خلبت الألباب وأثارت الإعجاب وبخاصة إعجاب أستاذنا الرصافي فارتجل بحقها قصيدته المشهورة والتي منها: ـ

هل سمعتم (منيرةً) مُذ أفاضت ... من بديع الغناء في كل فن؟
مذ أقرت برقصها كل عين ... واسترقت بصوتها كل أذن
رقصها يرقّص القلوب على أن ... غناها عن المزامير يغني

ثم إنَّ هذه القصيدة نقحت وأكملت ونشرت في ديوانه المطبوع فيما بعد.

❀ ❀ ❀

قال الرصافي للكرخي مرةً:

ـ وردت في قصيدتك الشهيرة (السنتري) أبيات لطيفة تعجبني كثيراً فقال له الكرخي:

ـ وأية أبيات تعني يا أستاذ؟ قال: ـ

يچد أبو كلاش ويعتني ... وياكل أبو الچزمه هني
والناس من آل وبني ... يچدون للحبنتري

ثم ودّعه الرصافي وهو يقول:

ـ هذا البيت اشتراكي محض.

كان الكرخي يلاقي صعوبة إذا أراد السؤال من الناس عن طريق أو محلة أو أي مكان آخر يجهل موقعه، لأنَّ الناس يعتقدون أنه (چفچير البلد) فهو إذن يجب أن يعرف بغداد شبراً شبراً، وكأنَّه الأستاذ البحاثة مصطفى جواد. ومن أطرف ما وقع له هذه القصة: أراد مرة أن يزور صديقاً له يسكن في محلة (بني سعيد)، وكان برفقته أحد الأصدقاء، فسارا من جهة (سوق القاطر خانة)،

و(سوق الدهانة) ثم (سوق الشورجة)، وهنا ضاع عليه (رأس الشليلة) فتقدّم من أحد (العلوجيه) وسأله:

ـ يابه يرحم والديك وين طريق بني سعيد؟

ـ روح عمي روح... هاي هلگد انت غشيم... انت مو ملا عبود؟

ـ بلي، لكن ما اعرف الطريق!

ـ بالله عليك روح على شغلك من الصبح يا فتاح يا رزاق. فاضطر الكرخي أن يواصل سيره، فتقدّم من رجل مسن وسأله عن الطريق فأجابه:

ـ هاي يمكن الشط زاد على عينك والرزق زاد على وجهك لأنَّك بُهُل غشيم.

فاضطر الكرخي أيضاً أن يواصل سيره، فتقدّم من بقال وسأله:

ـ يابه يرحم والديك متگلّي وين بني سعيد؟ فضحك البقال وقال:

ـ واي واي، بالله الدرهم بيش يروح؟ بربي انت غشيم يا ملا عبود، أظن المطر على وجهك يجينه.

فاغتاظ الكرخي كثيراً وصاح بصاحبه:

ـ يابه متروح انت تسأل، لأنَّ محد ديصدّگني.

وهنا أخذ صديقه يسأل الناس بدلاً عنه حتى اهتديا إلى المكان المطلوب ولكن بعد ايش؟ بعد شق الأنفس.



الكرخي والشيخوخة.

رأيه في خمار مسن.

ماذا قال عن الشباب المائع؟

حديث طريف بينه وبين حبزبوز.

سامي شوكت وقصيدة الكرخي في يوم الجيش.

في مجلس كان الحديث يدور حول همة الشيوخ وتقاعس الشباب قال الكرخي:

ـ لم أكن أعلم بأني شيخ مسن حتى سمعت ذلك من أفواه الناس فقيل له:

ـ وكيف كان ذلك يا أبا نجم؟

قال: ـ سبق أن نظمت قصيدة قلت في بعض أبياتها:

قد بلغت من العمر تسعين عام   لم تكن إلاً خيالاً في منام
أنا شيخ وهمتي همة غلام   وأسيب على الحيطان سيبة حيه

واتفق أن مررت بعد ذلك بأحد شوارع العاصمة فشاهدت شخصاً ماسكاً اذن صبي صغير وهو يقول له:

ـ عد لي سبع شياب وأهدك؟ فقال الصبي:

ـ أولهم ملا عبود الكرخي.

ثم أنه عدّد الباقين فأطلق ذلك الشخص سراحه، ولما سمعت قول هذا الصبي أيقنت أنني (شايب) صحيح.

❀ ❀ ❀

سُئل الكرخي مرة: ـ ما قولك في رجل دخل العقد السادس من عمره، وهو ذو لحية تدل على الورع والتقوى ومع ذلك فهو لا يفارق حانات الخمور ليلاً ونهاراً؟

فأجاب على الفور: ـ

طول عمره مگابل (الميخانه)[1]   ريت هل لحيه مكص كرخانه

وسُئل مرة:

ـ ما قولك في شاب يقلد أبناء الغرب المائعين تقليداً أعمى؟

فأنشأ يقول:

أرعن شلولو ميفتتن   بالغرب طبعه منعجن

❀ ❀ ❀

واجتمع مرة بصديقه حبزبوز فجرت بينهما المحاورة الطريفة الآتية:

ـ شنو هاي حبزبوز؟ أشوفك تمشي بين المايين؟

ـ يعني مقصدك شنو أبو نجم؟

ـ زين خلي نتكلم بالترهات!

ـ تفضل!

ـ أريد أسألك، أنت دارس: جذع النخل كم سنة يعمر؟

ـ هم استبدينه بالسياسة؟

ـ عجيب، شنو مناسبة جذع النخل بالسياسة؟

---

(١) الماي خانة: أصلها فارسي ومعناها حانة، خمارة.

- معلوم! لأن جذع النخل من الأخشاب البالية النخرة، ويستدل من ذكر هذه الأخشاب أننا نقصد الجسر القديم البالي، وذكر الجسر القديم هو نقد صريح إلى أمانة العاصمة، والنقد إلى أمانة العاصمة تدخل بالسياسة!

- عجيب! أسألك سؤال ثاني: تنكة النفط شتسوه هاليوم؟

- أوهو!.. انت عاجبك هاليوم تدخل راسي بالسياسة؟

- هسه يابه هاي شكو منها؟

- معلوم! لأن النفط يتعلق بالفوانيس والفوانيس هي نجوم أمانة العاصمة في الأزقة، والتكلم عن الفوانيس هو تحرش صريح بأمانة العاصمة.

- إنا لله وإنا إليه راجعون، يابه هسه نسألك غير شي!؟ هل يوم وزنة الشعير شتسوه؟

- آغاتي ليش ما نسترخص؟ يعني قابل ناوي تذبني تسعة بأسود؟

- هذا شيءٌ واضح كالشمس في وقت الظهر! لأنَّ الشعير علف الخيل والخيل يريدها (سايس) كلمة (سايس) مأخوذة من (السياسة)!...

- هسه حرنا وياك؟ بس شنسوي؟

مدد رجلك على گد[1] غطاك!...



قال السيد سامي شوكت[2] للكرخي بعد إلقائه قصيدة رائعة في ذكرى تأسيس الجيش العراقي عام ١٩٤٠:

- أنا أحب شعرك وأتتبعه دائماً، لأنك ذو عبقرية فذة، ولكن الشعب محروم من مواهبك، وكان من اللازم على الحكومة أن تستفيد من شاعريتك

---

(١) گد: گدر أي قدر ومعناها أن يلبس لكل حالة لبوسها.

(٢) سامي شوكت: وُلِدَ سنة ١٨٩٣ وتخرّج من المدرسة الإعدادية في بغداد ١٩١١، فالتحق بالمدرسة الطبية العسكرية في استانبول وتخرّج منها سنة ١٩١٦، وكان من شباب الفكرة العربية فعُيِّنَ طبيباً للجيش في ساحة (جناق قلعة) فرئيساً لصحة المشاة عام ١٩١٧ والتحق بالجيش العربي في سوريا سنة ١٩١٩، ثم عاد للعراق عام ١٩٢١، وعُيِّنَ عام ١٩٢٢ معاوناً لرئيس صحة بغداد. ونقل مديراً للمعارف عام ١٩٣١ وفي سنة ١٩٣٦ أسندت إليه مديرية الصحة العامة.

المحببة لنفوس الخاصة والعامة، ليستمتع الجمهور دائماً بما تجود به قريحتك الفيّاضة من الحكم والفوائد والتوجيهات وإن مثلك شخص لديه أراض واسعة ومضخات كافية لإروائها، ولكن هذه المضخات معطلة عن العمل، وإن الفائدة منها معدومة تماماً.

فشكره الكرخي على حسن ظنه، وخرج من ديوانه.



من نوادر المشاركين في الصحف.

على ظهر السفينة إلى الكوفة.

الجراب الناطق.

اجتمع المرحوم عبد القادر المميز، صاحب جريدة (أبو حمد) الهزلية بالكرخي في إدارة جريدته، وكان الحديث يدور بينهما حول نوادر المشاركين في جريدتيهما، فقال (أبو حمد):

ـ رفع أحد المشاركين في جريدتي ـ وهو رئيس في أحد الأقضية ـ عريضة إلى قائمقام القضاء يسترحم فيها إعفاءه من الاشتراك في الجريدة!!

فضحك الكرخي وقال لزميله (المميز):

ـ هذه المسألة بسيطة إذا ما قيست بما حصل لي مع أحد المشاركين فاسمعها: ـ حدث أن سجل لدي أحد الأصدقاء أسماء عدد من وجوه لواء من الألوية الجنوبية، وكان ذلك بمحض طلبهم ورغبتهم، فأرسلت إليهم أعداد الجريدة باستمرار ولم يرفضها أي واحد منهم، وبعد مرور ما يقارب السنة أعيدت لي نسخة أحدهم وقد حرّر على غلافها بالقلم الأحمر العريض «توفي إلى رحمة الله»، فشطبت اسمه من دفتر المشتركين. وعند ذهابي إلى ذلك اللواء تقابلت بطريق المصادفة وجهاً لوجه مع الذات الذي قيل عنه أنه توفي إلى رحمة الله، فقلت له بدهشة واستغراب:

ـ يا الله أبو فلان، السلامة السلامة.

ـ الله يسلمك ملا ويطوّل عمرك.

ـ يابه گالوا متت، شنو القضية؟

ـ إي والله ملا، متت حتى تشطب اسمي من الدفتر، ولما أصبحت خارج قائمة المشتركين احتييت والحمد لله.

طيب، وهسه راح أقيدك من جديد وأبعثلك الجريدة بانتظام، شتگول بهاي؟

ـ لا، ملا، دخيلك. تره هل نوبه أموت من صُدگ.

فما رأيك يا أبا غازي بهذه القصة الطريفة؟ ألا تزال في عجب من صاحبك رئيس البلدية؟. فأجابه: ـ وداعتك ملا إذا كان جماعتنا على هذه الشاكلة فاقرأ السلام على الصحافة العراقية.

❀ ❀ ❀

اتفق في عهد الحكم العثماني أن الكرخي أراد السفر من (المسيب) إلى (الكوفة)، ولما كانت وسائط النقل الوحيدة آنذاك هي السفن الشراعية في شط الفرات، فقد ركب إحداها وصادف أن كان على ظهر السفينة بعض الأعراب وأصحاب المصالح فانبرى أحدهم وسأل الكرخي:

ـ يابه، أهل الأمثال يكولون (ولّم الرفيق گبل الطريق)، شنو اسمك؟

ـ ملا عبود الكرخي؟

وسارت السفينة بسم الله مجريها ومرساها، وبعد أن قطعت مسافة قليلة، عاد هذا الرفيق وسأله ثانية:

ـ حاج سلمان! أُقدّم لك جكارة؟

ـ العفو مولانا، الداعي ملا عبود مو حاج سلمان!

ثم سارت السفينة بضعة كيلومترات وإذا بالرفيق يسأل ثالثة: ـ سيد عليوي، هل گاع شيسموها أرجوك؟

ـ عيوني الداعي ملا عبود موسيد عليوي!

وهكذا صار هذا الرفيق الذكي؟! بين آونة وأخرى يخترع من عندياته اسماً جديداً للكرخي. ولما وصلت السفينة إلى أرض تدعى (أبو فشيگه) بالقرب من الكوفة، هرع صاحبنا إلى النزول وقبل ذلك جاء لتوديع الكرخي قائلاً:

ـ يابه تره هم نسيتك، أرجوك شسمك؟

فاغتاظ الكرخي، وقال له:

ـ اسمي ملا زبل!؟

وفي الحال قال صاحبنا له: ـ أودعناك، ملا زبل، بالله سلّم لي على الجدامك، أرجوك، ملا زبل لا تنسَ؟! فاحتدم الكرخي حنقاً وقال له:

ـ ولك هي ملعون الوالدين، كل الأسماء نسيتها إلاَّ الزبل، بالله شحاچيك عاد يا نجيب!؟

❀ ❀ ❀

في ذات يوم ركب الكرخي إحدى سيارات الأجرة قاصداً مدينة الحلة، وكانت السيارة (مكتملة النصاب)، وقبيل الحركة بقليل أقبل أحد الأعراب يروم الركوب، فاعتذر السائق بسبب ضيق المجال، إلاَّ أنه أصرَّ بدعوى الاستعجال وكثرة الأعمال، فاشترط عليه السائق بأن ينام في الحوض الخلفي ويغطيه بعباءته كي لا يضبط من قبل الشرطة وهو يحمل أكثر من العدد المقرر فيساق إلى المحكمة فوافق الأعرابي، وتحرّكت السيارة، ولما وصلت إلى نقطة (جسر الخر)، أوقفتها الشرطة، وفي تلك الأثناء وقع نظر أحد أفرادها على شيءْ بارز بين أقدام الركاب، فسأل عنه السائق، فأجاب: ـ هذا جراب! يعود لأحد الركاب يا حضرة الباش!؟ وعندما سمع النائم كلمة (جراب) انتفض غاضباً وصرخ بالسائق:

ـ انچب حمار، جراب انت وأبوك!؟

فافتضح أمر هذا المسكين، بينما استلقى الركاب على ظهورهم من الضحك لهذه النكتة العفوية، أمّا الجراب الناطق!! فقد أنزل من السيارة منتظراً سيارة أخرى تنقله إلى الحلة.



من طرائف شيوخ (شمر).
الرصافي ونظم الشعر.
وين اليبشر مصطفى؟
عطا الخطيب وارتجال الشعر.

في مجلس ضم الأساتذة أمين خالص وصبري سعيد والشاعر الكرخي في عام ١٩٣٦، كان الحديث يدور حول ميوعة بعض الشباب وتشبههم بالجنس اللطيف، فقال أمين خالص للكرخي: لقد ذكرني هذا الحديث بقصيدة لطيفة قرأتها في ديوانك، أتخطر منها الأبيات الآتية: ـ

علّگله الزمانك راية السوده	أنواع الخزي اجّد على الموده
أجد للرجال الحف وتواليت	ولسانه يعوجه بـ (يس سر اوريت)
وأدعه الآنسه المحبوبه بنت البيت	تمشي سافره وبالطرق مهدوده

وفي تلك الأثناء أقبل غطريف بدوي، وبعد أن استقر في جلسته، قدّم أمين خالص الكرخي إليه بقوله:

ـ أتعرف هذا الرجل؟ هذا شاعر الجمهور الملا عبود الكرخي.

فأجابه ذلك الغطريف بلهجته البدوية المحبّبة:

ـ الله يرزقو ويطول عمرو ويچفينه شرو، وأشكرك يا سعادة الأخ چيف انك عرَّفتني بالرجل وهو صديق ابن عمي الشيخ عجيل. ثم إنَّ أمين خالص عرّف الكرخي بالشيخ مشعل نجل الشيخ فيصل، بعدها عاد الجميع إلى حديثهم الأول، ومن أطرف ما رواه الأستاذ صبري سعيد بهذا الخصوص القصة الآتية:

يوم كنت قائمقاماً لأحد أقضية الموصل عام ١٩٣٥ دعانا الشيخ عجيل الياور إلى مضارب شمر، وكنا جماعة بيننا طبيب سوري، بهي الطلعة لا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين ربيعاً، فلما بتنا ليلتنا بضيافة شيخ مشايخ شمر وأصبح الصباح نهض الطبيب المذكور وانهمك بتصفيف شعره وحلاقة وجهه بالرغم من بضاضته وانعدام الشعر فيه، ثم أفرط في ذلك وجهه حتى تورّدت وجنتاه، وبعد ذلك كوى شعره بالماشة وارتدى القلنسوة ولم يكن على بدنه غير (بيجامة) ذات لونين أعلاها أحمر وأسفلها أخضر وفي رجله (ترلگ) مصنوع من جلد الغزال، وقد خرج بهذا الشكل إلى الخلاء يتهادى في مشيته ويتبختر تبختر ذات الغنج والدلال، فوقع عليه نظر الشيخ فيصل والد الشيخ مشعل، فقال بلهجته البدوية:

ـ لعن الله أبو حَيْكم يا هالأفندية، جايبين معاكم (گحـ. . .) بنُص نِزِل شمر.

وصاح على أحد رجاله:

ـ دونك (التفگه) إرمي هل (گحـ. . .)

فطرق كلامه مسامع الشيخ عجيل الياور فقال له:

ـ على هونك يا عم، هذي مهي (گحـ. . .) هذا ولد.

❀ ❀ ❀

في صباح أحد أيام تشرين الثاني ١٩٣٣[*] كان الأستاذ الرصافي جالساً في مقهى (عارف آغا) بالميدان يحف به عدد من الأدباء والأصدقاء، وفي تلك الأثناء أقبل شخص وحيا الرصافي أطيب تحية ثم جلس، بعدها، سأله الرصافي عن حاجته، فأجاب:

ـ جئتكم راجياً نظم قصيدة لإلقائها مساء اليوم في حفلة مدرستنا، ولا شك أن حضوركم الحفلة سيزيدها رونقاً واحتراماً.

فاعتذر الرصافي قائلاً: لا يسعني نظم شيْ بمثل هذه العجالة يا أخي. إلاَّ أنه ألح على الرصافي كثيراً، ولما لم يجد سبيلاً للخلاص من هذا التكليف المحرج حبكت عنده النكتة فقال له:

(*) ذكر (حبزبوز) هذه النادرة بتفصيل أكثر في عدد جريدته المرقم ١٩١ والمؤرّخ ٥ تشرين الثاني ١٩٣٥.

- لي عندك رجاء بسيط، إذا استطعت تلبيته فسأنظم القصيدة وأعاهدك على الحضور.

- تفضل أستاذ، اطلب؟!

- أطلب منك أن (تضـ. . .) حالاً.

فاحمر وجه المسكين خجلاً وقال له وهو يتلعثم:

- عفوك يا أستاذ، لا أستطيع بهذه السرعة وفي مثل هذا المكان. فقال له الرصافي:

- إذن طلبك مردود ما دمت تعتقد أن نظم الشعر أسهل من (الضـ. . .). ثم أنه انصرف لا يلوي على شيء تشيعه ضحكات الحاضرين.

❀ ❀ ❀

في عام ١٩٢٤ ثارت معركة أدبية بين الحجابيين والسفوريين وكان المرحوم مصطفى علي من السفوريين، والشاعر الكرخي من الحجابيين، حيث رأى الحجابيون أن يضموا إليهم شاعر الشعب ليضمنوا النصر، فتم لهم ما أرادوا، فهاجم السفوريين بأربع قصائد استهل الأولى بقوله: -

خذ يا أيُّها المغرور ردّيه ... رعايه للمحيط وشغله دينيه

واستهل الثانية بقوله: -

هلموا واحكموا بين السفوريين ... أرجوكم وما بين الحجابيين

وبدأ الثالثة بقوله: -

يا أديبه (لامعه)(*) ... شعري النشرج دافعه

ثم أردفها برابعة استهلها بقوله: -

أوعدنا فتاة ومن بني غسان(**) ... أن نكتب لها عن حالة النسوان

وقد ذكر في القصيدة الثالثة صديقه الأستاذ مصطفى علي مقروناً بالتهكم والسخرية: -

---

(*) لامعة: اسم مستعار اتخذه المرحوم سامي شوكت في كتاباته السفورية.

(*) فتاة غسان: اسم مستعار لأحد الكتّاب السفوريين آنذاك.

وين اليبشر (مصطفى)	والمـاي بالجره صفه
تم السفور، الشر طفه	بشراك صارت معمعه
و(محمود ابن أحمد) بعد	والاجتماعي المعتمد
(عوني بكر صدقي) لقد	فزتم بهذي الواقعه

وبعد نشر أولى قصائده، صادفه المرحوم مصطفى علي فقال له: زدنا يا كرخي، إننا لا نغضب، ولا نتألم، لعلمنا بسلامة قلبك، وطيب سريرتك، فقال الكرخي: (انتو أدباء ما تزعلون!).

ورآه بعد نشر القصيدة الثالثة فقال له: إن (المعمعة) التي بشرتني بها لا يجوز أن تكون قافية مع (لامعه) و(فاجعه) و(جامعه) وقال: بعدها انعقدت بيننا أواصر الصداقة، وصرنا نلتقي ونجتمع اجتماعات أدبية أتمنى أن أوفّق لتسجيلها، فهي تمثل أدباً حياً، وتعرض الغرض الشهي من ثماره، وتجلو صفحة ناصعة من صفحاته في هذه الديار، في تلك الحقبة من الزمان.



اجتمع الأستاذ إبراهيم الواعظ[١] مرة بالشاعر عطا الخطيب[٢] في مقهى

---

(١) إبراهيم الواعظ: وُلِدَ في الحلة وينتمي إلى أسرة آل الواعظ المشهورة، أكمل التحصيل العالي حتى نال شهادة الحقوق، واشتغل في المحاماة وانتخب نائباً في المجلس النيابي سنة ١٩٣٠، وهو يجمع بين الأدب والمحاماة، ألّف كتاب (تاريخ العرب بعد الإسلام) عن طريقة البحث في شخصيات العرب على انفراد.

(٢) عطا الخطيب: وُلِدَ في شهربان سنة ١٨٨٦ وتوفيت أُمّه وهو طفل لا يتجاوز عمره سنة واحدة فحضنته جدته، ونقل إلى بغداد سنة ١٨٩١ ودرس في المدرسة الرشدية سنة واحدة ثم التحق بجده في (العمارة) وكان وكيلاً للأملاك السنية بها وأقام فيها سنتين، وتوفي جده فمضى إلى البصرة، وكان والده موظفاً بها فأتم دروسه الابتدائية وعاد إلى بغداد عام ١٩٠٠ م لمرضه. درس العلوم الشرعية، وأخذ الفارسية عن رضا الطالباني وانتسب إلى مدرسة الحقوق ثم تركها بعد تعطيل الدراسة لنشوب الحرب العالمية الأولى، وعُيِّنَ مدرساً للعلوم الدينية والعربية والفارسية في المدرسة الإعدادية الملكية سنة ١٩٠٨، تولى تحرير جريدة (الإرشاد) التي صدرت بعد إعلان الدستور، وأصدر جريدة (صدى الإسلام) باللغات العربية والتركية والفارسية بتاريخ ٢٣ تموز ١٩١٥، وكان أحد مؤسسي جمعية الهلال الأحمر، وقام بإدارة المستشفى الذي أنشأته الجمعية نحواً من ستة أشهر.
وعُيِّنَ مفتياً لبغداد في آب ١٩١٦، ولما احتل الإنكليز بغداد في آذار ١٩١٧ قُبض عليه في أيار ١٩١٧ ونُفي إلى (بللاري) من أعمال مدراس في الهند، وقضى في الأسر ثلاث سنوات، وقد عاد إلى بغداد سنة ١٩٢٠ وعُيِّنَ مديراً لإدارة الأوقاف في ٢٣ شباط =

(العبد) بالباب الشرقي من بغداد، وهو يومئذ متنزه أهالي بغداد، وقد مرت فتاة مرتدية بدلة خضراء فقال الخطيب مرتجلاً:

وخود مالها في الكون ثان بما تبديه من حسن بديع
بوجنتها وخضرة ما تردت تريك الشمس في يوم الربيع

❀ ❀ ❀

= ١٩٢٤، وانتدب سنة ١٩٢٧ ممثلاً للعراق في مؤتمر الخلافة الإسلامية المعقود في القاهرة، ثم انتخب نائباً عن (الكوت وديالي) في أيار ١٩٢٨، توفي ببغداد فجأة في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٩ رثاه معروف الرصافي بقصيدة باكية أولها:

هلم نبكِ النهى والعلم والشرفا فقد قضى من بهذا كان متصفا

قال عنه مصطفى علي:

عطاء الخطيب شاعر مقلد مجيد، له ديوان مخطوط، ولا يعرف مصيره لحد الآن، ولمعرفة نسبه تفصيلياً يرجى الرجوع إلى ترجمة أخيه علي في صفحات سابقة من هذا الكتاب).

عمر الكرخي بين التنكيت والتبكيت.
الأشعار الخفية في تابين الألوسي.
الكرخي يهنئ حبزبوز بزواجه.

تحدّث (أسامة) وهو توقيع مستعار لأحد محرري جريدة (البلد) بتاريخ ٩/ ١٩٦٧/١١ عن ذكرياته مع الكرخي قائلاً[(١)]: ـ

كنا في جلسة من الجلسات الرتيبة في إدارة جريدة (الاستقلال) لطيّب الذكر عبد الغفور البدري[(*)]، وكان المرحوم نوري ثابت ـ حبزبوز ـ بين

(*) عبد الغفور البدري: وُلِدَ في بغداد عام ١٨٩٠، وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية العسكرية فيها ثم التحق بالكلية الحربية في استانبول حيث تخرّج منها برتبة ملازم. وأثناء وجوده هناك انضم إلى خلايا سرية كانت تعمل للقضية العربية. اشترك في الحرب العالمية الأولى في جبهة قتال قفقاسيا ضد روسيا القيصرية وأصيب أثناء إحدى المعارك إصابة بالغة أدّت إلى إصابته بشلل نصفي. بعد انتهاء الحرب العالمية التحق بالثورة العربية في جبهة سيناء، ثم عاد إلى بغداد في عام ١٩٢٠ أثناء اندلاع الثورة العراقية فترك السلاح والتحق بركب الثورة الفكرية الوطنية شاهراً قلمه بوجه السلطات البريطانية.

أصدر في ٢٨ أيلول ١٩٢٠ جريدة (الاستقلال)، وفي الأول من كانون الأول عام ١٩٢٩ أصدر جريدة (الحارس) وبعد تعطيلها أصدر عام ١٩٣٠ جريدة (صدى الاستقلال)، لسان حال الحزب الوطني برئاسة الزعيم الوطني جعفر أبو التمن. وبعد تعطيلها أصدر عوضاً عنها في ١٩٣٠ جريدة (الثبات)، وفي عام ١٩٣٣ أصدر جريدة (صدى الوطن).

حُوكم أكثر من مرة، وسجن وتعذب وامتثل أمام حكّام إنكليز وعرب منهم (الكساندر وبريجارد) وشهاب الدين الكيلاني وعبد العزيز الخياط.

انتخب مرة واحدة نائباً عن لواء ديالي. =

الجلاس، يطوف علينا بنكاته اللاذعة، ونقداته المستملحة.

وفيما كنا كذلك، إذ هبط علينا الملا عبود الكرخي، بقامته المميزة وبزته الخاصة، وعصاه الغليظة. فركض (حبزبوز) فرحاً بمقدمه واسقبله استقبالاً حاراً، وفاجأه بالسؤال التالي:

ـ ملا، يرحم والديك، متگلّي (نجم) اشگد صار عمره؟؟ ولم نفطن إلى ما كان يبيته (حبزبوز) لأخيه بالروح (الكرخي) ولكن (الملا) لم يفته مغزى السؤال، وأجابه في التو:

ـ حظّي، إسأل چم طُرُح وطُرُح گبل نجم؟

ونجم الابن الأكبر للمرحوم الملا عبود الكرخي.

إن الملا كان يخفي عن أصدقائه حقيقة عمره، (تنكيتاً) حيناً و(تبكيتاً) حيناً آخر.

و(التنكيت) كان يعكس أنه (شاب) وإن اشتعل رأسه شيباً. و(التبكيت) كان يعكس أنه ليس الوحيد بين الرجال الذي يصغر عمره كما تفعل (المرأة) أو هو ديدنها.

❀ ❀ ❀

عندما أقيمت حفلة خاصة لتأبين العلامة المرحوم محمود شكري الآلوسي[1] سنة ١٩٢٤، أناطت الجهات المسؤولة بتلميذه الأستاذ محمد بهجة الأثري[*] مراقبة ما سيلقى في الحفلة من قصائد ومقالات. وعلم المشتركون

= توفي إلى رحمة الله عام ١٩٤٣ م.
(أعلام في صحافة العراق، تأليف فائق بطي عام ١٩٧١ ص ١٧١).

(*) محمد بهجة الأثري: وُلِدَ ببغداد عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) ونشأ في مدارسها الرسمية وانتمى إلى المدرسة العسكرية ثم المدرسة السلطانية وانتمى إلى ديوان محكمة الاستئناف وأشغل معاون كاتب ضبط، ودخل مدرسة الاليانس فتعلم بعض اللغات الحية، ودرس الثقافة الإسلامية والعربية، وعمل في الصحافة الأدبية، واختير مدرساً في مدرسة التفيض الأهلية ثم تدريس الأدب والبلاغة في الثانوية المركزية وهو من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين في بغداد، عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق وله مؤلفات عديدة وديوان شعر، ومن أهم كتبه: المدخل في تاريخ الأدب العربي والمجمل، وتاريخ مساجد العراق، والشعوبية والعرب وشرح المقامات المسيحية لابن ماري وغيرها.

(١) مجلة (ألف باء) العدد ٦٠٥ تاريخ ٣٠ نيسان ١٩٨٠.

بوجود رقابة على قصائدهم ومقالاتهم، فعرض الشاعر الشعبي الملا عبود الكرخي على الأثري قصيدة خالية من الهجوم على الحكومة فأقرها الأخير، لكنه ما لبث عندما اعتلى المنبر أن غيَّر في كلماتها وفحواها، وأضاف إليها ما لم يعرض على الرقيب، فتكهرب الجو. أمَّا الرصافي تلميذ الآلوسي فقد (زعل) ولم ينشد قصيدته مكتفياً بنشرها بجريدة (الاستقلال).

وهكذا فإنَّ الرقابة لم تحل دون أن تتحوّل حفلة تأبين العلامة الآلوسي إلى مجال انتقاد، لمعارضة الحكومة وكشف زيفها وألاعيبها المسندة من المستعمر البريطاني. وهذه الأبيات التي أخفاها الكرخي عن صديقه الأثري[1] والتي أنشدها في حفلة التأبين: ـ

سيدي (شكري) ويا رب الفطن	هذه الدنيا عباره عن فتن
أنا شاهدت الأسى في هالزمن	حبذا ميت، وأنا عمري شهر
لأن هذا الوقت يألف للدخيل	والأصيل ابن الوطن عايش ذليل
ابن الكصيره شمخ صاير طويل	والطويله ابنها حالاً كصر
المال والخيرات بيها يجتني	فارسي وهندي ورومي ولندني
بقى العالِم والأديب الوطني	يشبه الشبوط من يبلع زهر
يدّعون الوطنيه وصادقين	كذبوا والله ما فيهم أمين
كل منهم خائن، وناعم متين	فيه صح هذا المثل خيط الوبر
صار في عقلي خلل من هالمصير	في رزق كم رجل، كل عاقل يحير
يركب بسياره طامس بالحرير	وكان يمشي حافي، ملبوسه شعر
وماي يشرب كان في علبة خشب	صار يتزقنب بكاس من الذهب
من أقول الحق، سبيت العنب	وضجه صارت بالبلد، گالوا: كُفَر

❀ ❀ ❀

قال نوري ثابت (حبزبوز) لجمع من أصدقائه في مكتب جريدته: ـ

الأستاذ الملا عبود الكرخي من الأصدقاء الذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لكدرنا، وهذا النوع من الأصدقاء قليلون لا نجدهم حتى ولو فتشنا عنهم في ضاحية النهار بمصباح (ديو جنيس) المشهور. كتب إلى مدير إدارتنا حاتم أفندي الكرخي كتاباً فيه تهنئة حارة وتلميح عن حياته الزوجية المملوءة بالغرائب، نقرؤه

---

(١) مجلة (وعي العمال) تاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥.

لكم لما يحويه من النكات الظريفة[1]: ـ

ولدي الحبيب!

وردني كتابكم وفيه تذكرون عقد قران صديقنا الفاضل نوري ثابت، فأرجو أن تبلغوه عني قائلين:

بالرفاه والبنين، أسأله تعالى أن يرزقه خمسة أولاد، يزوج منهم ثلاثة، فيرزق كل منهم بثلاثة أولاد أيضاً، فيكون مجموع (الوزع قران) مع النساء خمس عشرة نسمة ويرزق أيضاً بابنتين يزوج الواحدة إلى رجل يعجزه بالالتماسات وطلب التوصيات، والثانية أثقل من (الزرزبانة) على بالوعة الحوش. والكبير من الأولاد يقارب الخمسين عاماً. بينما البنت الصغيرة عمرها سنة فقط، وأخوها أربع سنوات أمّا الأولاد الثلاثة المتزوجون، فانشاء الله يشتري لهم سيارات تتكسر في شهر وتذهب دراهمها هباءً منثورا. أمّا الصغير فيبلغ من العمر ستة عشر ربيعاً، يأخذ له ساعة ذهبية ودراجة (بايسكل) وقلم باندان ذهبي، ولا يلبس إلاّ الفاخر من الملبوس، ويشمئز من اللباس الوطني، ويجني من قنادر الروغان وجلد التمساح ما لا يقل عن درزن، وفوق كل ذلك يترك المدرسة من الصف السادس ويطلب مني مبلغاً من المال ليشتغل في التجارة، ولا تنسَ أنه يطلب من والده أيضاً (غرامافون) أبو الكلب وسدارة حريرية.

ثم أسأله تعالى أن يبتهج في حفلات ختان أحفاده وأن يعمّر مائة عام يقضيها في حياة الصحافة التعيسة ذائقاً مر العلقم من تمرّد وتسويف بعض المشتركين (الخوارديه النتل).

هذه يا ولدي حاتم حياة والدك المعذب أتمناها لأعز صديق لي، وهي (دعوة عدو لعدوه!)

والدك

عبود الكرخي



(١) نشرت هذه التهنئة الحارة في عدد (حبزبوز) المرقم ٦٢ والمؤرّخ ٢٨ كانون الأول ١٩٣٢.

كيف نظم الرصافي فائيته الشهيرة؟
حبزبوز والشعر (الحلمنتيشي).
الرصافي ولقب الملا.

ذات يوم التأم مجلس الأستاذ الرصافي كالعادة في مقهى الحاج رشيد الشيخلي بالباب الشرقي[1]، وكان السيد شفيق سلمان وهو من أبرز جلساء الرصافي متأخراً عن الحضور، وقبيل انتهاء الجلسة بقليل أقبل مسرعاً، فسأله الرصافي:

- أين كنت يا شفيق؟

- كنت في عيادة الدكتور إسماعيل الصفار أستمع للنقاش المحتدم بينه وبين الشيخ بهاء الدين الشيخ سعيد[*] حول وضع منهاج لحزب فاشيستي جديد ينويان تأليفه . . .

---

(١) من أبرز جلساء المرحوم الرصافي آنذاك: مصطفى علي (موظف بمجلس الأعيان)، شفيق سلمان (مفتش بالمعارف)، بديوي الحاج رحومي (موظف بالمجلس النيابي)، توفيق الشيخ أحمد الداود (مفتش بالمعارف) حسن الشكرة (ملتزم)، شكري الحمامي (مدير تحريرات بغداد)، عبد الجبار الروضة (علوجي)، عبود الكرخي، محمد شكري البنبيلي، أحمد حقي جبارة (عميد الجيش)، الحاج سليم (مدير الشرطة)، نوري ثابت (صاحب جريدة حبزبوز)، عبد القادر المميز (صاحب جريدة أبو حمد) السيد ناجي (سادن جامع الإمام الأعظم)، محمود السنوي، أمين المميز، محمد طاهر جلبي آل راضي، السيد حبيب العيدروسي، أحمد القايمقجي، ناجي القشيطيني، العلامة منير القاضي وغيرهم.

(*) بهاء الدين الشيخ سعيد: من أُسرة النائب العلمية الشهيرة في بغداد وهو من أفاضل =

وما كاد السيد شفيق يتم جوابه حتى ارتجل الأستاذ الرصافي البيت الآتي:

يا قوم خلّوا الفاشسية إنها   في السائسين فظاظة وتعجرف

وفي اليوم الثاني تجدّد الحديث عن هذا البيت فأنكره الرصافي تماماً لأنَّه كان معروفاً بنسيانه لكثير من أحداث أمسه.

ثم إن السيد بديوي الحاج رجومي أعاد البيت على مسامع الرصافي ورجاه هو ومَن كان حاضراً من الجلاّس أن يضمنه في قصيدة جديدة، فوعد الرصافي خيراً، ولم تمر على هذه الجلسة سوى أيام معدودات حتى ظهرت فائيته الشهيرة التي تضمنها فيما بعد ديوانه المطبوع.

❀ ❀ ❀

في إحدى الأمسيات اجتمع الكرخي بنوري ثابت (حبزبوز) في إدارة جريدته، فشرعا يتحدثان عن صرامة قانون المطبوعات لعام ١٩٣٢، فطلب حبزبوز إلى الكرخي أن يقرأ له القصيدة التي نظمها إثر صدور القانون المذكور، فأجابه إلى طلبه، ولما وصل إلى قوله: -

مدير (التايمس) المسؤول (ابن پاني)   وابن (غنّام، رزّوق)[1] الذكي ثاني

وثالثهم (العهدي) (ابن سمعاني)[2]   إن شِركت وغِرگت فلا يهتمون

ويهوّه على القانون

انخرط حبزبوز بالضحك ثم أنَّه أمسك بقلم وقرطاس وبعد هنيهة من الوقت

= العلماء وفقهائهم، انتخب نائباً عن لواء (محافظة) ديالى عدة مرات وهو نائب رئيس جمعية الهداية الإسلامية في الثلاثينات وله كتابات وبحوث قيمة.

(١) رزوق غنام: من كبار كتاب العراق وشيوخ صحافييه، ساهم في النهضة العربية منذ نشوئها، وأصدر بعد الحرب العالمية الأولى جريدة (العراق) المعروفة في بغداد، وقد انتخب للنيابة في مجلس الأمة عدة مرات.

(٢) توفيق السمعاني: وُلِدَ في الموصل سنة ١٩٠٢، ونشأ في قرية (بعشيقة) التي تجاور الموصل، وأخذ دروسه عن مدرسة (اكليريكية عالية) وقصد بغداد سنة ١٩٢٢ فأخذ يدرس في مدارسها الأهلية. وفي سنة ١٩٢٣ سهم بإصدار مجلة (الزنبقة)، ثم التحق بكلية الحقوق ولكنه تركها بعد سنتين والتحق بجريدة (البلاد) كمحرر، وفي سنة ١٩٣٠ ترأس جريدة (صدى العهد) لسان حزب العهد لنوري السعيد، ولما احتجبت تولى إصدار جريدة (الطريق) ومن ثم جريدة (النداء) وأخيراً أصدر جريدة (الزمان) واحتجبت بوفاته.

مال على جليسه الكرخي وقال له:

ـ لقد قلبت شعرك العامي إلى الفصحى، فاسمع يا أستاذ!؟: ـ

أما (العراق) فـ(رزوقٌ) يحافظها ... من كل معضلة في كل أحيانِ

وفي (صدى العهد) فالنحرير كاتبها ... له الحصانة (توفيق ابن سمعاني)

و(التيمسية) في (جون بولها) استندت ... مديرها بارعٌ (توفيق ابن پاني)(١)

وفي اليوم الثاني صدرت جريدة (حبزبوز) وفيها هذه الأبيات. وبهذه المناسبة نقول إنَّ الأستاذ نوري ثابت كان قادراً على نظم الشعر (الحلمنتيشي) بالعامية والفصحى، وقد ظهرت له عشرات الأبيات من هذا القبيل في جريدته.

❀ ❀ ❀

في أحد أيام كانون الثاني ١٩٣٨ التقى الرصافي بالكرخي في بناية مجلس النواب، وبعد أداء واجب التحية والاستفسار عن الصحة والأحوال، دار بينهما الحوار الطريف الآتي:

الرصافي ـ إنك قررت حذف لقب (ملا)(*) من اسمك؟

الكرخي: نعم يا أستاذ!

الرصافي ـ إذن يجب أن نطلق عليك بعد الآن لقب (أستاذ) فيكون اسمك الأستاذ.

عبود الكرخي: هذا لطف منكم يا أستاذ الجميع.

الرصافي ـ لا، أنت تستحق هذا اللقب، خاصة وأنني أول مَن بايعك بإمارة الشعر الشعبي.

ثم توادعا وانصرف كل منهما لحال سبيله.



---

(١) توفيق الصالح وپاني لقبه: محام وصحفي، مدير جريدة (الأوقات العراقية) المسؤول والتي كانت لسان حال السفارة البريطانية وصاحب جريدة (الصباح) ومحرّرها.

(*) في العدد ٤٠١ من جريدة (الكرخ)، الصادر بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٣٧ أعلن الكرخي عن حذف لقب (الملا) من اسمه فأصبح عبود الكرخي فقط.

الشعر في مجلس نقيب أشراف بغداد.
مَن يغول زلك؟
رستم حيدر وعادة حلاقة الرأس.
رحابة صدر شعرائنا بالأمس.

المرحوم السيد محمد سعيد آل مصطفى الخليل(*) من الظرفاء المعروفين في بغداد، حلو الحديث، سريع النكتة، واسع الاطلاع في الأدب العربي، كان ذات يوم في مجلس المرحوم السيد عبد الرحمن نقيب أشراف بغداد(*)، ولما

(*) كان رجلاً فاضلاً وأديباً لامعاً تخرّج على العلامة السيد عباس أفندي القصاب المفتي، وعلى العلامة السيد نعمان خير الدين الألوسي، وكان صاحب ملح وأفاكيه ولطائف حتى صار فاكهة مجالس بغداد وبلبل محافلها الصادح. ألَّف (الأمثال البغدادية)، إلاَّ أنَّ هذا الكتاب استعاره منه الحاج عبد اللطيف ثنيان ولم يظهر له ذكر حتى الآن، وكان السيد محمد سعيد ملازماً لمجلس العلامة الآلوسي، وله صحبة مع ظريف بغداد عبد المجيد الشاوي، وكان يرتدي لباس العلماء (الجبّة) ويضع على رأسه العمامة الخضراء شتاء، والبيضاء صيفاً، وكان أسمر اللون، طويل القامة ذا لحية كثة، عاش أكثر من سبعين سنة، توفي إلى رحمة الله سنة ١٩٢٧، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، وكان له مجلس في داره بجانب الكرخ يتردد عليه العلماء والأدباء. خلف ولداً واحداً اسمه (محمود) اشتهر بحسن الأخلاق.

(*) عبد الرحمن الكيلاني ـ نقيب أشراف بغداد ـ يرجع نسبه إلى الشيخ الورع عبد القادر الجيلي (الكيلاني)، تولى رئاسة أول وزارة عراقية بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠، وكان في الثامنة والسبعين من عمره، مصاباً بداء المفاصل، وكان فوق ذلك زاهداً بالدنيا ومناصبها، وقد اعتاد أن يصف نفسه بـ (الدرويش)، أضف إلى ذلك أنه كان يعتبر قبوله المناصب في ظل الحكم البريطاني مما يحط من مكانته الدينية في نظر أتباعه المنتشرين =

خلا المجلس من الغرباء، قال سماحة النقيب للسيد الفكه:

ـ يقولون إنك نظمت بعض الأبيات الهزلية!

ـ نعم يا سماحة النقيب، ولكنها (لواصات)!! لا تليق بهذا المقام.

ـ ميخالف! أسمعنا؟

ـ سماحة النقيب، شويّه عيب.

ـ يابه ديالله! ماكو غريب.

ـ مولانا، قلت:

(نحن قوم ما ذكرنا لامرئ ليرانا واشتهى أن لا يرانا)

ـ أشهد بالله تمام.

ـ ثم قلت:

(شعرنا مثل الخـ.. ذقت الخـ..؟)

ـ ولك شنو هل لواص؟

ـ لا، مولاي اسمع الشطر الثاني:

(صفع الله به أصل لحانا).

ـ قاتلك الله! وبعدين؟

ـ بعدين قلت:

(ولحى جلاسنا أجمعهم).

ـ ولك هاي ليش؟

= في العالم، وقد ذكرت (مس بل) ـ في تقرير لها كتبته في عام ١٩١٩ أنها عرضت عليه إمارة العراق عامئذ فرفض ذلك بشدة وكان جوابه: (كيف يمكنك إلقاء مثل هذا السؤال عليّ؟) (أنا درويش... ففي أيام جدي عبد القادر اعتاد الخلفاء العباسيون استشارته كما تطلبين أنت وزملاؤك مشورتي الآن لكنه لم يكن يوافق على الاشتراك في الشؤون العامة، وسوف لا أوافق أنا ولا أي أحد من أحفاده على أن نفعل ذلك... إلخ) إلاّ أنه فيما بعد وافق على تشكيل أول وزارة عراقية.

(للمزيد من التفاصيل انظر (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) الجزء السادس ص ٢١ وما بعدها، للأستاذ الدكتور علي الوردي المطبوع عام ١٩٧٦).

ـ لكن مولانا لا تستعجل؟! اسمع الشطر الثاني:

(ظهر الطيب عليهن وبانا).

ـ بارك الله فيك! وبعدين؟

ـ وبعدين قلت:

(تشتهي صفع نعال نقعت زمنا...).

ـ ولك! ولك! شدتسوي؟

ـ هسه متخليني أكمل البيت:

(تشتهي صفع نعال نقعت زمناً نفسي وحقاً أن تهانا)

يعني (نفسي أنا!... انتو ليش)؟

فاستلقى سماحة النقيب على ظهره من الضحك.

رحم الله الاثنين.

❀ ❀ ❀

في مجلس خاص سأل الكرخي المرحوم جعفر العسكري[1]:

ـ قيل إنَّك ستكلف بتأليف الوزارة الجديدة، فهل هذا صحيح يا أبا طارق؟

فأجابه العسكري باللهجة الفارسية فوراً:

---

(١) جعفر العسكري: هو الفريق محمد جعفر بن مصطفى العسكري، وُلِدَ في بغداد سنة ١٨٨٥ أتم دراسته العالية في المدرسة الحربية في استانبول فتخرّج منها ضابطاً في نيسان ١٩٠٤، واشترك في حركات القصيم (١٩٠٥ ـ ١٩٠٦) ثم عمل في الجيش السادس المرابط في العراق إلى سنة ١٩١٠ ثم عاد للاشتراك في حرب البلقان، وعُيِّنَ سنة ١٩١٣ معلماً في مدرسة الضباط في حلب وفي السنة التالية التحق بمدرسة الأركان الحربية. وفي الحرب العالمية الأولى عُيِّنَ في أركان حرب تحكيم المضايق ثم أوفد إلى إفريقيا الشمالية لتولي إحدى القيادات في جيش السنوسي عام ١٩١٥.

وفي عام ١٩١٩ كان حاكماً عسكرياً لولاية حلب. وتدرّج في المناصب ثم عاد إلى العراق في أواخر عام ١٩٢٠ وعُيِّنَ وزيراً للدفاع. وأصبح رئيساً للوزراء عدة مرات وهو يحمل عدداً كبيراً من الأوسمة ويعتبر من مشاهير رجالات العراق والعرب في الأمور العسكرية والكياسة الدبلوماسية.

مات غدراً صبيحة انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦.

- مَن يغول زالك؟ (إي مَن يقول ذلك؟)

فكانت نكتة بارعة تدل على سرعة خاطر عرف بها السيد العسكري رحمه الله.

❀ ❀ ❀

استوقف المرحوم رستم حيدر[1] صديقه الشاعر الكرخي يوم الاثنين ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٩ في أحد أروقة بناية المجلس النيابي وقال له:

- لقد سمعت قصيدتك التي أذعتها من الراديو قبل أيام، وقد أعجبتني كثيراً ولكن الذي لفت نظري هو ما جاء في أحد أبياتها من التناقض حيث قلت إن عمر والدتك مائة سنة وعمرك تسعون سنة، فهل وضعتك أمك وكان عمرها آنذاك عشر سنوات؟

فأجابه الكرخي:

- إنَّ والدتي قد توفيت قبل عشرين سنة وكان عمرها آنذاك مائة سنة، وعليك الحساب. ثم إنه وجه له السؤال التالي:

- يسألني الناس عن القصد من حلق رأسي بالموس، فأجبتهم أنا لست الوحيد الذي يحلق رأسه بالموس فإنَّ السيد رستم حيدر وزير المالية يحلق رأسه مثلي، فما هو رأيك يا أستاذ في ذلك؟

- كان عليك أن تجيبهم بأن حلاقة الرأس بالموس هي صحية أولاً، وعادة يعتادها المرء ثانياً.

ثم أنهما توادعا وانصرفا لحال سبيلهما.



(١) رستم حيدر: وُلِدَ في بعلبك سنة ١٨٨٩ وتخرّج من استانبول وأتم دراسته في جامعة (السوربون) ومدرسة العلوم السياسية في باريس. وعُيِّنَ بعد ذلك مديراً للمدرسة العربية السلطانية بدمشق، وفي الحرب العالمية الأولى دخل في خدمة الجيش كضابط احتياط ثم انتدب لنظارة الدروس في كلية صلاح الدين الأيوبي في القدس، ثم أصبح مشاوراً للملك فيصل الأول حتى سقوط دمشق، فأسندت إليه رئاسة الديوان وفي عام ١٩٢١ جاء بمعية فيصل الأول إلى العراق وعُيِّنَ رئيساً للديوان الملكي، وفي أواخر ١٩٣١ عُيِّنَ عضواً في مجلس الأعيان ثم أسندت إليه وزارة المالية وفي أواخر ١٩٣٤ عُيِّنَ رئيساً للديوان الملكي وسكرتيراً خاصاً للملك غازي.

من طريف ما يروى عن رحابة صدر شعرائنا بالأمس القصة الطريفة الآتية:

أرسل أحدهم قصيدة إلى الكرخي يهجوه بها وكان من بين عباراتها:

«وجهك مثل وجه القرد».

فكتب له الكرخي: -

لقد أسأت التشبيه يا هذا، وكان عليك أن تقول:

«وجهك مثل طـ. . . القرد».

❁ ❁ ❁

من نوادر الظريف عبد المجيد الشاوي

المرحوم عبد المجيد الشاوي، أديب بغدادي ظريف، وهو عبد المجيد بن الشيخ حسن بن مسعود بن عبد العزيز بن عبدالله بن شاوي الشاهري العبيدي الحميري من أسرة شهيرة أنجبت علماء وشعراء وفضلاء، وُلِدَ في جانب الكرخ سنة ١٨٦٢، اختير وزيراً بلا وزارة عام ١٩٢٠ في الحكومة النقيبية الوقتية، وفي عام ١٩٢٢ عُيِّن متصرفاً للواء الدليم، وفي عام ١٩٢٥ انتخب نائباً عن الكوت، ثم عُيِّن عام ١٩٢٧ عضواً في مجلس الأعيان، إلاَّ أن المنية عاجلته في بيروت بعد مرض عضال بتاريخ ١٦ أيلول ١٩٢٧ م ودفن في مقبرة هناك.

ومن نوادره:

كان الشاوي رئيساً لبلدية بغداد، فجاءه فريق من ذوي السطوة والجاه، وسألوه أن يأمر بنقل المنطقة الملوثة، من محلة (الميدان؟!) إلى خارج بغداد، لكنه اعتذر لقناعته بعدم جدوى ذلك النقل، وخلق بؤرة فساد جديدة إلى جانب البؤرة القديمة. وألح هؤلاء الملتمسون وطلبوا شفاعة (الخاتون الآنسة جروترود بل) وهي آنذاك السكرتيرة الشرقية لدار الانتداب، فلما فاتحته في الأمر قال لها: - أيَّتها الخاتون، أنا على استعداد لامتثال أمرك، ولكن أرجو أن تسألي الذين كلفوك، وإذا كانوا لا يذكرون فليسألوا أمهاتهم المصونات، من أي عهد كانت هذه المنطقة مباءة للجراثيم الأخلاقية؟ ولم يثر أحد هذا الموضوع بعد ذلك.

❁ ❁ ❁

عُيِّنَ الشاوي وزير دولة في حكومة النقيب، وكان راتب الوزير ذي الوزارة ضعف راتب زميله الوزير بلا وزارة، وقد سُئِلَ الشاوي في ذلك فقال: إنه مطابق

للشرع الشريف! قيل له: وكيف ذلك؟ قال: «وللذكر مثل حظ الأنثيين»!

❁ ❁ ❁

جرى التصويت ذات مرة في المجلس النيابي، فكان الأكثرون يقولون: (موافق)، فلما جاء دور الشاوي قال: (منافق)!؟

❁ ❁ ❁

ويروى عنه أيضاً أنه كان في مجلسه ذات يوم أحد المحامين، فدخل قروي كان قد وكَّل ذلك المحامي في قضية له وخسرها بسبب إهمال الوكيل إيّاها وأخذ يعاتبه ويؤنبه. وكان القروي لجوجاً سمجاً، عي اللسان، فقال للمحامي: لقد وعدتني أن تحصل لي على (الفرمان) ـ ويقصد به قرار الحكم ـ فأين الفرمان؟ وكرَّر القول مراراً حتى ضاق المحامي به ذرعاً وبصق في وجهه أمام الناس، وبينما كان القروي يمسح وجهه ويهم بالخروج، خاطبه الشاوي قائلاً: هذا فرمانك يا ابني فخذه وانصرف!

❁ ❁ ❁

ومن لطائفه أن موظفاً صغيراً مفصولاً استعطفه ملتمساً توسطه لإعادته إلى وظيفته في وزارة المالية، فكلَّم الشاوي وزير المالية بشأنه، فقال الوزير: لا يمكن إعادته إلى الوظيفة لأنَّه فُصِلَ بتهمة الرشوة. فرد عليه الشاوي فوراً: يا للعجب، فُصِلَ بتهمة الرشوة؟ إذن أسرع بإعادة تعيينه في وظيفته الصغيرة، لئلا يعلموا به فيعينوه وزيراً!

❁ ❁ ❁

ويروى أنه كان مدعواً للغداء في ظهيرة صيف قائظ، في دار (النقيب). فلما خرج وسائر المدعوين بعد أن أكلوا أطايب الطعام، ومشوا في أزقة (باب الشيخ) يتحاملون في سيرهم من التخمة، رأوا درويشاً شيخاً زري الهيئة، رث الثياب، يأكل (يكردش) قشور الرقي ويصيح بين آونة وأخرى: الحمد لله، الحمد لله، فصرخ به الشاوي قائلاً: ـ اسكت، لقد أطمعت الله فينا فقد أكلنا ما لذَّ وطاب ولم نحمده على فضله، وأنت تكرر الحمد والشكر على القمامة (الزبالة).

❁ ❁ ❁

ويروى أن الشاوي كان حاضراً في بعض الأيام في مجلس عبد الرحمن النقيب وكان فيه جماعة من علية القوم. وجاء شخص يعرض على النقيب نسخة خطية فريدة من (نهج البلاغة) ترجع إلى عهد الشريف الرضي، وكان النقيب

معروفاً بكثرة الوسواس حتى ليبادر إلى غسل يده إذا لمسها أحد، فنظر إلى المخطوطة النادرة واستحسنها كثيراً، ولكن لم يبد رغبته في شرائها، فقال له الشاوي: ولماذا لا تقتنيها؟ وأجاب النقيب: لقد مستها الكثير من الأيدي.

قال الشاوي: فاغسلها! (ويقصد المخطوطة).

❁ ❁ ❁

لقد كان ـ رحمه الله ـ من أظرف أهل زمانه، بغدادياً أصيلاً في لطائفه ونكاته، متوقد الذهن، حاضر النكتة، سريع البديهة.

ملاحظة:

أهدت لي حفيدته أميمة سعدون عبد المجيد الشاوي صورة لجدها مشكورة وأرسلتها مع الصديق الدكتور كاظم السعيدي بتاريخ الثلاثاء ٤/١٢/٩٠ في مجلس السيد مكي السيد جاسم.



القبانجي يبيع (طين خاوة).

وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

خذلك فرّة وبعدين إرجع.

اجتمع المرحوم عبد الأمير الناهض، رئيس تحرير جريدة (الكرخ)، وصاحب جريدة (العندليب) ليلة ١٨ حزيران ١٩٣٥ بالأستاذ محمد القبانجي في فندق من فنادق العاصمة، وتجاذبا أطراف الحديث في مختلف المواضيع.

ومنها أن القبانجي عاد من برلين قبل عدة سنوات بعد أن أملى عدداً من الأسطوانات هناك، وتقابل في يوم من الأيام بأحد معارفه فجرت بينهما المحاورة الطريفة الآتية:

- السلامة.. السلامة أبو جاسم، عاش من شافك، وين لين؟

- الله يسلمك.. والله كنت في برلين.

- عجيب! شتسوي هناك؟

- أملي اسطوانات أغاني وقصائد وبستات.

- ها... عال... الله يوفقك.

وبعدها انتقلا إلى أحاديث شتى وقبل أن يتوادعا، قال للقبانجي:

- العفو محمد أفندي.. نسيت اسألك هالأيام شنو شغلك؟

وهنا احتدم القبانجي غيظاً لأنَّه قبل ثوان حدثه عن الغناء وإملاء الاسطوانات وغير ذلك، فأجابه ببرود تام:

ـ دا بيع طين خاوة: «تراب ذو قابلية صابونية تستعمله النساء في الحمام» ثم تركه هذا وانصرف، وهو بين العجب والاستغراب لهذه المهنة.

فقال له (الناهض):

ـ وعلويش تستغرب قصة صاحبك هذا؟ ألا تذكر ما تناقلته الكتب عن الشاعر الفيلسوف (أبو العلاء المعري)(*) وخال الخليفة المهدي؟

دخل المعري ذات يوم على الخليفة المهدي وألقى بين يديه قصيدة عصماء يمتدحه فيها وعندما انتهى منها وجلس، كان في مجلس المهدي خاله، فالتفت إليه وسأله:

ـ شو شغلك يا أبا العلاء؟

فأجابه:

ـ أزرّف ليلو!؟

فاغتاظ المهدي وقال لأبي العلاء:

ـ ليش دتسخر من خالي؟!

فأجابه:

ـ مو، آخِر ديشوفني أعمى، ودا أقره قصيدة في مدحك، هالسؤال البارد بعد لويش؟ مو حقي إذا گلتله شغلي دا ازرّف ليلو؟

❀ ❀ ❀

وفي إدارة جريدة (العندليب) الكائنة مقابل جامع الحيدرخانة، (بناية الدفتري) اجتمع لفيف من الأدباء والأصدقاء كعادتهم كل يوم، روى (الناهض) هذه الطريفة لهم: ـ

دخل ظريف أحد المساجد ليؤدي فريضة الصلاة، فصلى وانتهى ثم أخذ بالدعاء حسب الأصول، وهناك سمع أحد المصلين يدعو الله بصوت جهوري مرتفع:

ـ يا ربي طيّبلي عيني العورة! يا إلهي شافيلي أذني الطرشة! يا مولاي

(*) هكذا ورد في جريدة (العندليب) العدد ١٨ تاريخ ١٥ حزيران ١٩٣٥ م. والصحيح أنه الشاعر بشار بن برد وليس المعري.

اجبرلي رجلي المكسورة سيدي طلعلي سنون جديدة، يا كريم صلحلي إيدي المشلولة! يا وهاب عدّلي الأعوج... إلخ.

فاغتاظ الظريف من المطالب الكثيرة وصاح به:

ـ هي مهجوم البيت مدوخ الله بهالمطالب، وامتعبه بهالاقتراحات والاسترحامات، ليش؟ اني أشوف أحسن ما يگعد يرگع بيك، يخلق له واحد جديد، هواية اوفق. بدينك، انت شتگول بهذي؟

فضحك الحاضرون، ثم قال لهم (الناهض): لقد سقت لكم هذه الطريفة بسبب قيام أمانة العاصمة بترقيع الشوارع دون جدوى، وكان عليها التفكير بفتح شوارع عصرية جديدة بدلاً من ذلك.

❀ ❀ ❀

دخل شحاذ صباح أحد الأيام مقهى البيروتي، وكان يجلس على التخت ـ عند بابها ـ كالعادة المرحوم الكرخي وحمودي الوادي وسعيد التكريتي وراضي الديوان والظريف كاظم الفنهراوي (ابن عم والد الفنان أسعد عبد الرزاق)، وآخرون غيرهم، فمد يده مستندياً مكارمهم، فأعطاه كل واحد منهم ما جادت به يده، ثم انتقل إلى الداخل، وبعد عشر دقائق خرج وأخذ يستندي أكفهم مرة ثانية، فانزعج الكرخي وصاح به:

ـ ولك! ابتلنه بيك بلوة؟! هي ابن الأوادم، آخر ماكو غيرنا يوزع احسان عالمگادي، مو روح تاخذلك فرّة بغير گهوة، وترجع ننطيك شتريد عالعين والراس، مو هسّه گمرگتنه واحد واحد!؟ والتفت الكرخي على جماعته وقال لهم: ذكرني هذا الشحاذ بوباء الهيضة (الكوليرا) الذي فتك بالناس في العهد العثماني الأظلم، ومن ذلك أن أحد جيراننا داهم الموت والده فذهب ليدفنه، وبعد عودته وجد والدته قد ماتت فأخذها ودفنها ثم عاد ليجد زوجته قد ماتت وبعدها أخوه الصغير فانفجر صائحاً: ـ عيني يا أبو زوعة، يا أبو الغيرة! شوية خلي لك انصاف، آخر ما الك فكر تطلع من بيتنا؟ دخذلك فرّة بالمحلة ورد ارجع علينا، آغاتي هم قبول! (وشر البلية ما يضحك).

التعليم أيام زمان!؟

محاورة بين حبزبوز والكرخي.

من حديث جرى بين (حبزبوز) و(الكرخي) في أحد أيام شهر أيلول عام ١٩٣٠، سأل حبزبوز زميله:

- ملا! إحكيلي عن صباك ودراستك؟

- إسمع! لكن لا تنشرها بالجريدة!

- مو يازغ!

- يابه: أدخلني والدي عندما بلغت الخامسة من العمر عند (الملاية زمو) في صوب الكرخ، فعلمتني الحروف على (تنكة):

(اليف) زَبَر ان، (باء) زبر بن، (تاء) زبر تن... إلخ[١].

---

(١) للكرخي قصيدة رائعة منشورة في الجزء الثاني من ديوانه بعنوان (الطب القديم والمدرسة القديمة) وصف فيها (الكتاتيب) وصفاً دقيقاً، وتطرق في بعض مقاطعها إلى صباه، وما رافق دخوله إليها من مفارقات ورد ذكرها في هذه المحاورة، مطلعها: -

اسمع يا عراقي شعر منّه اشعور   يتفجر، سلس محبوب للجمهور

ومنها: -

وأنا مُلاّتي هرّمه (زمو أم مالو)   تقرّيني بـ (عنصه ولاتهم) و(الطور)

(عنصة ولاتهم) تقطيع للآية الكريمة (عن صلاتهم)، وبهذا الشكل من التقطيع، كان الطلاب في الكتاتيب يرددون الآية جماعياً مع التنغيم ثم يقول: -

على قطعة تَنَكْ دائمي تكتّبني   بفحمه، وبالمداس الصُبُح تضربني =

وعلمتني (رب يسر ولا تعسر رب تمّم علينا بالخير، آمين) وهنا أكملت تحصيل روضة الأطفال أي التعليم الأولي، فأخرجني والدي من عندها، وأدخلني عند (الملا)، يعني بدأت بالدراسة الابتدائية.

ـ إي، دا اسمع!

ـ أدخلني عند (الملا)، (لاله بايز)(*) فبدأت بقراءة القرآن الكريم حتى وصلت إلى سورة (لم يكن).

وذات يوم بينما كنت جالساً على الحصيرة (الباريه)، حصرتني البولة فرفعت خنصري، فصرخ بي اللاله: اگعد، كلب! ومضت بضع دقائق فرفعت خنصري ثانية، ثم ثالثة ثم رابعة، ومضى وقت وأنا أتقلب على الحصيرة كالسمكة المزهورة، كل ذلك والمثل العربي يقول (بُل ولو على سرج فرس).

ـ ما كان تبول، حظي شبيك؟

ـ اسمع، ثم حان وقت الانصراف (الصرفة) فاستفدت من ضجيج الطلاب (الصناع) فعملتها على ثيابي، أي على الدشداشة، ولما رجعت إلى البيت، ورأت والدتي هذه الحالة سألتني عن السبب فأجبتها بأن (الملا) لم يسمح لي بقضاء حاجتي، فصرخت:

ـ (وضحة)! جيبي بابوج السرايلي، الفردتين!

جاءت بالبابوج فقامت هي و(وضحة) يلعبون بالبابوج (طابگ)(١) على راسي، هي پاط، هي پيط.

= عليها اشتكي عِدامي تطردني / والوالد بدفراته نحرني نحور

كل تلميذ يخذِث خَذِثْنه ويبول / تحته، على الأرض من البَبِط مذهول

لأنْ مرحاض ما يوجد و(زمّو) تكول / موتوا ابعروا مثل الغنم بعرور

حصيره فلا توجد عندنا بالكاع / نجلس بالقذاره ونشبه السوّاع

الكراد وكمل والبرغوث بـ (الصنّاع) / يلسعهم و(تخته كالسي) وزنبور

.... إلخ.

(*) كان مقرّه في جامع الحيدرخانة، وكان الرصافي من تلاميذه أيضاً.

(١) طابگ: بفتحة على الباء، على وزن كلمة (فالج). وقد لا يعلم القراء بأنَّ الشاعر الكرخي من مشاهير لعبة (الساس والطابك) في بغداد، وكان يعلِّم ويدرِّب هواتها، ومنهم مثلاً الشاعر (عباس العبدلي) الذي تدرّب على يديه، وقد سجل الكرخي ذلك، في قصيدة موجهة إلى العبدلي تطرق فيها إلى فنون وأسرار ومصطلحات هذه اللعبة والتي أولها: =

وفي هذه الأثناء جاء والدي وسأل عن السبب فقالت له:

ـ تعال يابه يا حاج حسين، هل نوبه ابنك گام يبول جوّاه! فصرخ والدي بأعلى صوته:

= مصحوب السلامه يا أليف الكاس   شاعرنا البصري (العبدلي عباس)

ومنها الأبيات الآتية التي تخص هذه اللعبة: ـ

حقيقه في بلد بغداد ونسناك   ونسه عال ملعوبات علمناك

(طابگ) ـ ما عدا الونسات ـ لاعبناك   اسطه صرت ماهر، زين تلعب (ساس)

(هجم تخدم وأبط وچتف) يا منتوف   كل لاعوب (ساس) أنت عليه اتنوف

بـ (الدرگه) اطلعت لي مقتدر شاگوف   تشگف، مثلكم ما يوجد بها لناس

(تسزح) أيضاً وتلعب (فرود الگاع)   وتطبگ على النقاوه وتگوم بساع

اسمك بالعراق اليوم شاع وذاع   من غير اللِعِب عندك حيا وناموس

.... إلخ.

وليست هذه القصيدة وحدها تشكل الدليل على ما ذهبنا إليه من تضلّعه ومقدرته في هذا المجال. بل إنني سمعت ذلك من لسانه عندما كان يملي عليّ في آخر أيام حياته شذرات من سيرة حياته، كما أن والدي وبعض معاصريه أيدوا ذلك وقد شاهدوه مراراً في الأعياد وفي كسلة الشيخ معروف الكرخي يمارس هذه اللعبة مع أقرانه من الرجال.

يازغ: كلمة تركية بمعنى مع الأسف.

تنكه: بالتحريك، صفيحة معدنية.

لاله: الملا في الكتاتيب إلاّ أنه كان أيضاً مسؤولاً عن تلاميذه في الغدو والرواح فهو الذي يجلبهم واحداً واحداً من بيوتهم ثم يعود بهم إليها، وكان يحمل بيده عصا ليسوقهم كما تساق الخراف؟!

مزهورة: مسمومة بمادة الزهر القاتلة.

البابوج الصرايلي: نوع من الأحذية تستعمله النساء، أصفر اللون في مقدمته جلد ملفوف إلى الخلف يشبه (الچم چم)، وقد انقرض استعماله الآن.

طابگ: لعبة عراقية أصيلة يلعبها الرجال بالخيزرانة والدرقة المصنوعة من الجلد، فإذا استعمل اللاعب السيف والدرقة المعدنية عند ذاك تسمى اللعبة (الساس).

باط بيط: صوت وقع الضرب.

اليمني: نوع من أحذية الرجال أيام زمان بلون أحمر.

زورخانة: كلمة فارسية معناها (بيت القوة).

خاك، رودست، دو حلق، گبرگة: مسكات فنية يستعملها المصارعون.

نابديد أو نبديد: كناية عن الضعف الشديد.

وين همايلك: أين رجولتك وقوتك.

مردانة: مرد كلمة فارسية بمعنى رجل.

ـ تعالي (وضحة)! جيبي اليمني.

فبدأ الوالد يلعب معي (زورخانة) فتارة آخذ (خاك) وأخرى (رودست) وأحياناً (دو حلق) وبعضاً (گبرگة)... إلخ حتى تركني (نابديد) من البسط.

وفي اليوم الثاني أخذني إلى اللاله وقال له: هذا هو (عبود) اللحم إلك والعظم إلي، فأمر اللاله (الخلفات) فطرحوني أرضاً وأدخلوا رجلي بـ (الفلقة) وبدأ ضرب العصي، على وزن (الحوش والطرمة إلك گلّي وين همايلك؟).

ضربني اللاله ذلك الضرب المبرح، ووالدي يصرخ بي بين آونة وأخرى: بالله، شويّه اوجع!) وبعد أن كلّت يمينه من الضرب، أمر اثنين من (الخلفات) بأن يضربوني بأكفهم بعد أن يبلّلوها بالماء الموجود في (سطل) كان إلى جانبهم. وبدأ أحدهم يجر اذني، والثاني ينزل على علباتي (المحموديات).

ـ بالعافية (ملا)، خل يشوفون تلاميذ هالوگت!؟

ـ وهكذا دام الضرب من (الملاّ وخِلَفِهِ) والوالدين ثلاثة أيام متوالية، لسبب أنني بلت على هدومي، بينما (الملا) هو السبب لأنّه منعني عن قضاء حاجتي الضرورية.

هكذا تعلمت القراءة والكتابة يا صديقي حبزبوز، أفلا يحق لي أن أغضب على الزمان الذي حرمني من نعمة مدارس اليوم، وأحوجتني إلى مدراء مسؤولين للجريدة، لعبوا بي طوبة!؟

لكن يرحم والديك حبزبوز، بالك وإيّاك تنشرها بالجريدة!؟

ـ مو يازُغ مُلا! لحد على بختك (أبو نجم)، الحچي بيناتنة ولا واحد بالعراق راح يسمع هالمحاورة، انطيك كلام مردانه (كلام رجال).



الكنعاني في (الگاورية).

كانت المجالس الأدبية تنعقد أيضاً في أي مكان يتواجد فيه الشعراء والأدباء، كالبيوت والمقاهي وحتى في (الچراديغ) المقامة على شواطئ دجلة أثناء فصل الصيف، ومختلف الأماكن العامة الأخرى، ففي (الگاورية) مثلاً كنا أنشأنا عام ١٩٥٠ (چرداغاً) يجتمع فيه مساء كل يوم عدد من الأصدقاء والشعراء من بينهم السادة جواد كاظم لطيف المحامي (شاعر)، وكمال محمود الجودي (أديب) وسعد مصطفى الدرة (مهندس) وخالد الضاحي (مدير شرطة) وخضر عباس الصالحي (شاعر) ورشيد سكران (محامي) وهاشم سليمان العمري (آمر الإطفاء العسكري) وعباس نجم الكرخي (أديب)، والمؤلف، وكثير من الأصدقاء غيرهم.

وفي إحدى الأمسيات المقمرة زار (الچرداغ) الصديق الشاعر نعمان ماهر الكنعاني فحييته بهذه القصيدة: -

هواك بقلبي خالدٌ متجدّدُ ... كزهر الربى في كل فجر يورّدُ
تغلغل في روحي فأشعلها جوىً ... على أن أقباس الهوى ليس تخمدُ
فذا جسدي مضنىً يذوب تدلها ... نحيلٌ بعصف المهلكات مُهدّدُ
فإن شئت إحيائي وبعث فتوتي ... فما غير وصلٍ منك يحيي ويُسعدُ
وإن شئت إيلامي فأنت مخيّرٌ ... ومثلك في الأحكام لا يتردّدُ
فليس يضير المستهام إذا قضى ... غراماً فإنّ الموت في الحب سؤددُ
وخيرٌ له أن يستريح من الأسى ... على أن يقضي العمر وهو منكّدُ

❀ ❀ ❀

إليك (أبا وجدان) قصة لوعتي ... وتلك لعمري قصة القلب تُسردُ

بششتك إياها وليس سواك مَن يسامر صباً قد عصاه التجلّدُ
فأنت وقد أحببت مثلي غزيلاً جميل المحيا حسنهُ ليس يُجحدُ
لَتَعْلَمُ كم يشقى المحب ويجهد من الألم المسعور وهو يعربدُ
وتعلم أن الحب ليس تبطراً يمارسه مَنْ ذهنه متبلّدُ
فأنت وقد قدّست مثلي كناسه لَتَلْحَظ فعل الحب ساعة أنشدُ
هو الوطن الغالي هو النغم الذي بكل فم حرٍ أبي يُرددُ
ترعرع في قلبي هواه فإنَّه بقلب شريفِ القوم ساعة يُولدُ
نذرت له ما في اليمين وليس في يمينيَ غيرُ النفس يا ناس فاشهدوا

❀ ❀ ❀

إليك (أبا صفوان) نفح تحيةٍ صفت كمدام الكرخ سكرى تُعربدُ
فأنت كما خُبّرت شاعر فتيةٍ إلى المجد تهفو، كوكبٌ متوقّدُ
إليك قوافي الشعر ألقت قيادها لأنَّك نِغْمَ الشاعرُ المتجدّدُ
تئنُّ إذا ما الشعب أنَّ مُعذّباً وتشدو إذا يشدو فأنت المغردُ
ولا عجبٌ فالحر لا يتفرّد يعبّر عما يشتكيه المقيّدُ
يذود ولا يخشى فذلك طبعه (وللمرء من دنياه ما يتعودُ)

❀ ❀ ❀

إليك أخي (نعمان) أزجي تحيةً تَضوعُ ولا يفنى شذاها المخلّدُ
طلعت علينا أيُّها البدر نيّراً فدالَ ظلام الليل وهو مبدّدُ
فأنت وقد واصلتنا بعد غيبة حبيبٌ إذا يبدو يُسَرُّ ويُسعدُ
وأنت وقد شرفت صحباً قصدتهم ستترك منهم كل قلب يمجّدُ
عليك سلامٌ أيُّها الحر من فتىً يؤمل أن يلقاك كما يُجوّدُ
فإنك وحي الشعر أيقظت رغبتي فعدتُ إلى قول القريض أقصّدُ

❀ ❀ ❀

من شعر المطارحات
مطارحات شعرية بسبب جرذي

في عام ١٩٧١ كنت أعمل في الشركة العامة للغزل والنسيج الصوفي بالكاظمية رئيساً للمخازن، وكان صديقي الأديب الشاعر الأستاذ ياسين عبد الجبار السامرائي مديراً لإدارتها. وفي شباط من العام نفسه اقتنص أمين مخزن البطانيات فأراً كبيراً، أوقع ضرراً بالغاً بالمنتوج فابتهج الجميع لهذا الحدث السار، وبالمناسبة وجَّه لي الأستاذ السامرائي هذين البيتين باللهجة العامية، كانت فاتحة مساجلات شعرية ابتدأت بالعامية وانتهت بالفصحى، وفيها من الطرافة ما تستحق التسجيل:

يـ (فار) البلمخازن يشبه الخرفان	عوّفني دوامي، دايخ وحيران
لو تسمع الهرجه ولمّة الجيران	تحسبنه جماعه من الفدائيه

فأجبته بالأبيات الآتية: ـ

يا سبع (الإدارة) اللوذعي (ياسين)	بشعرك كل رَبُعنه اليوم فرحانين
نصبوا كل مصايدهم، والبزازين	من باچر ايربوهن علانيه
علانيه لأن بزون ويّه الفار	ما يأتلف قطعاً، مثل غاز ونار
عداوته عداوه يانجل (جبار)	هذي حكمة الباري الإلهيه
رب العرش سلّط نسر عالأطيار	وعالخرفان ذيب وعالخشب منشار
وحتى عالحديد المبرّد البتّار	وعالسبع السبمبع سلّط امريّه؟!

وبنفس اليوم أجابني بالأبيات الجوابية الآتية: ـ

الفار أيُّها الزمان ايخوّف البزون	ما عادت قبيحه ولا بقت خاتون

كـلـتـهـا سـويـه تـاكـل بـمـاعـون	والـنـار الـشـديـده تـصـافـح الـمـيّـه
تصافحها، مراكب ما هي بالمجذاف	ذريّـه تـسـيـر وتـرهـب الـخـطـاف
عالأقمار صعدت هالنسور وشاف	قـائـدهـا الأرض تـشـبـه الـنـومـيـه
كلها اتغيرت يـ (حسين) يا ابن الكرخ	مـا عـادت گـرابـه ولا شـفـاقـة أخ
بـالـديـنـار والـنـسـوان صـار الـفـخ	يـا هـو الـتـلـزمـه شـيـخ الـحـرامـيـه

وبتاريخ ٢/٢/٧١ أجبته بالأبيات التالية: ـ

كل حچيك صُدُگ يا فتى (سامرّه)	اليوم اتساوت العبده مع الحره
بـالـمـظـهـر فـقـط والـپوز والـشـمْـره	أمـا الأصـل يـرجـع إلـى أصـلـيـه
حيث البشعه مهما تعمل اتواليت	وتلبس (ميني جوب) وتحچي بـ (الأوريت)
موقابل اتساوي الحلوه ست البيت	ام طـول الـعـدل تـشـبـه الـحـوريـه
وطبيعي الفار إذا يلبس جِلِد بزون	وايـراوي اظـفِـرْه وشـاربـه وسـنـون
مـحـقـق مـنّـه يـرتـعـبـون ويـخـافـون	فقط ما اتدوم حيث النفخه وقتيه
أمـا الـمـاي والـنـار ابـفـرد مـاعـون	لا تـعـتـقـد يـا أسـتـاذ يـجـتـمـعـون
ولا ممكن الذيب وحمل يتخاوون	و(الـبـطـنـج) ابـد مـا تـگـربـه الـحـيّـه
لأن قـانـون هـذا مـن الأزل مـوجـود	مـن أجـل الـبـقـاء ايـنـازع الـمـولـود
ولا بد ما يموت وبالنتيجه يعود	إلى بطن امه جوّه الگاع دفعيه
واللي تغيّرت اشهد أخي الأخلاق	وانعدمت النخوه وفسدت الأذواق
ومِنْ الـكـلـب زالـت خـوفـة الـرزاق	والأطـــمـــاع زادت والأنـــانـــيـــه
ومـا ظـلـت أمـانـه يـا أخـي أشـهـد	والـديـنـار حـكـمـه أبـد مـا يـنـرد
والـنـسـوان صـارن مـقـصـد ومـنـشـد	و(بـسـنـيـن الـوبـا صـرنـا طـبـلـجـيـه)
لـذلـك يـا أخـي دعـنـا نـرد اردود	ونـتـرك مـا يـزيـد الـقـهـر عـالـمـعـهـود
ونـتـحـزم بـهـمـه ونـبـذل الـمـجـهـود	ونـتـكـلـم عـلـى درد الـجـريـديـه
وسلامي بالختام أهديه مع الإجلال	إلى آل الرسول المصطفى الأبطال
وإلى (قصر الخلافه) تحفة الأجيال	وإلى (تل العليج) وإلى (الملويه)

وفي اليوم الثاني أنفذ إليّ البيتين الآتيين: ـ

تـقـبّـل هـالـتـحـيه من نـسـل مـعـروف	أدب والشعر بيهم من گبل معروف
يداورن الخلگ بالعدل والمعروف	عن طبع العرب صدق وشهامه وجود

فأجبته بتاريخ ٤/٢/٧١ بالأبيات التالية: ـ

تـسـلـم يـا (أبـا خـالـد) إلـى الـداعـي	يا مَن للسجال أنت الچنِت داعي

بقصيدك اني يا ابن الوطن داعي متيّم وانتظر منّك جواب ورد
وبهاليوم يوم الله الجبير العيد اهني حضرتك، گلبي ولساني يعيد
أدعو من الجليل الباري أن ايعيد أيامك بخير وصحه يا أمجد
وبعد العيد نتلاگه على كل حال والكيف وصفه بين المواطن حال
ونرجع للشعر والنثر، اني الحال وانت انشده بالحكمة وبلاغه شد

وفي عيد الأضحى المبارك أتحفني بالبيتين الآتيين: ـ

بنظم (حسين) للأشعار اجناس طباق ومن فنون الشعر اجناس
وحَگ اللي خلق هالناس اجناس محبّه والأخوه دائميه

فأجبته بنفس اليوم أي بتاريخ ١٤/ ٢/ ٧١ بهذه الأبيات: ـ

المحبّه والأخوه يا أخي (ياسين) بيها الباري يأمر والنبي ياسين
وحَگ سورة براءه وقل هو وياسين سواجي گلوبنه ونخفگ سويّه
لأن سيد وابن سيد نسل سادات مصحوح النسب زاكي الأصل والذات
إلى (سبع الدجيل) اترد ابو الشارات ما ايخيب الذي ينخاه قطعيه
(شاراته) ابد ما تنحسب بالگول واللي يندبه لا تعتقد مخذول
تُذْكرُ من طُفَت سيارتك بالچول بَسْ انخيته زِرْگت زرگة الحيّه[1]

بعدها انتقلنا إلى الشعر الفصيح، حيث دعوته إلى الفصحى في هذه القصيدة المؤرّخة ١٨/ ٢/ ١٩٧١: ـ

❁ ❁ ❁

أخي (ياسين) أدعوك إلى الفصحى، توافيني
لسان العرب الأمجاد والقرآن، والدينِ
ودع شعر عوام الناس موقوفاً إلى حينِ
وإن كان على السمع رقيقاً رقة العينِ
فلا أحلى من الفصحى ومن شعر الدواوينِ
قوافيه صدى العيدان في أشجى التلاحينِ
يفوح العطر من أعطافها النشوى فيحييني

---

(١) تعطلت سيارته في (بلد) مقابل مرقد (السيد محمد) وكان قادماً من مدينته سامراء، وحاول كثيراً إصلاح الخلل الكهربائي الذي أصابها ولكنه لم يفلح فتوجه إلى جده (السيد محمد) ونخاه، ثم صعد في السيارة فأدار مفتاحها فإذا هي تشتغل (نگرة سلف).

ويختال على أبياتها الخُشْن فيغريني

❀ ❀ ❀

أخي (ياسين) فلننظم على (الصاد) أو (السينِ)
وإن شئت، تجاريني على قافية (النونِ)
(عموداً) كان أو (حراً) ومن شتى الأفانينِ
فلا عذر لك اليوم أخي في الله والدينِ
وثق أني بما تنظم مفتون بمفتونِ
ومن دونك يبقى الشعر معتلاً ومن دوني

❀ ❀ ❀

بدأناه من الفار نوى الضر بمخزونِ
ولا يدري إذا أنهاه في الحال سينهيني
فجردت له الأفخاخ في زي الشياطينِ
وقدمت له السم بمقلي ومدهونِ
وفي بضع سويعات هوى في ظفر بزونِ
هو الشعر (أبا خالد) ملعون ابن ملعونِ
له وجهان مأمون ووجه غير مأمونِ
نسجناه كثوب الفجر من عطر الرياحينِ
أردناه خفيف الظل يلهيكم ويلهيني
بعيداً غاية البعد عن (الجيم) أو (السينِ)؟!
سداه الهزل واللحمة ترويحٌ لمخزونِ
هي الأيام ـ لو تعلم ـ تبليك وتبليني
ولا يخلد في الدنيا ـ سوى رب الملايينِ

❀ ❀ ❀

(أبا خالد) أيا نجم السرى في ظلمة الجونِ
ويا ورداً يفوح العطر منه في البساتينِ
ويا أنسام (كانون) سرت في دفء (تشرينِ)
يقولون بأنَّ الشعر من وحي الشياطينِ
وفي رأيي، من الرحمن إلهامٌ يواتيني

فما رأيك في هذا؟ ... أخي رأيك يكفيني

❀ ❀ ❀

وفي اليوم نفسه أي بتاريخ ١٨/ ٢/ ١٩٧١ أجابني بهذه القصيدة:

تركت الشعرَ من حينٍ ... بإبداع وتضمينِ
وعايشت الهوى كمداً ... على الأضلاع تلحيني
أصارع رغبتي الحرى ... فأغريها وتغريني
فلا قولٌ ولا نثرٌ ... ولا نظم لموزونِ
إلى أن جاءني شعر ... من (الكرخي) يدعوني
فثارت رغبتي فيه ... كثورات البراكينِ
فشكراً يا أخي شكراً ... إلى فأر وبزونِ
لهن الفضل في عود ... إلى تفجير مخزوني
ولست بناكر فضلاً ... كأنفاس الرياحينِ
حماك الله من فأر ... جميل القول مدهونِ
يعضّ الناس من حقد ... كريه الطبع مأفونِ
أخي (الكرخي) يا جبلاً ... حباه الله بالتينِ
وبالبسمات نقطفها ... كأزهار البساتينِ
لتحيا دائماً أبداً ... وتبقى أخ (ياسينِ)

وفي اليوم الثاني أرسلت له هذه القصيدة وعلى نفس القافية: ـ

بنفس اليوم أدعوك ... وبالتو توافيني؟
دليل أن شيطانـ ... ـك من أدهى الشياطينِ
إذا أيقظته هب ... سريعاً كالمجانينِ
يوافيك ولا يعجـ ... ـز عن مدٍّ يد العونِ
وشيطاني له ند ... يكيل الصاع صاعينِ
(فإنَّ السن بالسن، ... وإن العين بالعينِ)
أجبنا بثلاثين ... من الأبيات واثنينِ
فسددت لنا النصف ... فهل بالنصف توفيني؟
(أبا خالد) فما زال ... بقلبي الشوق يشقيني
ولكني من الناس ... بحال ليس ترضيني
فلا السمراء تدنيني ... ولا البيضاء تؤويني

فقد شاخت صباباتي ... وثلج الشيب يغزوني
(ولا يصلح ما أفسـ ... ـده الدهر بتزيينِ)
أجرّ الحسرة الحرى ... (على الأضلاع تلحيني)
وأجتر لذاذاتي ... فأبليها وتبليني
على الذكرى أعيش اليو ... م، والذكرى تواسيني
إذا شاخ الفتى يوماً ... غدا في قبضة الهونِ
فلا الحب ولا اللهو ... يعزي قلب محزونِ
وإن العمر مهما طا ... ل موقوت إلى حينِ
لك الفضل أخي (ياسيـ ... ـن في تفجير مخزوني
فقد نفّست عن هم ... بأعماقيَ مدفونِ
وثق أنّيَ ما بالغـ ... ـت في قولٍ وتبيينِ
وهل يحجب نور الشمـ ... ـس غربالٌ عن العينِ
(أبا خالد) أتحفني ... عليّ اليوم بالدينِ
بشعر مثل عقد الما ... س في صدر الخواتينِ
وكالورد حوى الأصنا ... ف من آس ونسرينِ
تحلّيه (كنايات) ... كدر البحر مكنونِ
حوى كل (بديع) القو ... ل من وصف وتضمينِ
ومن رمز وتشبيه ... وإعجاز و(تبيينِ)
فلا تبخل على الداعي ... بكأسٍ منه ترويني!؟

وبتاريخ ٢٢/٢/١٩٧١ أجاب على قصيدتي بما يلي: ـ

لقد رانت على الكون ... سحابات من الهونِ
وضاقت هذه الدنيا ... بما وسعت على عيني
فلا طب يعالجني ... من الأسقام يشفيني
أكابد ليلتي هماً ... بسوط البعد تدميني
فوا لهفي ووا ألمي ... على مَن كان يؤويني
أناجيه صبابات ... من الأشواق تشقيني

❀ ❀ ❀

أخي (الكرخي) لا ندم ... على الدنيا يناديني
هي الأتراحُ نازلة ... بإبداع وتفنينِ
أطارحها سجلات ... فأطرحها وترميني

فإنْ ما بتُّ منتصراً | بقلب غير محزونِ
تعيد الكرّة الأخرى | بحقدٍ كاد يفنيني
ولكنّي لها دوماً | من الميلاد للبينِ

❁ ❁ ❁

أخي (الكرخي) لا عتب | بما في الشعر يأتيني
أنا صبٌ تؤججه | من الأشواق في الحينِ
سويعات أقضّيها | ولو في عز كانونِ
أشم الطيب في جيد | كأنفاس الرياحينِ
هي الصهباء ترفعني | بكأس كاد يطويني
رضاباً كان أم خمراً | أخي بالله يشفيني

❁ ❁ ❁

أخي (الكرخي) لا عتب | فقد فجرت مكنوني
فلا تعبأ بتعدادٍ | من الأبيات اثنينِ
تلاحقها بعشرين | تتابعها بخمسينِ
تطالب أن أسدّدها | لك الإيفاء بالدينِ
فبيت واحد كفؤٌ | يساوي كل عشرينِ

❁ ❁ ❁

لك الأشواق أبعثها | تحيات بتضمينِ
مضمخة بأطياب | معبقة بنسرينِ
لتسلم شاعراً أبداً | بما في القلب يكوينى

❁ ❁ ❁

وبتاريخ ٢٣/ ٢/ ١٩٧١ كتبت إليه: ـ

بدأناه عامياً، ملنا به إلى الفصحى، وها نحن نلمعه تلميعاً، وإليك هذا التشطير لقصيدتك الأولى بالعامية والفصحى:

شنهو السبب يعيوني | (تركت الشعر من حين)
وانت زين تنظم بيه | (بإبداعٍ وتضمين)
(وعايشت الهوى كمداً) | خايف مَن حجي الدوني
تدري شگد حلو وصفك | (على الأضلاع تلحيني)
(أصارع رغبتي الحرى) | يهل العشگ عينوني
بسواد الليل نتلاكه | (فأغريها وتغريني)

(فلا قولٌ ولا نثرٌ)   يرجف گلبي وسنوني

ما اگدر أگولن آه   (ولا نظمٌ لموزونِ)

(إلى أن جاءني شعرٌ)   مو اعوج وبدگوني

بگيمر والعسل معجون   (من الكرخي يدعوني)

فثارت رغبتي فيه)   عليه يا ناس حلّوني

ما أصبر أثور بزوم   (كثورات البراكينِ)

(فشكراً يا أخي شكراً)   أبو علاوّي حسّوني

والأزيد عشر قاطات   (إلى فأرٍ وبزونِ)

(لهنَّ الفضل في عَوْدِ)   رايح چنت ردوني

إلى درب الهوى والشوگ   (إلى تفجير مخزوني)

(ولست بناكر فضلاً)   والينكر فضل دوني

ريحة شعرك الغاوي   (كأنفاس الرياحينِ)

(حماك الله من فأرِ)   ملعون ابن ملعونِ

يعرف يضرب كلاوات   (جميل القول مدهونِ)

(يعض الناس من حقدِ)   أصفر وجهه كمّوني

يخوتل مثل واوي الزور   (كريه الطبع مأفونِ)

(أخي الكرخي يا جبلاً)   الله بعونك وعوني

من حلو الجِدَمْ والطول   (حباه الله بالتينِ)

(وبالبسمات نقطفها)   حسنه هيّج اجنوني

من خده المسج فواح   (كأزهار البساتينِ)

(لتحيا دائماً أبداً)   بروحي ويا ضوه عيوني

متونس بدنياتك   (وتبقى أخ ياسينِ)

❀ ❀ ❀

وللأسف فقد توقفت هذه المساجلات الطريفة بنقل الأستاذ ياسين عبد الجبار السامرائي إلى الشركة العامة للأسمدة في البصرة، وفي حفلة توديعه التي أقامها مدراء أقسام الشركة في نادي وزارة الصناعة بتاريخ الأول من نيسان ١٩٧١، أسهمتُ بهذه القصيدة وألقيتها على مسامع الاخوان: -

هو القلب يشجيه البعاد فيأرقُ   وينعشه وصلٌ فيصحو ويورقُ

ويُسرع للقيا وإن بَعُدَ المدى   فيدركه قبل الخُطى فهو أسبقُ

أحسُّ له خفقاً بجانحة الحشا   كخفق جناح الطير حين يحلّقُ

يرى في الهوى ما لا تراه نواظري فواحدة من ألف غيداء يعشقُ
ولا عجب فالحب سرٌّ بقائنا وعدّته هذا الجمال المزوّقُ
وسر بقاء الورد حُسْن إهابه يعززه هذا العبير المعبقُ
وتلك لعمري حكمة أزلية تبارك ربي إذ يُميت ويخلقُ

❀ ❀ ❀

أبا خالدٍ لا أدّعي العلم والحجا ولكنني أكّدت ما هو منطقُ
بشعرٍ وما شعري سوى متنفس يخفّف من همّ يذيب ويحرقُ
ولست بمنظومي أصول مباهياً كما يتباهى الجاهل المتمشدقُ
ولست به أبغي اشتهاراً فإنّه بصاحبه يودي ولا يترفقُ
فكم علماً في دولة الشعر نابغاً تناوله نقداً لئيمٌ وأحمقُ
فذلك صداح وهذا منافقٌ وآخر دجال وذا متزندق
وأنت به أدرى فكنت تصوغه وتبدع في تجويده وتنمّقُ
وتعلم أني منذ حين هجرته فعهد الصبا ولّى وهيهات يُلْحقُ
ولكنني ما زلت رغم كهولتي به وبأيام الهوى أتعلقُ

❀ ❀ ❀

أبا خالدٍ بئس الزمانُ المفرّقُ يغرّب في أبنائه ويشرّقُ
ويهدم ما نبنيه دون رويّةٍ ويسخر من آمالنا ويصفقُ
على أننا والود جمّع شملنا كقطر الندى من صفوه يترقرقُ
سنعلمه أن القلوب إذا التقت على الحب ينمو الخير فيها ويبسقُ

❀ ❀ ❀

يعزّ على كل الصحاب فراقكم فقد كنت نجماً بيننا يتألقُ
ألا فاذكرونا كلما هبّت الصبا من البصرة الفيحاء أو لاح مشرقُ

❀ ❀ ❀

المراجع

(١) ديوان الكرخي، الأول والثاني والرابع.

(٢) المجموعة الخاصة بشعره غير المنشور بما فيه (الشعر المكشوف).

(٣) مجموعة أعداد جريدة (الكرخ).

(٤) مجموعة أعداد جريدة (حبزبوز).

(٥) مجموعة أعداد جريدة (العندليب).

(٦) جريدة (أبو حمد) لعبد القادر المميز.

(٧) الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦.

(٨) ديوان الرصافي.

(٩) لقاءات شخصية مع المرحوم الكرخي.

(١٠) ديوان الزهاوي.

(١١) أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ـ مير بصري.

(١٢) أحاديث وروايات على ألسنة المعاصرين.

(١٣) أعلام من الشرق ـ عبد القادر البراك.

(١٤) الزهاوي (دراسات ونصوص) ـ عبد الحميد الرشودي.

(١٥) صحف ومجلات عراقية.

(١٦) المقام العراقي ـ هاشم الرجب.

(١٧) توفيق الفكيكي ـ عبدالله الجبوري.

(١٨) ديوان حسين الكرخي (أول الغيث) ـ مخطوط.
(١٩) الأعظمية والأعظميون ـ الدكتور هاشم الدباغ.
(٢٠) أعلام في صحافة العراق ـ فائق بطي.
(٢١) آراء أبي العلاء ـ الرصافي.
(٢٢) دراسات في الأدب العربي (طه الراوي) ـ حارث طه الراوي.
(٢٣) نصوص منشورة بأقلام طائفة من الكتّاب.
(٢٤) دفاتر جيب الشاعر الكرخي.
(٢٥) الأمثال والكنايات في شعر الملا عبود الكرخي ـ عزيز جاسم الحجية.
(٢٦) عشائر العراق ـ عباس العزاوي.
(٢٧) البغداديون أخبارهم ومجالسهم ـ إبراهيم الدروبي.
(٢٨) بغداد كما عرفتها ـ أمين المميز.
(٢٩) مليون نكتة ونكتة ـ خيري سلمان السعدي.

من فصول الجزء الثاني

- أربع عشرة قصيدة للمرحوم الرصافي بخط يده لم يضمها ديوان.
- رأي الكرخي في المرحوم البصير.
- (مودة) الإعلان شعراً في صحف الثلاثينات.
- أصالة الشعر العفوي في الريف.
- لماذا غضب الجواهري من البراك؟
- المستشار البريطاني وحسون أبو الجبن.
- من أسرار ثورة العشرين.
- أعمدة الكهرباء وتسقيف بغداد.
- جريدة (الزوراء) وشعار الأمن مستتب.
- محاورة بالألمانية بين حكمت سليمان والكرخي.
- عبدالله الخياط ونصائح العلامة الآلوسي.
- من نوادر عبد المجيد الشاوي.
- (سرقفلية) الصحافة.
- رأي الرصافي في شعر شكيب ارسلان.
- غيرة ضابط مدفعية عراقي.
- الجريدة السورية ذات الجريمتين.
- من أفاكيه (المصور الأهلي) عبد الرحمن محمد عارف.

مجالس الأدب في بغداد

مجموعة مناظرات وطرائف ووقائع
ادبية لاعلام الشعر
والادب والصحافة في
العراق خلال النصف
الاول من القرن العشرين

الجزء الثاني

العدد/ ٢٦٣٨٥
التاريخ ٩/٨/١٩٨٧



الأستاذ الأديب حسين حاتم الكرخي المحترم

م/ شكر وتقدير

استلمت ببالغ التقدير والامتنان هديتكم القيمة من مؤلفاتكم الأدبية شاكراً لكم هذه الالتفاتة الكريمة، متمنين لكم مزيداً من النجاح في مساعيكم ومشاريعكم الثقافية والأدبية خدمة لتراثنا العربي الأصيل بما يعزز مسيرة الحركة الثقافية الزاهرة في قطرنا المناضل.. ودمتم.

خالد عبد المنعم
أمين العاصمة

خالد عبد المنعم رشيد الجنابي:

- تولد: ١٩٣٧ م.
- خريج بريطانيا في الهندسة المدنية عام ١٩٦٠ م.
- تولى عام ١٩٧٩ م منصب وكيل أمانة بغداد.
- عضو المجلس الوطني لدورتيه الأولى والثانية.
- وكيل وزارة الحكم المحلي.
- رئيس ديوان رئاسة الجمهورية.
- أمين بغداد من ١٧/٦/١٩٨٦ م إلى ٣/١/١٩٩٣.
- رئيس نادي الفروسية.
- توفي في يوم الجمعة ٢٠/١٠/١٩٩٥.

❀ ❀ ❀

أمناء بغداد ١٩٢٣ ـ ١٩٨٦

١ ـ السيد صبيح نشأت من ١٩٢٣ ـ إلى ١٤/٩/١٩٢٤.

٢ ـ السيد رشيد الخوجة ١٥/٩/١٩٢٤ ـ ٣٠/٦/١٩٢٥.

٣ ـ السيد نشأت السنوي ٢٣/٧/١٩٢٥ ـ ٨/٤/١٩٣٠.

٤ ـ السيد محمود صبحي الدفتري ٩/٤/١٩٣٠ ـ ٥/٩/١٩٣١ و٢٦/١٠/١٩٣٣ ـ ١١/١١/١٩٣٦.

٥ ـ السيد أرشد العمري ٢٥/١١/١٩٣١ ـ ٢٣/١٠/١٩٣٣ و١٢/١١/١٩٣٦ ـ ٤/٦/١٩٤٤.

٦ ـ السيد حسام الدين جمعة ١١/١١/١٩٤٤ ـ ٣١/٥/١٩٤٦.

٧ ـ الدكتور فائق شاكر ٢٦/٩/١٩٤٦ ـ ١٧/٣/١٩٤٨.

٨ ـ الدكتور عبد الهادي الباججي ١٨/٣/١٩٤٨ ـ ٩/٩/١٩٤٩.

٩ ـ السيد مظفر أحمد ١٠/٩/١٩٤٩ ـ ٣٠/٩/١٩٥١.

١٠ ـ السيد عبدالله القصاب ١/١٠/١٩٥١ ـ ١/٤/١٩٥٢.

١١ ـ السيد فخري الطبقجلي ١/٤/١٩٥٢ ـ ٢٩/٤/١٩٥٤.

١٢ ـ السيد فخري الفخري ١٠/٦/١٩٥٤ ـ ١٦/٧/١٩٥٨.

١٣ ـ الزعيم عبد المجيد حسن ٢٧/٧/١٩٥٨ ـ ١١/٢/١٩٦٣.

١٤ ـ رجب عبد المجيد ١٢/٢/١٩٦٣ ـ ١٣/٥/١٩٦٣.

١٥ ـ اللواء إسماعيل مصطفى ١٦/٧/١٩٦٣ ـ ١٨/٦/١٩٦٤ و١٦/٦/١٩٦٥ ـ ٨/٩/١٩٦٥.

١٦ ـ العميد إسماعيل الفياض ٢٩/٦/١٩٦٤ ـ ٩/٦/١٩٦٥.

١٧ ـ السيد سمير محمد عبد الوهاب ٢٥/١٢/١٩٧٨ ـ ٣٠/٦/١٩٨٢.

١٨ ـ السيد عبد الحسين الشيخ علي ١/٧/١٩٨٢ ـ ٩/١/١٩٨٣.

١٩ ـ السيد سمير محمد عبد الوهاب ١٠/١/١٩٨٣ ـ ٣١/١٢/١٩٨٣.

٢٠ ـ السيد خالد عبد المنعم رشيد ١٧/٦/ ١٩٨٦.

حضرة الأستاذ الفاضل حُسَيْن الكرخي المحترم

وصل إليَّ الأثر الثمين المتمثّل في مؤلفكم النبيل «مجالس الأَدَب في بغداد» مع ولدي جمال. مع ما تفضّلتم به من ثناءٍ وذكرٍ حميد لعَلّي لا أستحقهما. فشكرت لكم تفضلكم في الهديَّتين القيِّمتين ملتمساً من الله أن يوفقكم إلى تحقيق كل مطامحكم في خدمة الأدبِ والتاريخ.

وقد جاءت خلال رسالتكم إشارة تنبئ عن رغبتكم في حضور المجلس، فنرحّب بتشريفكم راجين أن يكون في أقرب فرصة تتاح.

وأقبلوا تمنياتي لكم الخير في جملتِهِ والسلام.

من المخلص مكي السيد جاسم

٦/٨/١٩٨٧

رأي الأستاذ الشالجي(*) في الكتاب

تسلّمت الكراسة التي تفضّلت بها عليّ من كتابك (مجالس الأدب في بغداد)، فلك مني الشكر الجزيل، وأسأله تعالى أن يحفظك وأن يمدك بعون من عنده، لإتمام مسيرتك الثقافية في صالح قراء العربية.

إنَّ قيامك بجمع ما تفرق من شعر الكرخي ـ رحمه الله ـ وتدوين الطرائف المتعلقة به إحياءٌ لحقبة مرّت، أغفل الأدباء تدوين أخبارها، فضاع منها قسم ليس بالقليل، وأملي فيك أن تحاول جمع ما تفرّق من شعره، وأن تبحث عن نوادره وفكاهاته، والمقطوعات التي كان يلاطف بها أصحابه وإخوانه فتخرجها للناس، ففي إحياء ذكراه إحياء لجزء من التراث العراقي العربي.

(لندن)

عبود الشالجي

(*) من رسالة بعثها الأستاذ عبود الشالجي من لندن، بتاريخ ١٤ تموز ١٩٨٧ م. وكنت أنفذت إليه ملزمة من الكتاب في المراحل الأولى من الطبع، فيها ما يخص مجلسه لغرض الاطلاع وبيان الرأي.

عبود بن مهدي بن محمد أمين بن أحمد الشالجي(*):

من مدينة شلج إحدى مدن الدجيل، جلا عنها أهلها لما انقطع الماء عن نهر الدجيل وتوزعوا في مختلف أنحاء العراق.

أكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد.

وأكمل الدراسة الثانوية (الإعدادية) في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد.

وتخرّج من كلية الحقوق العراقية في السنة ١٩٣١.

وعُيِّنَ حاكماً (قاضياً) في محاكم العراق في السنة ١٩٣٣.

وانتقل إلى المحاماة في السنة ١٩٤٠ وقضى فيها ثلاثين سنة.

وانتقل في السنة ١٩٦٩ إلى لبنان حيث أقام في بحمدون عاكفاً على التحقيق والتأليف حتى شملت بحمدون موجة العنف التي لفّت لبنان فانتهبت داره وأحرقت مسودات مؤلفاته فانتقل إلى قبرص ثم إلى لندن حيث هو الآن. توفي في لندن يوم الأحد ١٤/٤/١٩٩٦.

من أشهر مؤلفاته الصادرة:

١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ـ للتنوخي ـ تحقيق بثمانية مجلدات ـ طبع صادر ـ بيروت.

٢) موسوعة الكنايات العامية البغدادية ـ ثلاثة مجلدات ـ دار الكتب، بيروت ١٩٨٣ م.

(*) الترجمة بخط يد الأستاذ الشالجي، باستثناء ما يتعلّق بمؤلفاته، فهي من إعداد المؤلّف.

٣) الكنايات العامية البغدادية ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٧٩ م ـ مجلد واحد.

٤) الفرج بعد الشدة، للمحسّن التنوخي، في خمسة مجلدات، مطبعة صادر بيروت ١٩٧٥ م.

٥) تحقيق الرسالة البغدادية، لأبي حيان التوحيدي، مجلد واحد، مطبعة صادر بيروت ١٩٧٩ م.

هذا الكتاب

كان من أغلى أمنيات أمير الشعر الشعبي في العراق المرحوم الملا عبود الكرخي ـ في حياته ـ أن يخلفه ـ بعد مماته ـ بعض أبنائه وأحفاده المباركين في أن يملؤوا الدنيا ويشغلوا الناس في العراق، على نحو ما كان هو عليه، ولئن لم تنتقل عبقرية الكرخي الكبير في الشعر الذي انفرد وتميّز به، فإنَّ أمنيته قد تحققت في حفيده الأستاذ حسين حاتم الكرخي الذي حقّق ونشر آثار جدّه على النحو الذي كان يأمل.

ولكن الحفيد لم يعدم الامتياز فيما قدّم من إنتاج، جاءت باكورته الأولى لتعكس ما لم يسبق أن عكسته كتب الأدب من أخبار الأدباء في عراقنا الحديث. ذلك أن مجالس بغداد ومنتدياتها كانت في الماضي القريب أكبر مظان الثقافة والمعرفة والأخبار، لأنَّها قد ضمّت من أعلام الأدب والفكر والفكاهة ما لم نجد مثيلاً لهم في يومنا هذا.

ولا شك في أن أخبار المجالس تنقل من الآثار ما لا يُستطاع الإتيان بما يماثلها في الروعة والطرافة، وهكذا فإنَّ هذا الكتاب سيخلد إلى جانب ما خلد من آثار الكرخي الكبير.

عبد القادر البراك

مجالس بغداد الأدبية

كتاب بارع، شاء الكرخي الحفيد.. الأستاذ حسن حاتم أن يستخدمه وعاءً للمتعة والطرافة. وأنا أعتقد أن مجالس الأدب في بغدادنا قد استأثرت قبل اليوم باهتمام المرحوم إبراهيم الدروبي(*)، وجددت شبابها في كتاب صديقي العزيز، الأستاذ الكرخي، ولا يمنعني هذا التنويه من القول بأن نكهة الدروبي في مجالسه هي غير نكهة الكرخي في مجالسه، فهناك الجفاف والتزمت، وهنا النكتة والحرارة وخفة النفس. وإنني أغبط أخي الكرخي على ما بذل من جهد في تدوين ما كان راقداً في ذمة الأيام، وإبرازه في حلة فاتنة معززة بالصورة والوثيقة... وأملي بعد ذلك راسخ على أن يجرد صديقي الكرخي همته لبحث ميداني واسع يعود عليه وعلينا بما يجهله ونجهله من مجالس كرخية لا بد من تخليدها في جزء ثان وثالث... سائلاً ربي أن يوفقه في مسعاه.

عزيز جاسم الحجية

(*) البغداديون ـ أخبارهم ومجالسهم ـ تأليف إبراهيم الدروبي ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد ١٩٥٨ م.

عزيز جاسم الحجية

وُلِدَ في بغداد (محلة حمام المالح) عام ١٩٢١ م، ختم القرآن الكريم على يد (لالا إبراهيم) ثم دخل مدرسة الفضل الابتدائية فالغربية المتوسطة، ثم التحق بالدورة الأولى (الثانوية العسكرية) في ٢٧/١٢/١٩٣٨ فالكلية العسكرية حيث تخرَّج في ١/٧/١٩٤٢ م.

تدرَّج بالرتب حتى رتبة عقيد، ثم أحيل على التقاعد في ١٥/٢/١٩٦٣، فتح مكتباً ثقافياً بالمشاركة مع عبد الحميد العلوجي باسم (مكتب العلوجي والحجية) لتعضيد النتاج الفكري وهداية القلم الناشئ في ٢٠/١/١٩٦٩.

متزوج منذ ١٩٥٠ م وله ست بنات.

ولع بالأدب متأثراً بخاله المرحوم عبد الستار القرغولي وابن عمته المرحوم الرئيس الركن نعمان ثابت عبد اللطيف.

مؤلفاته المطبوعة:

له ستة عشر كتاباً أهمها (بغداديات) بخمسة أجزاء، والأمثال والكنايات العامية البغدادية في شعر الملا عبود الكرخي.

مؤلفاته المخطوطة:

١) (بغداديات) الجزء السادس (نشر بعد إعداد الترجمة).

٢) النخلة في الفولكلور العراقي.

٣) حكايات شعبية.

كلمة في كتاب

مجالس الأدب في بغداد

جـ ١ـ ١٩٨٧

تأليف: الأستاذ حسين الكرخي

بقلم: جميل الجبوري

من الكتب ما تبدأ به فإذا هو يشدّك إليه شداً، ويمسك بتلابيبك فلا تستطيع الفكاك منه إلاَّ وقد أتيت على صفحته الأخيرة. ومنها ما يضطرك ـ شئت أم أبيت ـ أنْ تعافه حيث لا قِبَلَ لك بتقبل ما يقول ولا متابعة ما يحكي. ولأنَّ الكتب أنواع فيها المصدر والمعجم والمرجع والبحث المتخصص والرواية والقصة وديوان الشعر... وغيرها كثير، ومن هذا الكثير مجالس الأدب ودواوين الأدباء، فأحسب أن على هذا اللون وأضرابه تنصبّ ـ أكثر ما تنصبّ ـ تلك الفذلكة التي أوردتها في صدر كلمتي هذه.

وأشهد أن المؤلّف الأستاذ (حسين حاتم الكرخي) قد شدّني إلى كتابه شداً، وأمسك بتلابيبي، فما استطعت أن أترك مجالس الأدب الذي كتب إلاَّ وقد ودّعت صفحته الأخيرة. كيف لا وقد وجدت نفسي قبالة أعلام سمعت عنهم الكثير وما عرفتهم، وقرأت لهم وما أدركتهم، وهو يحدّثني عن أخبارهم وسيرهم ومطارحاتهم وخواطرهم ومداعباتهم، ويهيِّئ لي ـ أنا القارئ ـ أجواءً من تلك الحيوات تكاد تنبض بالحياة، فأنا بين نادرة للرصافي وخاطرة للزهاوي وموقف للكرخي ونكتة لحبزبوز وهزء ساخرٍ لأبي حمد... ثم لغيرهم أقوال وأشعار وأفكار وخواطر... عبد المجيد الشاوي. محمد سعيد آل مصطفى الخليل. محمد القبانجي الفنان. مصطفى علي الكاتب. توفيق الفكيكي المحامي... وغيرهم وغيرهم كثير من رجالِ الفكر والأدب والشعر والقانون والسياسة والفن

والمجتمع. وحصيلة ثرّة كهذه، غنية مورقة مثمرة، حَريّة بأن يُحتفى بظهورها وأن يُكرم مُظهرها، فهي فيض من العلم والمعرفة والخبرة والموعظة والملحة والنكتة والمداعبة والمثل... و... و... مما قد يعسر معه العد.

لذلك يحتل كتاب (الأستاذ حسين الكرخي) مكانة متميزة في دنيا الكتب العراقية، ويضع قدمه ـ بجدارة واعتزاز ـ في دروب التأليف العراقي الصميم الذي نحن في أحوج ما نكون إليه لأنْ يسجّل حياتنا في أمسها القريب ويضعنا في صورتها التي نحن ننشد.

فجزاه الله خيراً ـ كل الخير ـ عن أولئك الأعلام، وعن قراء أخبارهم وأحاديث مجالسهم، فلقد قدّم لنا ـ مشكوراً أجزل الشكر ـ ثمراً يانعاً وفاكهة غضة وأفادنا فائدة جمة، وحفظ للتراث العراقي حصيلة خيرة ومرموقة، ورحم الله مَن قدَّم وأفاد. وحسبه أنه قدَّم للقارئ (كتاباً يُقرأ)، ولعل ذلك هو مجد الكاتب الكاتب. وعسى أن تعين الأيام المقبلة صديقنا الودود الأستاذ (حسين حاتم الكرخي) على مواصلة جهده الجميل في متابعة هذا اللون العبق من التأليف المفيد، فهو بذلك يسدي لكل معنيٍّ بالثقافة العراقية مكرمة وأي مكرمة.

ولكم كنت أتمنى أن أطيل الحديث عن أزهار هذه الحديقة الغضة اليانعة التي قدّمها الكرخي الباحث، ولكن حسبي أنني شممت العطر وتنسّمت الندى فأسكرني الشذى، واكتفيت بالتحية، ولكنها، ولا كالتحيات...

جميل الجبوري

بغداد ـ ٢٥/ ١٠/ ١٩٨٧ م

جميل الجبوري

- وُلِدَ في محافظة الأنبار عام ١٩٢٨ م.
- مارس العمل في التعليم والمكتبات العامة، ومن ثم وزارة الإرشاد ـ وزارة الثقافة والإعلام فيما بعد.
- شغل العديد من المناصب الثقافية والإعلامية، منها:

رئيس قسم الأحاديث الثقافية في الإذاعة العراقية، مدير النشر ـ مدير المكتبة الوطنية ـ المستشار الصحفي في السفارة العراقية في روما، مستشار النشر في دار الشؤون الثقافية... ثم ترك العمل الوظيفي في بداية حزيران عام ١٩٨٧ ليتفرّغ للتأليف والكتابة.

- بدأ النشر منذ أوائل الخمسينات في الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون.
- أوّل كتاب أصدره هو (نداء التاريخ) ـ مجموعة مسرحيات تاريخية نشرت بتعضيد من وزارة المعارف ـ يومذاك.

ومن مؤلفاته: (الأصالة في الشعر الشعبي العراقي)، المطبوع في بغداد وبيروت. و(مع الأعلام ـ سوح وأسفار)، (واقع الثقافة في العراق)، (دليل مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام)، (وسائل الإعلام ومسيرة الإنتاج)، (سعد بن أبي وقاص)، والعديد من الكتب التي ألّفها بالمشاركة، كما وقف على إعادة طبع الجزء الثاني من مجموعة مجلة لغة العرب للكرملي. وله مئات المقالات والبحوث والدراسات، منشورة في الصحف والمجلات العراقية والعربية.

- أسهم بشكل واسع جداً في برامج الإذاعة والتلفزيون، وكتب قصة فلم (شايف خير) والعديد من الأفلام الإعلامية القصيرة.

- آخر مؤلفاته دراسة موسّعة عن (حبزبوز) ـ نوري ثابت ـ رائد صحافة الهزل والكاريكاتور في العراق.
- ويتفرّغ الآن للتأليف عن (الكرخي الشاعر)، ويعد صفحة (أريد حلاً) في جريدة (العراق). و(حديث الخميس) فيها.



مجالس الأدب في بغداد(*)

حارث طه الراوي

بعد أن أتحفنا الأخ الصديق الأستاذ الفاضل حسين حاتم الكرخي بالجزء الرابع من ديوان جدّه العظيم الشاعر الشعبي الملا عبّود الكرخي رحمه الله جاءنا اليوم بتحفة جديدة لا لجدّه وإنّما له بالذات أطلق عليها اسم «مجالس الأدب في بغداد» وقد تلطّف بإهدائي نسخة منه في يوم صدوره وذلك خلال زيارة كريمة تفضّل بها عليّ جدّدت صداقة قديمة ترجع إلى أواخر الأربعينات يوم كان رئيساً لتحرير جريدة عمّه الأستاذ نجم عبود الكرخي «صوت الكرخ» التي كانت تنشر باعتزاز ما يجود به قلمي من شعر ونثر.

ويقع هذا الكتاب الذي هو الجزء الأول في ١٧٥ ص من القطع المتوسط، ولا أعتقد أن مطالعاً مهما كان مستواه الثقافي واتجاهه الفكري، يستطيع ـ إذا بدأ بمطالعة هذا الكتاب الطريف الممتع ـ أن يتوقف في صفحة منه ويرجئ تكملة المطالعة إلى فرصة أخرى إلاّ إذا كان عدواً للطرفة البارعة والنكتة الحلوة اللاذعة!!

وقد أحسن المؤلف الفاضل عندما جعل من كتابه هذا متحفاً صغيراً ضمّ صوراً شمسية نادرة جداً لأعلام الشعر والأدب والصحافة والفن كالرصافي والزهاويّ والكرخيّ ونوري ثابت وتوفيق الفكيكي وسامي الشوّا والقبانجي وغيرهم..

أمّا الصورة القلمية التي رسمها الأخ المؤلف في مقدمة الكتاب لجدّه

(*) مقتطف من المقال المنشور في جريدة (العراق)، العدد ٣٥١١، الاثنين ١٠ آب ١٩٨٧ م.

الكرخي وآل الكرخي الكرام في منزلهم القديم في الكرخ فبارعة وطريفة كقوله في ص ٨: «وإن أنسَ لا أنسى كيف أن عميدنا كان إذا دخل البيت ساد صمت رهيب وأسرعت النساء إلى ارتداء عباءاتهن تهيّباً واحتراماً. في هذا البيت تفتّحت عيناي على أوّل مجلس أدبي انعقد فيه، فقد أولم جدّي ـ مرّة ـ وليمة لزميله وصديقه بالروح نوري ثابت صاحب جريدة ـ حبزبوز ـ لتصفية جو تعكّر بينهما، حضرها عدد من الصحفيين والأدباء وأصدقاء الطرفين، وكيف أنها أي الوليمة تحوّلت إلى مجلس أدب وشعر وفكاهة عزّ نظيره».

والكتاب لا يعرض عرضاً شاملاً ووافياً لمجالس الأدب في بغداد ولكن مؤلفه يلتقط بعض الصور الرائعة من تلك المجالس فيعرضها ببراعة.

وإذا كانت لجدّه الكريم حصة الأسد من النكات والطرائف الرائعة فلا أعتقد أن الحفيد في ذلك منحاز إلى الجد ذلك لأنَّ الملا عبود الكرخي إذا كان أميراً للشعر الشعبي ـ وهو كذلك ـ فهو من ملوك النكتة وله في مملكته صولجان وسلطان شأنه شأن شاعر النيل حافظ إبراهيم في مصر.

وكنت أودّ أن تكون مساحة المطارحات الشعرية بالعامية والفصحى بين المؤلف وصديقه الشاعر ياسين السامرائي محدودة بصفحة أو صفحتين لتحتفظ بطرافتها..

وأخيراً أكرر شكري للأخ الكرخي الذي أبكاني بكتابه الممتع هذا بدموع الفرح فانطبق عليّ قول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

لأوّل مـرّة قـد ذاق جـفـنـي ـ عـلـى مـا ذاقـه ـ دمعَ السـرورِ

حارث طه الراوي:

وُلِدَ ببغداد عام ١٩٢٩ م، وبها نشأ في بيت علم وأدب، تخرّج في كلية الحقوق العراقية عام ١٩٥٤، فزاول المحاماة مدة، ثم انخرط في سلك الوظيفة كأمين لمكتبة المجمع العلمي العراقي وشغل وظائف عدة في وزارة الإعلام العراقية، آخرها وظيفة مدير تحرير مجلة (المورد) التراثية الفصلية، شرع في النشر في صحف بغداد وبيروت منذ سنة ١٩٤٧ وما زال ينشر في أشهر مجلات الأقطار العربية مقالاته وقصائده، شارك في تمثيل أدباء العراق في مؤتمر الأدباء العرب الأول الذي انعقد في (بيت مري) بلبنان سنة ١٩٥٤ م، له ولع خاص بالتراجم ذات التحليل السايكولوجي، مؤلفاته المطبوعة:

- أمين الريحاني، بيروت ١٩٥٨.
- تباريح ـ ديوان شعر ـ بيروت ١٩٦١.
- مع الشعراء ـ القاهرة ١٩٦٤.
- طه الراوي ـ القاهرة ١٩٦٥.
- إبراهيم صالح شكر ـ مستل من مجلة المورد.
- أدباؤنا المعاصرون.
- مع الشعراء ـ الجزء الثاني.
- من ذكرياتي الأدبية.
- سارق العنقود.
- شخصيات عراقية منسية.
- مع الكتب.

- شموع صغيرة.

- رسائل حارث طه الراوي.

(أنظر أعلام العراق الحديث، ج ١، باقر أمين الورد المحامي، ١٩٧٨ م).

مجالس الأدب في بغداد(*)

عبد الحميد الرشودي

لقد صدق مَن قال إن المجالس مدارس ففيها يتحدّث الرجال عمَّا قرؤوا وسمعوا، ولا ريب أنهم يحفظون أحسن ما يقرؤون ويتحدثون بأحسن ما يحفظون. وإنك تجد في هذه المجالس من الأخبار والطرائف والنوادر ما يعز أن تجده في كتاب. وقد أحرز أدباء مصر قصب السبق في هذا المضمار فبادروا منذ زمن مبكر إلى تدوين نوادر وطرائف أدبائهم وشعرائهم في الجيل الماضي يوم كانت الحياة الاجتماعية مواتية لنشوء هذا اللون من الأدب الساخر الذي توحيه التناقضات الاجتماعية والتفاوت الطبقي، فيما عسى أن يقول الأديب أو الشاعر أو الصحفي عندما يقع بصره على جاهل متخوم وعالم محروم. والأدباء والشعراء والفنانون أشد الناس تأثراً وتحسساً لهذه المشاعر البائسة.

وإنَّك لا تكاد تجد أحداً في الأوساط الأدبية على امتداد رقعة الوطن العربي لا يروي طرفاً من نوادر وطرائف حافظ إبراهيم وعلي الليثي وعبد العزيز البشري ومحمد إمام العبد وحفني ناصف وعبد الحميد الديب ومحمد البابلي وغيرهم ومن أدباء وشعراء وصحافيي وأعيان الصدر الأول من هذا القرن.

وقد سرّني أن ينشط الأستاذ حسين حاتم الكرخي لسد هذه الثغرة في تاريخ الأدب العراقي المعاصر فيطلع علينا بكتاب جديد طريف عن مجالس الأدب في بغداد في النصف الأول من هذا القرن. فقد جمع ما اتفق له جمعه من نوادر الرصافي والزهاوي والكرخي ونوري ثابت وعبد المجيد الشاوي وعبد القادر

(*) مقتطف من مقاله المنشور في جريدة (العراق) بتاريخ ١٩٨٧/٨/٣١ م.

المميز ومحمد سعيد آل مصطفى الخليل وغيرهم من معاصريهم. ولا مِراء أنَّه بصنيعه هذا قد حفظ لنا هذا الإرث الأدبي من الضياع والاندثار وإلاَّ فما أكثر ما حملت الصدور إلى القبور من أخبار وأسرار!

وما دام المصدر المعوّل عليه في نقل هذه النوادر والطرائف هو الرواية والمشافهة فغير مستبعد أن تختلف الروايات باختلاف الرواة من حيث الدقة في الزمان والمكان وأسماء الأعلام كما أنه غير مستنكر أن تقع بعض الهفوات الطفيفة في مثل هذه التآليف فلا بد، والحالة هذه، أن تتضافر الجهود لتصحيحها وتنقيتها مما علق بها من الأوهام والعثرات. وبدافع من هذا الشعور وجدنا الواجب الأدبي يقتضينا أن ننبّه المؤلف الكريم إلى ما وقفنا عليه من تلك الأوهام مما هدانا إليه البحث والتنقيب نعرضه بين يديه لا بدافع اقتناص الأخطاء ورصد العثرات، وإنَّما من باب نصيحة الإخوان والمساهمة في عمل أدبي تطوّع مشكوراً مبروراً للنهوض به مقدّرين له سعيه ودأبه، آملين أن يتحفنا بأجزاء أخرى تكون أكثر دقة وتقصّياً إذ لا يزال كثير من أخبار المجالس البغدادية مطويّاً ينتظر مَن يمدّ إليه يده فينفض عنه غبار السنين ويبرزه إلى القارئ مجلواً ليكون على بيّنة من أمره وليقارن بين الحياة الأدبية اليوم وما كانت عليه في الماضي القريب يوم كانوا إخواناً تجمعهم لحمة الأدب، متحابّين، متوادّين رغم ما هم عليه من جحود وإعراض وعوز وفاقة!

عبد الحميد الرشودي

هو ابن عبدالله والرشودي لقبه.

وُلِدَ في محلة جامع عطا من كرخ بغداد سنة ١٩٢٩ م.

دخل كلية الحقوق دون رغبته، إذ كان الأدب شغله الشاغل، وأتم الدراسة في الحقوق عام ١٩٥٣ م، وبقيت نزعة الأدب تغلب علي نزعة القانون، ولما أتيحت له فرصة الدراسة في كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، دخلها فوراً عام ١٩٦٧ م، فبالإضافة لعشقه للأدب والثقافة، إلاً أنه كان يفضِّل مهنة التدريس على جميع المهن الأخرى، وهكذا حققت أمنيته بعد عشرين عاماً من العمل في أمانة العاصمة (أمانة بغداد) كملاحظ ذاتية، وانصرف إلى التأليف والكتابة والنقد، حتى أصبحت بعض مؤلفاته منهجاً في بعض المدارس الثانوية. كتب في أكثر من مجال عدة كتب منها:

- آراء أبي العلاء المعري.
- الأدب الرفيع للرصافي والزهاوي ـ دراسات ونصوص.
- مقالات فهمي المدرّس.
- إبراهيم صالح شكر ـ حياته وآثاره ـ بالمشاركة مع خالد محسن إسماعيل وجميل الجبوري. ويقول عن نفسه: «إن هذه الكتب في جملتها لا تعدو أن تكون كتب جمع وتبويب أكثر منها كتب تأليف بمعناه الفني الاصطلاحي...».

ويقول أيضاً ـ متواضعاً ـ: «أنا لا أعد نفسي أديباً، ولا أزعم أني قد بلغت من الأدب المبلغ الذي أطمح إليه فما زلت قارئاً متأدباً، أنتظر الظروف التي تساعدني على إكمال رحلتي الأدبية، وإن مساهماتي في تناول بعض الكتب بالنقد والترجمة والمتابعة هو من باب المساهمة في الوصول إلى صيغة فضلى في

المؤلفات التي تتناول تراثنا الأدبي والشعبي المعاصر، وأن لا أبغي من وراء هذه الكتابة مجداً ولا شهرةً فلست ممن يريدون علواً في الأرض، فإن تقبلها بعض الإخوان بقبول حسن فذلك فضل منهم وتكرّم، وإني لست من الغرو والادعاء بحيث أتوهم أنّني قد بلغت في هذا الشأن مبلغاً يلفت الأنظار».

(مقتطف من جريدة (الاتحاد) ١٩٨٧ م بقلم هاتف الثلج)

قالوا في (المجالس)(*)

كتاب وثائقي نفيس، لا يمل قارئه منه، وكل صورة تذكارية، منشورة فيه، نادرة ولا تقدّر بثمن، ولو كنت ـ ما أزال ـ مديراً لدار الوثائق الوطنية، لاشتريتها منك بسعر مجز، مع توجيه الشكر لك.

أنا أعرفك محدّثاً لبقاً، وكاتباً جيداً، ولكنني ما كنت أعرف أنك شاعر جزل ممتاز.

سالم الألوسي

❁ ❁ ❁

الكتاب رائع يندر وجود مثله، وكنت أثناء مطالعتي له، أشعر بأنني انتقلت إلى أجواء بغداد قبل نصف قرن، وقد سهرت معه حتى الواحدة بعد منتصف الليل، ثم عدت إليه في اليوم الثاني حتى أكملته.

خالد عزمي

❁ ❁ ❁

كان الكتاب يغري على القراءة، بحيث لم أتركه حتى أنهيته، ولشدة إعجابي به، بادرت لكتابة مقال عنه بعنوان (الكرخي الحفيد في كتابه الجديد)، أرسلته في اليوم الثاني إلى جريدة (العراق).

حارث طه الراوي

❁ ❁ ❁

الكتاب صورة دقيقة للمجتمع العراقي في الثلاثينات، وإن التراجم الوافية

(*) شذرات من مواجهات شخصية ونداءات هاتفية أجراها معي الأساتذة، مشكورين.

والصور النادرة تزيد من قيمته الأدبية، بارك الله في جهودك.

أمين المميز

أخي الأعز الأستاذ حسين حاتم الكرخي لا عدمتك(*)

من صميم الفؤاد والوفاء، تحية أمينة الغاية، نقية الشوق، لمناسبة صدور (مجالس الأدب في بغداد).

هو كتابك، هذه المرة يرسل العبرة والطرفة والمثل الشرود، يصلني في أخوة فيها من التقدير المتقابل المتبادل ما يعجز اليراع مهما كان فيه من مداد العبارة المؤصلة من أن يصوِّر واقعها وجذورها النابتة أبداً في أرض الود، فلك الشكر على مسبق فضلك، وتذكّرك المعطّر بإهدائك الأدبي اللمّاح.

أرجو لك كل التوفيق فيما سترفد المكتبة العربية من مؤلفات هي وحدها التي ستتحدث عن فتىً من بغداد أحبها، فأعطاها ثراً من المتعة والعبرة.

خالص عزمي

٢٠/٨/١٩٨٧ م

إلى الأستاذ الأديب حسين حاتم الكرخي المحترم(*)

أهدي فائق تحياتي إلى سيادتكم، وأتشرّف بإعلامكم بما يلي:

قرأت كتابكم الممتع (مجالس الأدب في بغداد)، الجزء الأول، الصادر عام ١٩٨٧ م وأعجبت به كثيراً واستأنست بالحوادث والأخبار والطرائف التي ضمّها بين دفتيه، وهو يدل بلا شك على حرصكم على تسجيل ما عرفتموه عن مجالس الأدب في بغداد بعامة، وما له مساس بجدّكم المرحوم الملا عبود الكرخي بخاصة.

متمنياً للأخ الكريم موفور الصحة والنشاط لديمومة إثراء المكتبة العربية بنفائس ما تجود به قريحتكم.

وتفضلوا بقبول احترامي وتقديري.

عبد الرزاق الجزار ٢٧/٨/١٩٨٧م

(*) شذرات من رسالة رقيقة مسهبة.

(*) سطور من رسالة قيّمة، تشرفت من خلالها بمعرفة كاتبها الأستاذ الجزار.

في المكتبة العربية
الأدب.. ومجالسه(*)

ـ الكتاب: مجالس الأدب في بغداد (ج١).

ـ المؤلِّف: حسين الكرخي.

ـ مطبعة الديواني ـ بغداد (١٧٥ صفحة).

هذا كتاب من صميم الحياة.. فيه يتمرأى مجتمع في فترة من حياته، والمرآة التي يواجهها هي «مرآة الأدب». أما الواقفون قبالتها فهم أدباء عرفتهم بغداد ومجالسها. وقد ظلَّ ما عاشته هذه المجالس بين فئة خاصة تستعيد المناظرات، وتستذكر الطرائف، وتروي الوقائع التي كان أبطالها أعلام الشعر والأدب والصحافة في العراق خلال النصف الأول من القرن الحالي. ظلَّت كذلك حتى أتيح لها جهد السيد حسين الكرخي ليخرجها للجميع في كتاب يأمل أن تمتد أجزاؤه، مقدماً لنا، من خلال صفحاته، «صورة حياة» للأدب والأدباء في مرحلة لا نعرف عنها غير ما هو منشور... مما يمثل وجهاً واحداً فيها.

فهذا الكتاب ـ كما يقدّمه لنا الأستاذ عبد القادر البراك ـ يعكس «ما لم يسبق أن عكسته كتب الأدب من أخبار الأدباء في عراقنا الحديث. ذلك أن مجالس بغداد ومنتدياتها كانت في الماضي القريب أكبر مظان الثقافة والمعرفة

(*) جريدة (الجمهورية)، العدد ٦٥٥١، الجمعة ٢١/٨/١٩٨٧.

والأخبار، لأنَّها قد ضمّت من أعلام الأدب والفكر والفكاهة ما لم نجد له مثيلاً لهم في يومنا هذا».

وبهذا الكتاب يعيد المؤلف إلى واقع التأليف نمطاً من الكتاب انقطع عهدنا به منذ زمن بعيد.

ماجد السامرائي

حركة التراث(*)

● من الكتب المرتقبة التي صدرت الأسبوع الماضي في بغداد، الجزء الأول من كتاب «مجالس الأدب في بغداد» للباحث التراثي المجتهد الأستاذ حسين حاتم الكرخي ـ حفيد المرحوم شاعر الشعب الملا عبود الكرخي. وهذه السلسلة من الكتب تتضمن مجموعة نادرة من المناظرات والطرائف والوقائع الأدبية لأعلام الصحافة والأدب والشعر في العراق خلال النصف الأول من القرن العشرين. وقليل مَن يعرف أن المؤلِّف (الحفيد) يحمل شهادة البكالوريوس في العلوم التجارية والاقتصادية، من كلية التجارة والاقتصاد العراقية، وقد دفعه حبه للتراث الشعبي، لأن ينصرف إلى إحياء الضائع والمجهول منه، لاسيما آثار جدّه الكرخي الكبير.

إبراهيم القيسي

(*) جريدة (العراق)، العدد ٣٥١٠، تاريخ ٩/٨/١٩٨٧.

الأستاذ الجليل
السيد حسين الكرخي المحترم

بعد السلام والإكرام

استلمت بيد الشكر والتقدير هديتك الثمينة (مجالس الأدب في بغداد)، فلله درك ما استطعت تصيّده من تلك الشوارد والأوابد مما ضمّه سفرك النفيس، فاستطعت ـ يوم عجز الآخرون ـ أن تلم شتات تلك المِلح والطُرَف التي اقتنصتها وقيدتها بأسلوبك السلس الأخاذ، ففتحت أمام البغداديين باباً، ما أظنّهم إلاّ والجيه، اقتفاءً لأثرك البارز.

لقد استطعت أن تطرق درباً غير الدرب الذي سار عليه (الدروبي) و(السامرائي) في كتابيهما، فهذه الصحف الغراء التي أقرؤها ـ اليوم ـ بقلمك ما هي إلاّ مزيج رائع من الأناقة البغدادية والذوق المترف الذي اشتهرت به مدينة السلام، وأرجو ـ بصفتي قارئاً متتبعاً للموروث البغدادي ـ أن لا يطول بي الوقوف عند بابك منتظراً إشراقة بقية الأجزاء، فما أظن هذه الموسوعة التراثية الأدبية التاريخية الزاخرة بكل تالد وطريف إلاّ وسيكون لها الموقع الممتاز في ضمير القارئ ولدى الأجيال العاقبة.

إنَّ كل مجلس منها جاء اضمامة ورد وباقة ريحان، لذلك فلا غرابة إنْ حملت إلينا فصوله بقايا ذلك الأرج المخبّأ في زوايا الأيام. وبصفتك شاهد عيان على ما كان يدور بين أولئك الأعلام الراحلين الخالدين، فإنَّ رصدك لتلك الأحداث والأحاديث هو خير توثيق لها، وانك بذلك تكون السابق غير المسبوق، وستسجل لك الأيام فضل الريادة، فيما أنت ساع إليه.

وفّق الله مساعيك، وتقبّل مني تحية العرفان بالجميل. وسلام التلميذ على أستاذه.

فؤاد طه محمد

بغداد ـ دار السلام ـ الكرخ

٢٨ ذو الحجة ١٤٠٧ هـ

٢٢ آب ١٩٨٧

إصدارات حديثة

مجالس الأدب في بغداد(*)

■ للأديب حسين حاتم الكرخي، صدر مؤخراً كتاب جديد بعنوان (مجالس الأدب في بغداد) تحدّث فيه بشكل طريف عن العديد من الحكايات والمواقف الأدبية والثقافية، التي عاشها وعاصرها معظم الأدباء والصحفيين والمعنيين بالتراث والأدب الشعبي في بغداد. بل والعراق ككل.

وقد أورد الأستاذ الكرخي معلومات وثائقية وتاريخية عن عدد من أعلام العراق ولقاءاتهم ومجالسهم وآثارهم. ومراسلاتهم، كما تضمّن الكتاب نماذج من أشعار حسين الكرخي الشعبية التي قالها وراسل بها أصدقاءه في السنوات الماضية. وهذه الموهبة الشعرية لم نكن نعرفها عن الكرخي حسين من قبل. وقد منحنا كتاب (مجالس الأدب في بغداد) فرصة التعرّف عليه شعرياً، إضافة إلى المتعة الجميلة والذكريات العبقة عن حشد من الأدباء والأعلام التي وردت حكاياتهم بين دفتيه.

عادل العرداوي

(*) جريدة (الاتحاد) العدد ٥٤ تاريخ ١ أيلول ١٩٨٧.

□ مجالس الأدب في بغداد □

حكايات وذكريات عذبة عن مسيرة الحركة الأدبية

وروادها في العشرينات والثلاثينات(*)

(مجالس الأدب في بغداد) عنوان عريض لعالم واسع فضفاض من الحكايات والمواقف والذكريات التي لها مساس مباشر بمسيرة الحركة الأدبية في القطر، وبحياة مسيرة أعلامها من الأدباء والشعراء والصحفيين والمؤرِّخين. وصانعي الأحداث فيها، الأديب حسين حاتم الكرخي، بدأ رحلة الألف ميل بالخطوة الأولى بإصداره الجزء الأول من كتابه الجديد (مجالس الأدب في بغداد) الذي أورد فيه صوراً قلمية معبّرة عن وقائع ودقائق الأمور وتفصيلات مسيرة الحركة الأدبية في بغداد وشجونها وشؤونها... ورسم لنا بقلمه صوراً بديعة وبأسلوب مشوق تلك الأجواء الحبيبة التي عاشتها بغداد وأعلامها ومجالسها وصالوناتها الأدبية وما كان يدور فيها من نقاشات ومناظرات ومجادلات، تغلفها روح النكتة البريئة والمؤثِّرة.

○ تضمن كتاب الكرخي حكايات صغيرة تشبه الأخبار الصحفية لكنها ليست بالأخبار فيها من المتعة والبلاغة والنقد والسخرية الشيء الكثير، وقدّم فيها صورة للمجتمع البغدادي الأدبي في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن، ومنحنا فرصة التعرّف من جديد على الرصافي، والزهاوي، ونوري ثابت، وعبد الأمير الناهض، وأسماء أخرى حبيبة في عالم الأدب والصحافة والمجتمع.

(*) جريدة (الاتحاد)، العدد ٥٦، تاريخ ١ تشرين الأول ١٩٨٧ م.

○ وحوى الكتاب على مجموعة فريدة من الصور الفوتوغرافية لهؤلاء الأعلام بذل المؤلف جهوداً واضحة لجمعها وتبويبها ونشرها بهذا الشكل الذي أعطى للكتاب نكهة وثائقية مهمة. . .

عادل العرداوي

عادل العرداوي:

- عادل بن حسوني بن صياد، والعرداوي لقبه، لحقه من السادة (أهل العرد) المنتشرين في منطقة الفرات الأوسط.
- وِلدَ في قضاء المناذرة عام ١٩٤٩ م.
- عَمِلَ في الصحافة العراقية منذ عام ١٩٦٧ في مجلة (الفكاهة) وجريدة (المجتمع) و(الراصد) و(الوركاء)، وعَمِلَ محرراً لصفحات الأدب الشعبي فيها.
- عَمِلَ في جريدة (الجمهورية) محرراً للأخبار المحلية لمدة عشرة أعوام. وسكرتيراً لتحرير جريدة (بغداد) التي كانت تصدر عن أمانة بغداد، وقبلها في مجلة (أمانة العاصمة).
- يعمل حالياً محرراً لصفحات الأدب الشعبي في جريدة (الاتحاد) ومجلة (الحضارة) ومجلة (صوت الفلاح).
- عضو نقابة الصحفيين، وعضو اتحاد الصحفيين العرب، وعضو جمعية الشعراء الشعبيين.
- نشر العديد من المقالات والتحقيقات والبحوث المختلفة في معظم الصحف والمجلات العراقية.
- كتب الشعر الشعبي عام ١٩٦٤ م، ونشرت له معظم الصحف مقاطيع منه، كما أذيعت قصائده في الإذاعة والتلفزيون.
- ساهم في العديد من المؤتمرات والندوات والمهرجانات المحلية والعربية والدولية.
- متزوج وله ثلاثة أولاد وبنتان.


مجالس الأدب في بغداد
حسين الكرخي
لجزء الاول
١٩٨٧

مجالس الأدب في بغداد(*)

صدر الجزء الأول من كتاب (مجالس الأدب في بغداد) لمؤلِّفه الأستاذ حسين الكرخي.

يقول المؤلِّف عن كتابه (إن الكتابة عن مجالس الأدب وما يجري فيها من مطارحات ومناظرات وملح أدبية تعتبر تسجيلاً تاريخياً مهماً ينبغي أن يستأثر بعناية الكتّاب واهتمامهم، لأنَّ هذا التسجيل سوف يبقى حياً تتناقله الأجيال القادمة فتنهل منه العبرة والمتعة والفائدة وقد فطن إلى ذلك مؤرخو السير الأدبية في الشرق والغرب قديماً وحديثاً فعقدوا الفصول الطوال بل كتبوا المجلدات الضخمة عن مجالس الشعر والأدب. ولعل (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني خير سفر ضم كل طريف وملذ من أخبار أدباء العرب في مجالسهم ومناظراتهم ومنادماتهم الشيقة وهذه مكتبات الغرب، فإنَّها تحفل بالأشعار القيمة والبحوث المستفيضة لمؤرخين أجلاء اختصت كلها بهذا الضرب من التسجيل الأدبي.

جهاد مجيد

(*) جريدة (الثورة) العدد ٦٢٩٤، الصادر بتاريخ ١٩/٨/٨٧.

○ حصاد المطابع(*) ○

● **عواطف هاشم**

مجالس الأدب في بغداد

ضمن منشورات مكتبة النهضة العربية صدر الجزء الأول من كتاب (مجالس الأدب في بغداد) الذي ألَّفه حسين الكرخي وهو عبارة عن مجموعة مناظرات ووقائع أدبية لأعلام الشعر والأدب والصحافة في العراق خلال النصف الأول من القرن العشرين. يضم الكتاب عدة فصول تتحدث عن الشعراء كالرصافي والكاظمي والزهاوي وعن المجالس التي كانوا يقيمونها في تلك الفترة.

(*) جريدة (القادسية)، العدد ٢٣٠٧، تاريخ ٦ تشرين الأول ١٩٨٧ م.

العراق بين الأمس واليوم

إعداد: فخري حميد القصاب
مجالس الأدب في بغداد
نافذة يطل منها جيل اليوم..
على مجالس الأمس

المؤلِّف: الأستاذ حسين الكرخي.

الجزء: الأول ـ بغداد ١٩٨٧.

زخرت بغداد، دار السلام، بالأمس، بالعديد من مجالس الأدب التي كانت تلتئم في بيوت الأدباء العامرة، أو في المقاهي المتناثرة في حنايا بغداد، أو في إدارات الصحف التي كانت تصدر آنذاك ومثلما كانت للأديبة (مي زيادة) صالون أدبي ينعقد في كل يوم ثلاثاء في مصر الشقيقة، في مطلع هذا القرن، لتؤمه طائفة من خيرة كتّاب الشرق وشعرائه كإسماعيل صبري والرافعي والعقّاد وغيرهم. كان (صالون الجمعة) في بغداد، ينعقد في دار محمود صبحي الدفتري المطل على نهر دجلة بجانب الكرخ والذي كان ندوة أدبية فكرية وملتقى للأدباء والمفكرين ولمن كان يزور بغداد في العشرينات والثلاثينات والأربعينات، وعلى غراره كان (مجلس الجمعة) للعلامة الأب انستاس ماري الكرملي في دير الآباء الكرمليين في بغداد. و(مجلس الأحد) لروفائيل بطي الذي كان يلتئم في مقر إدارة جريدته (البلاد) وغيرها الكثير من المجالس الأخرى هنا وهناك.

• كتاب المجالس(*)

يأتي كتاب الأستاذ حسين الكرخي، الذي نعرض له في هذه الزاوية، لا ليضيف رقماً جديداً إلى مجمل المؤلفات المطبوعة في هذا الميدان أو ذاك، وإنَّما ليأخذ مكانه كمؤلف فريد كانت المكتبة الأدبية والفولكلورية، وما زالت، بمسيس الحاجة إلى مفردات المادة التي تناولها بأسلوب أدبي شائق نأى به عن التكلف والصنعة اللذين يكلف بهما البعض من الكتّاب. وقد وصف المؤلف الفاضل كتابه بأنَّه «مجموعة مناظرات وطرائف ووقائع أدبية لأعلام الشعر والأدب والصحافة في العراق خلال النصف الأول من القرن العشرين». ومَن يتصفّح الكتاب يجده، بحق، كما وصفه المؤلّف.. فهو سفر يأخذ القارئ في رحلة سياحية إلى عالم الطرافة والمتعة، إلى جانب ما يقدّمه له، أثناء الرحلة، من خزين الزاد الثقافي والفولكلوري.. ذلك الخزين الذي حرص المؤلّف على أن يزيل الصدا عن مكنونه ليقدمه فاكهة شهية للمتتبعين، بلّه لمتذوقي الأفاكيه والنوادر والطرائف. ولا أدل على ذلك ما تلاقيه كتابات المؤلف عن هذه المجالس التي دأب على نشرها في جريدة (الاتحاد) الغراء، من هوى في نفوس القراء.

• من مقدمة الكتاب •

أوضح المؤلف في مقدمة الكتاب أن نواة مادته ترجع إلى عهد الصبا، يوم كان المقرب إلى جدّه المرحوم الملا عبود الكرخي، فأملى عليه مجموعة نادرة من نوادره، فكانت النواة التي شجعته فيما بعد على تقصي ما كان يدور في المجالس الأدبية الأخرى فتجمعت لديه إضمامة طيبة نشر عدداً من أزاهيرها في الصحف والمجلات البغدادية خلال الخمسينات، ثم أضاف إليها فصولاً أخرى وجد أنَّها تصلح لأن يضمها في كتاب فولكلوري مستقل.. فكان الكتاب الذي بين أيدينا.

• نبذة عن محتويات الكتاب •

احتضن الكتاب بين دفتيه ما يقرب من مئة وستين صفحة، استهلها بنبذة عن أشهر المجالس في بغداد وأماكن انعقادها وأشهر روّادها. وأهمية الكتابة عن

(*) جريدة (العراق) العدد ٣٩٦٤، ٢٩/١/١٩٨٩.

مجالس الأدب وما يجري فيها من مطارحات ومناظرات، فتراه يأخذ القارئ إلى مجلس تدور فيه رحى المطارحات الشعرية بين كبار الشعراء كالرصافي والزهاوي وغيرهما تارةً، ثم ينتقل إلى نوادر يكون المقهى مسرحاً لها تارة أخرى.. وهكذا، بحيث لا يشعر القارئ إلاً وهو في روضة تحتضن اضمامات متنوعة من الأدب والتاريخ والفن وأدب السيرة والسياسة والصحافة والأدب الشعبي ونوادر الظرفاء.

وضمَّ الكتاب فوق هذا وذاك بعض النماذج من لغة الدواوين في العهد العثماني، والتعليم أيام زمان، ونماذج أخرى من شعر المطارحات وباقات من نوادر المشتركين في الصحف، ولمحات من كتابات الموظفين أيام زمان. وصوراً من كلام البسطاء في المجالس الأدبية، وبعضاً من نوادر الظرفاء، ولم يفت المؤلِّف أن يقدِّم في كتابه تراجم مفيدة لواحد وخمسين علماً ورد ذكرهم فيه، كالرصافي والزهاوي والكاظمي والكرخي ونوري ثابت والدفتري والبناء والكرملي والشبيبي وغيرهم من أعلام الفكر والأدب والشعر والصحافة والسياسة والفن.

ويقيناً.. أنَّ القارئ الذي تسنى له مطالعة الجزء الأول من هذا الكتاب، الذي يحلو لي أن أسمِّيه (مجالس الأمس.. معاهد اليوم)، لهو في شوق لصدور الجزء الثاني منه.

مقدمة
الجزء الثاني

صدر الجزء الأول من هذا الكتاب، عصر الاثنين ٢١ تموز ١٩٨٧ م، وما إن طُرِح في المكتبات، وأصبح في متناول أيدي القرّاء الأفاضل، حتى وصلتني من الإخوة الأدباء والأصدقاء رسائل ونداءات هاتفية رقيقة، مرحّبة بصدوره، ومُعربة عن تثمين وتقدير ـ قد لا أستحقه ـ فلهم الخير في جملته.

كما أنَّ صحفنا الغراء هي الأخرى استقبلته بترحاب واهتمام فاستحقت من فيض الشكر والامتنان أوفره وأعطره.

إنَّ الكلمة الطيبة ـ بلا شك ـ لها فعل السحر في التشجيع على مواصلة العمل بثقة ورغبة وارتياح.

لقد تفضّل عليّ عدد من أكارم الباحثين والكتّاب بملاحظات قيمة، أخص بالذكر منهم الأساتذة عبد القادر البراك وحارث طه الراوي وعبد الحميد الرشودي، أفادتني كثيراً في تمحيص فصول هذا الجزء تفادياً لهنات عيّنات حصلت في الجزء الأول، سببها الرواية المتداولة والأحاديث الشخصية المتواترة، والمصادر المتوافرة، من أجل أن يستكمل هذا الأثر ما هو جدير به من جوانب الكمال، وإن كان الكمال لله وحده.

ولا بدَّ لي من القول إنه أول كتاب عُرف بهذا العنوان في بغداد عام ١٩٥٥ م، ولم يُعرف كتاب غيره إلاَّ بعد سنين من نشر فصوله في الصحف.

فالفصل الأول منه نُشر في العدد السابع والأربعين من مجلة (قرندل) الصادر بتاريخ الرابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٥٥، وتسعة فصول أخرى نُشرت في جريدة (المجتمع) البغدادية، من العدد السادس والعشرين الصادر

بتاريخ ٥٦/١/١٤، وإلى العدد الثالث والثلاثين المؤرَّخ ١٩٥٦/٩/١٥، كما نُشرت أربعة فصول منه في مجلة (دنيا السكك).

والكتاب ـ أي كتاب ـ سواء نُشر في فصول متسلسلة، أو جُمع كاملاً بين دفتين، فهو كتاب لا ريب، له تأريخ ميلاد محدّد، وإن لم يسجّل في دائرة الأحوال الأدبية!؟ ويصدر به رقم إيداع!.

من هنا تبرز أهمية هذا الكتاب، وتفرده ـ دون غيره ـ بالسبق، والمضمون والموسوعية، فإنَّه لم يكتف بتدوين تراجم وافية لشخوصه من الرواد الأوائل والمعاصرين، بل زاد على ذلك أنه اختص بذكر ما كان يدور ويجري في المجالس من مناظرات وطرف ووقائع لأعلام الشعر والأدب والصحافة والظرافة في بغداد خلال النصف الأول من هذا القرن، والتي أغفل الكتّاب والباحثون تدوينها فضاع أكثرها ـ للأسف ـ وهو جزء هام لا يعوض من تراثنا الفكري والأدبي والاجتماعي، بحث جاء محتواه مشاكلاً لعنوانه، فانطبق اسمه على مسماه تماماً.

إنَّ الجهد المبذول في تصحيح كراريس الجزء الأول، كان مضنياً، مرهقاً للأعصاب، ورغم ذلك لم يسلم من أخطاء مطبعية، بعضها هينة والأخرى فاحشة، أحرجتني غاية الإحراج، أمام الإخوة القرّاء والنقّاد، ولكن (اليطبخ يدري والياكل ميدري)، والمؤلِّف مستهدف على كل حال.

لا خلاف في مسألة تطور فن الطباعة تطوراً خيالياً في السنين الأخيرة، باختصاره الوقت والجهد، فالكتاب الذي كان يطبع في سنة تقريباً، أصبح ينجز خلال شهرين أو ثلاثة، ولكن هذا التطور، بالاتجاه المعاكس لم يوفّر الدقة، ففي كل مرحلة من مراحل الطبع، تبرز أخطاء كثيرة، تتطلب الملاحقة والتصحيح. وأقولها ـ عن تجربة ـ أنَّ الطبع بطريقة (اللاينو تايب) هو الأسلم والأكثر دقة، وإن كان بطيئاً، فالبطء مع توافر الدقة خير من السرعة مع تفشي الخطأ. إن المراجع التي اعتمدتها في إعداد فصول هذا الكتاب تتلخص بالآتي:

١ ـ لقاءات شخصية مع جدّي المرحوم الكرخي، تناولت ذكرياته ومنادماته وشعره وسيرة حياته.

٢ ـ ملاحظات خطية دوّنت في دفاتر جيبه التي زادت على الثلثمائة.

٣ ـ أحاديث وروايات المعاصرين له، وغيرهم ممن يحفظون طرائفه.

٤ ـ نصوص موثقة بالنشر في الصحف والمجلات والكتب.

٥ ـ ذكرياتي الخاصة، وما سمعته من والدي وعمومتي وغيرهم من الأقارب.

٦ ـ رسائل شخصية وأوراق ونصوص شعرية غير معروفة لعدد من الرواد، منهم الرصافي، وجدتها بين مخلفات جدِّي الكرخي.

وحين وجدت أن المتجمّع لديّ من فصول وروايات ومطارحات ونصوص، لا تخرج في جزءٍ واحد، جعلتها في أجزاء متسلسلة وهناك فصول كثيرة أخرى تدخل في باب الأدب المكشوف، طويتها رعاية لبعض الاعتبارات والظروف، وأنا غير راغب في حبسها داخل زنزانة الملف مدى الحياة، لأنها لا تؤثم، وإنما المأثم في شتم الأعراض، وقول الزور والكذب، وأكل لحوم الناس بالغيب.

لقد آخذني بعض النقاد، لأنَّني نشرت في الجزء الأول نزراً يسيراً من النوادر (الصريحة)، والنصوص الشعرية (المكشوفة)، ولا أدري لِمَ التحرج من نشرها، وأمثالها كثيرة في كتب الأدب العربي، تتداولها العامة والخاصة، فهذا كتاب الأغاني ويتيمة الدهر وعيون الأخبار ونهاية الأرب وألف ليلة وليلة، ومئات من كتب الأدب، مليئة بأفضح ألوان الشعر والنثر، يعتبر ما نشرته في هذا الكتاب ـ بالنسبة إليها ـ غاية في الحياء. وهذه الكتب موجودة في المكتبات العامة والخاصة وفي متناول أيدي الجميع من الجنسين.

إنَّ تسجيل هذه الأخبار والروايات الأدبية أمانة في رقبة الكاتب والمؤرخ ولا يجوز إغفالها عامداً متعمداً، ولأي سبب من الأسباب، لأنَّها ـ بمجموعها ـ غثها وسمنها، تعكس الصورة الحقيقية للمجتمع، في فترة زمنية محددة، وتجسد طبائع الناس الذين يعيشون في تلك الفترة، ونمط تفكيرهم، وما يثيرهم ويرضيهم، وما يجري على ألسنتهم من معاني الرضا والقبول، والتأييد والمعارضة، فالنكتة السياسية الجارحة، والمكشوفة أحياناً، التي انتعشت وانتشرت في المجتمع المصري ـ مثلاً ـ كانت انعكاساً لرأي الناس في الاحتلال الأجنبي الجائر، أو في نكسة حزيران، أو في الإحباطات المريرة التي انتهت إليها ثورة يوليو (تموز)، وكانت تصل إلى مسامع المسؤولين فيتقبلونها بصدر رحب، وبابتسامة عريضة ـ أحياناً ـ لأنها تمثل واقعاً مهيناً، أسهموا هم أنفسهم وحواشيهم في خلقه وإقراره.

وما يقال عن (النكتة) ينسحب على الشعر والنثر والمنادمات وغيرها مما كان يدور ويجري في المجالس.

إنَّ المتلقي واحد من اثنين، متفهم ينظر إلى الأمور نظرة موضوعية

عقلانية، أو متجاهل، متعصب، يخفي رأسه ويكشف ذيله، والازدواجية في التصرّف والتفكير والسلوك أصبحت سمة بعض الناس في عصرنا هذا، ففي مجالسنا الخاصة ـ مثلاً ـ لا نطرح إلاَّ النكتة الصريحة، ولا نروي إلاَّ الطرفة المكشوفة، نرتاح لها ونتلذذ بها، ولكننا في خارجها، نتحدث حديث العلماء والحكماء والأتقياء، الذين يخشون أن تُدهس نملة تحت أقدامهم. (عجيب أمور، غريب قضية).

وفي بعض الأحاديث والروايات والمحاورات، التي ضمّها الجزء الأول، وقع لحن هنا وهناك تركته كما هو، حفاظاً على سلامة النص، ولأنَّ الاعراب ربما سلب بعض الحديث حُسْنه، وشاطر النادرة حلاوتها:

(منطقٌ بارعٌ، وتلحن أحياناً وأحلى الحديث ما كان لحنا)[1].

وعملاً بقولهم: لئن أعربنا في كلامنا حتى ما نلحن، لقد لحنّا في أعمالنا حتى ما نعرب، وفي هذا الجزء رأيت العكس، ولو على حساب النص، ترضيةً لـ (پوليس النحو)[2].

إن مسؤولية الروايات التي سقتها في هذا الكتاب تقع على عاتق رواتها حصراً، ولكون هؤلاء الفضلاء ممن يقدرون المسؤولية الأدبية والتاريخية، وإنهم شهود عيان على ما كان يجري ويدور في تلك المجالس، فقد اعتمدتهم كمرجع موثّق، من بين بقية المراجع والمصادر الكثيرة الأخرى.

إن اكتفاء بعض الأخوة النقّاد، بإبداء ملاحظاتهم النافعة على الكتاب، لا يفي بالمرام، فإنَّني على ثقة من أنهم يختزنون في ذاكرتهم الكثير من الذكريات الطريفة عن (المجالس)، فمن أوجب واجباتهم أن ينشروها على الناس. وقد نبّهت إلى ذلك في صيغة (الإهداء) حين قلت (إلى الذين تيسّر لهم حضور مجالس أدبائنا بالأمس، عسى أن يحفزهم لتقديم المزيد من أخبارها وطرائفها)[3]. فحرام أن تضيع هذه الكنوز الثمينة من أدبنا العراقي الرفيع.

بقي لي أن أقول: إنَّ النقد حق العلم على أهله، شريطة أن لا يكون من قبيل (من طلب عيباً وجده) لأن (مَن أراد له مخرجاً لم يفته). وسأكون شاكراً لو تفضّل قارئي العزيز بإنفاذ ملاحظاته وآرائه في الكتاب ومواضيعه، إلى العنوان المذكور في صفحته الأخيرة، للأخذ بها، كلاً أو جزءاً في الطبعة التالية، والله الموفق للصواب.

المؤلّف

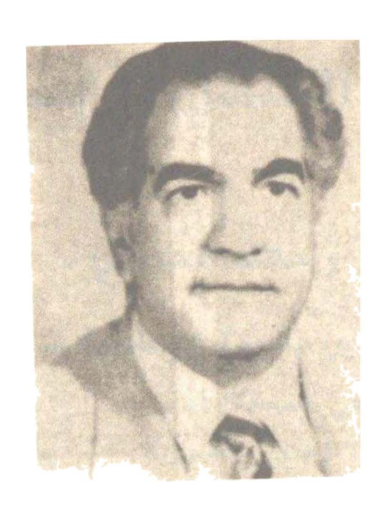
هوامش

(١) عيون الأخبار (السلطان) لابن قتيبة، دار الفكر ـ بيروت ـ ص ٦ وص ٧ عام ١٩٥٥ م.

(٢) بوليس، كلمة إنكليزية بمعنى الشرطي، وتستعمل للمفرد والجمع، وبالمناسبة فإنَّ العلاَّمة الشيخ محمد بهجت الأثري، كان يذيل مقالاته بتوقيع (بوليس السماء)، ويقول الأستاذ عبود الشالجي في موسوعته (ج١ ص ٣٨٤، طبع بيروت ١٩٨٢ م): وممن كني بهذه الكتابة الأستاذ الأثري، وكان متشدداً في الأمور المتعلقة بالدين، ثم يروي نكتة عنه، غاية في الطرافة، لا مجال لذكرها هنا.

(٣) مجالس الأدب في بغداد، الجزء الأول، عام ١٩٨٧ م، ص ٥.





حسين الكرخي

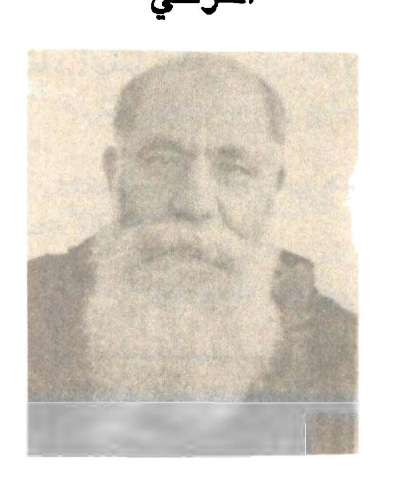
من (البغداد) إلى (بصرة)!؟

- الشاعر أكرم أحمد وإخلاف الحويزي -

- محاورة شعرية بين (سيِّد) و(عامي) -



الكرخي



كان الكرخي من أصدقاء الأب أنستاس ماري الكرملي، وممن يحضرون مجلسه في كنيسة الآباء الكرمليين، ومرة كان الحديث يدور بينهما حول اللغة العربية، والأثر السيِّئ الذي تركته سياسة التتريك عليها إبان العهد العثماني المظلم، والتي انعكست على كل وسائل التعبير وبالأخص لغة التخاطب حيث كثرت فيها الألفاظ التركية، والفارسية والهندية وحتى الإنكليزية، ومن ذلك أن الكرخي روى لجليسه العديد من النماذج التي اطلع عليها في دواوين الحكومة، والصحف والمراسلات وأحاديث الناس، ومنها النموذج الطريف الآتي، قال:

صادفني في الطريق صديق من المخضرمين، الذين أدركوا العهدين العثماني والعربي، وبعد السلام والكلام، قال لي:

ـ ملاّ! . . . أنا ذاهب من (البغداد)!؟ إلى (بصرة)!؟ فهل لديك حاجة، أو شيء أوصله لك إلى هناك؟

فقلت له ساخراً:

ـ أفندم! خُذ (ألف لام) التعريف معك من (البغداد) وأوصلهما إلى (بصرة)، ولا أريد منك شيئاً آخر.

فخجل هذا المخضرم من نفسه، ومني أيضاً، بعد أن فطن إلى خطئه اللغوي، وانصرف لا يلوي على شيء.

❀ ❀ ❀

في أوائل أيار ١٩٤٠، دعا الكرخي صديقه أبا شهاب الحويزي[١]، مع مَن دعاهم على شرفه من الأصدقاء، إلى وجبة عشاء في مقر جريدته في الصالحية من جانب الكرخ، وقطع الحويزي عهداً على نفسه بالحضور، وفي الوقت المحدد، ولسببٍ ما، أخلف الوعد، وكان شاعر الشباب أكرم أحمد[٢]، من بين المدعوين، فاستغرب تصرّف (الحويزي) هذا، لعلمه، أنه من غير الممكن أن يتأخر عن حضور أمثال هذه الولائم والدعوات، فجادت قريحته ـ ارتجالاً ـ بالأبيات الظريفة التالية:

أبْلِغ أخانا (الحويزي) ... بالشرح لا بالرموزِ
أخلفت وعداً وهذا الإخلاف فيك غريزي
علامَ كثر التجافي ... وفيم فرط النشوزِ؟
أما قرأت قديماً ... ما في الكتاب العزيزِ؟
: لا يُخلف الله وعداً ... ، فكن كذا يا عزيزي

وفي اليوم التالي، أنفذ إليه الكرخي هذه الأبيات ضمن رسالة عتابية ظريفة، أنهاها بالآتي: (إنَّ الله لا يخلف الميعاد)، فمَن أنت حتى تخلفه؟!

❀ ❀ ❀

روى الشاعر الكرخي هذا المثال عن أصالة الشعر الشعبي لجمع من جلسائه قال:

كنت أحد جلساء المرحوم عبد المجيد الشاوي[*] ـ رحمه الله ـ وكانت

(*) في الجزء الأول من هذا الكتاب ترجمة وافية له.

تربطني به صداقة متينة، وفي ذات يوم كان البحث يدور في مجلسه حول الشعر والشعراء، فقال لي: كل كلام موزون، مقفى، صادر عن شعور صادق، فصيحاً كان أو عامياً هو شعر، كالموال والعتابه والأبوذيه والنايل والميمر، والمربع... الخ، وقد اطلعت على جدل وقع بين (سيِّد) و(عامي) من سواد الناس، وكان السيد ممن يحتسون الخمرة ويشهدون الزور، ويرتكبون جميع المحرمات، أمَّا العامي فكان صادقاً عفيفاً، فنظم السيد بيت (ميمر) وأرسله إلى العامي، وهذا هو:

إحنه الذي من أصل النبي ما صِلنا ... شحّد الذي يوصل مثل ما صلنا
إحنه بني هاشم إذا ما صِلنا ... شبه الحيايه الهايمات البتّر

(ما صلنا الأولى تعني أصلنا، والثانية تعني ما وصلنا إليه، أمَّا الثالثة فتعني الصولة).

فردَّ عليه العامي بالبيت الآتي:

فاسق، تجنّب غضبتي والماضي(*) ... والسافي أمضى من السمر والماضي
تفتخر بالراحوا عَلَيْ والماضي ... لا زال من طيّب خبيثٍ يظهر

(الماضي الأولى تعني الكلام مأخوذة من اللمظ، والثانية تعني السيف، أمَّا الثالثة فتعني السالف أي الذي مضى وانقضى).

وخاطبت امرأة كلبها عندما كان ينبح على عشيقها:

لابو اليذبلك زاد لابو اليربّيك ... لا تنبح إغلى هواي چم دوب أوصّيك[1]

وقالت أخرى:

هلهِل يشامت عاد خل يسمعونك ... عگلي أو وليفي راح گرّة أعيونك

وقالت إحداهن تخاطب أمّها:

يركد بَلبيّه حبال يا يُمّه جودي ... چن سايج المزيان مفرگ انهودي[2]

وقالت إحدى المغرمات تخاطب عشيقها:

صوبك جِمِل گيصوم واحنه امحلينه ... سَوْلك چَلَچ يهواي واعبر علينه[3]

وقالت غيرها:

شفت الضوه من ابعيد، گِلْت احرّگنه ... لمّن أجي للبيت، لَنْ وِلفي عِدنه[4]

وهكذا ترى في الأبيات المتقدمة قوة الحجة وحسن التعبير، ومما لا شك فيه أن سحر البيان لم يكن محصوراً بالشعراء دون سواهم من عامة الناس.

(*) صحيحها بالظاء، ولم أشأ تغيير النص، فأمثالها كثيرة في الشعر العامي.

هوامش

(١) هو أحمد الياسين، من وجهاء البصرة المعروفين.

(٢) أكرم أحمد (١٩٠٨ ـ ١٩٦٨) هو أبو سهيل بن أحمد بن توفيق البغدادي من عشيرة الكرخية، أديب معروف، وُلِدَ في بغداد، ونشأ فيها، ودخل الابتدائية والثانوية، وبعد أن أكملها أخذ يتابع الأعلام من العلماء وا لشعراء وينهل من معينهم، فقرأ أمهات الكتب والدواوين ذات الأثر في تنمية المواهب الشعرية والقرائح الأدبية. عُيِّن مدير تحريرات، ثم مدير ناحية ثم قائمقاماً ومتصرفاً، وفي عام ١٩٥٦ أحيل على التقاعد. وهو شاعر مطبوع، يرتجل الشعر وقد يقوله بسرعة تشبه الارتجال. له من المؤلفات (ذكريات المدرسة)، وأشعاره كثيرة نشر قسماً منها (علي الخاقاني) في كتاب (شعراء بغداد).

(٣) زاد: طعام. هواي: حبيبي. چم دوب: كم مرّة. لأبو: جزء من شتيمة كقولهم: العن أبوك لأبو أبوك.

(٤) يركد من الركود: يستقر. بليّه: بلا، بدون. الجود: وعاء من القماش السميك يوضع فيه ماء الشرب. چن: كأنّه. سابج: سابق.

(٥) صوبك: بجانبك. امحلينه: مأخوذة من المحل، الجفاف.. الخ. سَوْلَك: سوّيلك، اعمل لك. چلچ: كلك. حِمِل: حمولة دابة. گيصوم: قيصوم وهو نبات طيِّب الرائحة يُتداوى به.

(٦) شِفت: رأيت. الضوه: الضياء. أجي: من جاء يجيء. لن: كقولهم وإذن. ولفي: حبيبي، أليفي. عِدنه: عندنا.

الذنب ذنبك يا كرخي - لا بدَّ من النقد!؟ - ابتلاء الصحافة بالمشاركين -

من ذكريات الشاعر الكرخي التي رواها لجلسائه ما يلي:

اعتدت زيارة صديق لي وهو شخصية بارزة ومن كبار رجال الدولة، وقد زرته مرة في ديوانه، ولكثرة حبه لي، فهو دائماً يلقي الذنب عليّ في تأخري وابتعادي عن المساهمة في الاشتغال بالسياسة مع الرجال البارزين، الذين انتفعوا بينما أنا قابع في زاوية النسيان، وقد أورد لي حكاية بمحضر من كافة جلسائه وأنا منهم طبعاً، وهي جديرة بأن يطلع عليها الناس للعبرة والتاريخ. قال:

كان في زمن الحكومة العثمانية أحد المزارعين يدعى (هذّال) من عشيرة بني تميم، وكان مدير السنية . أي مدير أموال الحكومة - في (بلد) آنذاك (عبدالله أفندي)، وفي ذات يوم أراد (هذال) أن يقدِّم لمدير السنية هدية، فدخل في وسط غنمه، واختار منها عشرة خرفان سمان، وأرسلها له مع أحد الفلاحين يدعى (عبد بن سنيد)، ومعه رسالة، فأخذها (عبد)، ولما وصل إلى أراضي (هور عگرگوف) والغنم معه، شاهد وفرة الأحطاب في الهور فاشتهى اللحم المشوي، فأمسك بأحد الخرفان وذبحه، وأوقد النار وصار يقطّع لحمه، ويصفّه على (شيش) بندقيته ويضعه على النار، واستمر في الشَيْ والأكل إلى أن شبع، وقدّم باقي اللحم إلى أهله وجيرانه. ثم ساق الغنم وواصل السير حتى وصل ناحية (بلد)، فقدَّم رسالة (هذال) مع التسعة خرفان إلى مدير السنية. فاستقبله هذا بما يليق به - لأنَّ الهدية (مو شويّه).

- ولما فتح الكتاب وجد أن عدد الخرفان ينقص واحداً. فقال له:

- هذي تسعة، وين العاشر؟؟

- مولاي، العدد مثل ما جاء في المكتوب!

- وِلك بالمكتوب عشرة والغنم تسعة، وين العاشر؟

- مولاي! هاي عشرة!

وبعد أن عجز المدير عن إقناع الرسول من أنها تسعة خرفان، قال له:

- ولك شد تحجي، انتظر دا افهمك زين.

- تفضل مولانا!

فما كان من مدير السنية إلاّ أن استدعى عشرة من أفراد (الجندرمة) وطلب أن يمسك كل واحد منهم خروفاً، فامتثلوا الأمر. ومسك تسعة منهم الخرفان التسعة، وبقي (جندرمة) واحد بلا خروف. وعند ذاك قال مدير السنية لـ (عبد ابن سنيد):

- عبد! هالنوبه شتگول؟ هذا (جندرمه) بقى فارغ؟!

فتأمل (عبد) قليلاً عندما شاهد منظر (الجندرمة) الواقف بلا خروف، وقال:

- الذنب ذنب هذا (الجندرمة)، ليش ما سبق ربعه ومسك خروف؟

وبعد أن انتهى صديقي من سرد حكايته هذه، كرّر عليّ قوله السابق:

- الذنب ذنبك يا كرخي. فأجابه الكرخي: هذا استغلال رخيص لا أوافقك عليه.

❁ ❁ ❁

في مطلع القرن الحالي، وُجِد في النجف الأشرف شاعرٌ هجّاء، قدّم الناس بحقه شكوى إلى العلامة الشيخ محمد طه نجف(*)، فأرسل سماحته

(*) محمد طه نجف: هو الشيخ محمد طه بن مهدي بن محمد رضا النجفي، (١٨٢٥ م - ١٩٠٥ م)، وهو من كبار مجتهدي الإمامية، جمع بين الفقه والأدب، تتلمذ عليه الشاعر الكبير السيد محمد سعيد الحبوبي، كان يألف البساطة في مأكله وفي ملبسه وفي جميع تصرفاته، وكان لا يحب السير في موكب من أتباعه ومريديه، عند انتقاله بين بيته والصحن الشريف، وإنما كان يخرج من بيته منفرداً، وأضر (فَقَدَ بصره) - رحمه الله - في آخر أيامه، ولكنه ظلّ مصراً على أن يسير منفرداً بين بيته والصحن، لا يصحبه سوى =

بطلبه، وحذّره من هجاء الناس مرة ثانية، فامتثل هذا أمره، وعاهده على عدم هجاء أي أحد.

واتفق أن شاهد الشاعر في شهر تموز أحد الناس في الطريق مرتدياً ملابس الشتاء الثقيلة، المكوّنة من شروال وزبون چوخ، وجُبّه (شال تِرْمه)، وفوقها فروة أفغانية من (كابل)، وقد لفَّ على رقبته لفافاً من الصوف، وعلى رأسه (ساعوريه)، وفي يديه قفّاز من الوبر، وفي قدميه جوارب صوفية مع (چزمة) جلدية ثقيلة. فأهاجه هذا المنظر، وهجم على صاحبه، ممسكاً بتلابيبه، واقتاده إلى العلامة الشيخ محمد طه نجف، وقال له:

ـ مولانا! أمرتم أن أكف عن الهجاء، فكيف أتجنبه، وأشاهد مثل هذه النماذج؟

فضحك سماحته وأجابه:

ـ الله في عونك يا ولدي، ولكنْ انقد ولا تُجرِّح.

أورد الكرخي هذه الحكاية لجليسه المرحوم الشاعر محمد الهاشمي[1]، الذي كان ينصحه بترك الهجاء والتحوّل إلى أغراض الشعر الأخرى، وقال الكرخي له أيضاً:

ـ أنت وغيرك من الأصدقاء يطلبون مني الكف عن الانتقاد والهجاء، في حين إنني أشاهد الكثير من لابسي (الفروات) في الصيف يومياً، فكيف تريدون مني أن أكف عن نقد هؤلاء؟ وقد سبقَ لي أن قلت في هذا الباب أبيات شعرية منها:

شـلـون اسـكـت واشـوف جـراب يـگـرض فـار

و(عـبّـيـان) أصـبـح بـالـچَـرِد دوّار

وسـرْج امـرّخـت يـحـطّـوه فـوگ احـمـار

= عكازة يتوكأ عليها، وحدث أن كان ذات يوم ماشياً منفرداً يقصد الصحن الشريف، فاستوقفته فتاتان أرادتا أن تتندرا عليه، إذ حسبتاه معمماً من عامة الناس، وقالتا له: نريد منك يا عم أن تحكم بيننا، أينّا أحلى؟ فضحك ـ رحمه الله ـ وأدرك أن الفتاتين لم تعرفاه، فقال لهما: إن الحكم في هذا الموضوع على (الضوگ) ـ الذوق ـ والنظر وحده لا يكفي. فانصرفتا عنه تتضاحكان، وسار الشيخ في طريقه.

(موسوعة الكنايات العامية البغدادية) للأستاذ عبود الشالجي، الجزء الأول، ص ٥٩٤.

والـــواويـــه تـــفـــرســـهـــن دجـــاجـــتـــنـــه

فضحك الهاشمي ـ رحمه الله ـ وأعطاه بعض الحق.

ومن مخطوطاته: (أراجيز العرب) و(الأمثال البغدادية) وهي بخط العميد عبد الرحمن التكريتي[٢]، وتقع في (٤٥٣) صفحة، وهي من موارد موسوعة التكريتي (الأمثال البغدادية المقارنة) وأختها (جمهرة الأمثال البغدادية). نقول إن نصيحة الهاشمي بالكف عن الهجاء أنفذها إليه شعراً أيضاً، وفي أدناه بضعة أبيات من قصيدة وجهها إلى صديقه الكرخي بهذا الشأن:

يا شاعر الجمهور أنت مقدَّمٌ	لك بينهم حقاً أجلّ مكانِ
سر في طريقك لا تجب متعرضاً	بك فالسباب سلاح كل جبان
واسكت ففي بعض السكوت إجابة	للجاهلين وفي السكوت معاني
كن كالأصم إذا سمعت شتيمة	واسلك سلوك العاقل اليقظان
أمّا الهجاء فلا تسر في نهجه	واعمل لنشر الفضل والإحسان

في آذار ١٩٤٠ زار الكرخي مدينة العمارة لمهام صحفية، وهناك التقى بأحد المشاركين في جريدته، فقال له هذا:

ـ ملا! المفروض أن تزورنا مرة واحدة في السنة، ويظهر أنكم نسيتم فجئتم مبكرين، قبل الأوان.

فأجابه:

ـ يظهر أن الذي نسي هو أنت ولمصلحتك، كما أني نسيت أيضاً، فجئتكم بعد سنة ونصف على آخر زيارة لي، وهذا ليس في مصلحتي، ومثلكم مثل زوجة التاجر التي افتعلت النسيان لمصلحتها.

ـ بروح أبوك ملا! ما هي قصتها؟

صادف أن دخل أحد التجار جامعاً لقضاء حاجة!! فسمع الواعظ يعظ الناس، ومن جملة وعظه: (إن ملامسة النساء في ليالي الجمع مستحب). ولما كان هذا التاجر متديناً فقد ذهب إلى زوجته وأخبرها بفتوى الواعظ، وطلب إليها أن تضع على فراش الزوجية (پشتمالاً) أحمر في كل ليلة جمعة، لأنَّه كثير النسيان، مشغول البال بأعماله التجارية، ويحتاج دائماً إلى مَن يذكّره بما يجب أن يؤدّيه من عمل. فامتثلت الزوجة أمره، وفي ليلة الجمعة من الأسبوع الأول وضعت البشتمال على فراشها، وفي الأسبوع الثاني وضعته مرتين ـ مستغلة نسيان

زوجها ـ وفي الأسبوع الثالث وضعته بين يوم وآخر، ثم استمرت على وضعه فوق فراشها يومياً، وزوجها يعتقد أن كل ليلة يشاهد فيها هذا البِشتمال هي ليلة جمعة. وأخيراً انتبه إلى ذلك، فقال لزوجته:

ـ يمعوده! أشو صارت كل ليلة[٣]؟

فأجابته بخبث: چَلَبي[٤]، نسيت!!؟

وبعد أن أنهى الكرخي القصة، التفت إلى صاحبه (الخواردة)[٥] وقال له:

ـ زوجة التاجر قصّرت المدة بافتعالها النسيان فاستفادت، أمّا أنا فقد أطلت المدة بنسياني الحقيقي فتضررت.



هوامش

(١) محمد الهاشمي: ينحدر من أسرة عربية المحتد، هاشمية، عرفت بالفقه والتصوف والأدب، ويمتد نسبه إلى الشيخ علوان الحموي، أحد أعلام القرن العاشر للهجرة، ونسبه كالآتي: محمد بن يحيى الملقب بالسيد مطرود بن بكير بن محمد بن الشيخ علوان الحموي الهيتي.

وُلِدَ في محلة الشيخ صندل، في كرخ بغداد، سنة ١٨٩٨ م، تتلمذ لأخيه الأكبر السيد عبد المجيد الهاشمي، ثم دخل المدرسة الرسمية، وكان التعليم يومذاك: (ابتدائي ورشدي ـ الثانوي) ثم دخل المدرسة السلطانية، بعدها انتظم في حلقات درس السيد الحاج علي علاء الدين الألوسي المتوفى عام ١٩٢٢ م، ثم درس على الإمام السيد محمود شكري الألوسي.

نظم الشعر في زمن مبكر جداً، فنظم أول قصيدة له عام ١٩١٣ ونشرها في جريدة (الرياض) المصرية. وصدر له أول ديوان عام ١٩١٩ في دمشق بعنوان (عبرات الغريب).

دخل الحقوق ببغداد سنة ١٩٢١ م، وتخرّج فيها سنة ١٩٢٤ م، فاشتغل في المحاماة، بعدها تقلّب في مناصب وزارة العدل حتى انتخب حاكماً في محكمة تمييز العراق، وفي ١٩٦١/٦/١٨ أحيل على التقاعد. ثم اشتغل في الصحافة فأصدر مجلة (اليقين)، ودام صدورها مدة ثلاث سنوات من ١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م، وأصدر جريدة (الأخلاق) بتاريخ ٢٤ كانون الأول ١٩٢٦ م مع صاحبها الشاعر عبد الرحمن البناء المتوفى عام ١٩٥٥ م.

توفي رحمه الله في ظهر يوم الجمعة ١٩٧٣/١١/٩ ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي.

من أثاره المطبوعة ديوان (عبرات الغريب) و(النعت) و(القضاء بين يديك) و(سمير أميس) و(المثاني) وهو ديوان شعره.

(٢) العميد عبد الرحمن التكريتي: وُلِدَ عام ١٩١٤ في الموصل، وكان جده طالب تاجر حبوب نزح من تكريت إلى الموصل لغرض المتاجرة فقد كان موسراً يمتلك (١٤) كلكاً بحمولتها. وعبد الرحمن بن عبد الجبار بن الحاج طالب الشيخ وهيب، يرجع نسب أسرته إلى قبيلة (طي) الشهيرة.

في طفولته درس في الكتاتيب، أمّا الابتدائية فأتمها في تكريت عام ١٩٣٠ وكان الأول على مدرسته، ثم قُبِلَ في دار المعلمين الأولية وتخرَّج عام ١٩٣٣، وعُيِّنَ مدرساً في

مدرسة (الخرينة) - أراضي مولود پاشا مخلص - ودخل المدرسة العسكرية (الكلية العسكرية حالياً) رفقة المرحوم أحمد حسن البكر، بترغيب من حميد الشاوي (أبو زامل) حيث كلف المرحوم نظيف الشاوي بقبولهما، فداوما فيها بتاريخ ١٩/٢/١٩٣٨ (الدورة السابعة عشرة) ومدتها (١٤) شهراً وتخرَّج برتبة ملازم ثان، تعرَّف على المرحوم الشاعر محمد الهاشمي في الكوت فقد كان التكريتي آمر تدريب الخيالة والمشاة لجنوب العراق، والهاشمي كان يشغل وظيفة (حاكم منفرد). وهو الذي زين له التفرغ لدراسة الأمثال والاهتمام بالمأثورات الشعبية العراقية، له مجلس يحضره أهل الفضل والأدب مساء الثلاثاء. أهم مؤلفاته:

١) الأمثال البغدادية المقارنة (أربعة أجزاء).

٢) جمهرة الأمثال البغدادية (ستة أجزاء صدر منها لحد الآن خمسة).

٣) دراسة في الأمثال العربية المقارنة (طبعته الجامعة العربية في مطابع الكويت).

٤) أمثال بغداد للطالقاني ٤٢١ هـ - شرح وتحقيق التكريتي وهناك كتب مخطوطة يشتغل في إعدادها للطبع.

«هذا الموجز أملاه عليّ بنفسه يوم زرته بصحبة الأستاذ عزيز جاسم الحجية في بيته مساء ١٣/١/١٩٨٧» إلاَّ أنه لم يكمل المشوار فقد اختاره الله إلى جواره يوم ٣٠/٥/١٩٨٧ رحمه الله.

(٣) أشو: أشوف. يمعوّده: المتعودة على عمل الخير.

(٤) چلبي: لقب يطلقه الناس على مَن يمارس الأعمال التجارية من التجار.

(٥) خوارده: كريم.

الكرخي وصالح عبد الحي ـ بماذا وصف العتابي؟ ـ وللذكر مثل حظ الأنثيين

والدك للبيض سوّاله گدِر

مَن هم خصوم وأنصار الكرخي؟

قد لا يعلم الكثيرون من الناس أن الكرخي كان محيطاً بأسرار اللغة، نحوها وصرفها، بيانها وتبيينها، بديعها وبلاغتها، كما أنه يستظهر أشعار الأعلام من شعراء العرب، وكانت مكتبته عامرة بأمهات المراجع والدواوين وكتب النحو وغيرها، فضلاً عن أنه كان بارعاً في نقد القريض والعامي.

مرة سأله صديق عن رأيه في عدد من أعلام الغناء والطرب في مصر، فكان رأيه دقيقاً مقنعاً، حيث أجابه بما يلي، قال:

ليلة الأربعاء، ٢٥ نيسان ١٩٣٩، كنت أستمع للراديو المصري، وكان يذيع حفلة للمطرب المعروف صالح عبد الحي، فتشوّقت لسماعه، نظراً لشهرته الفنية الواسعة، وسمعت منه موّالاً جاء فيه: (أضحك مع الفُل، وأبكي من صميم قلبي)؟؟! وبعد أن ردّده عشر مرات، صار يحشر فيه كلمات ليست من وزنه وقافيته، بقوله: (أخاف العذول بيتهمني وأنا ما فيش بقلبي) وبعد تكراره لهذه السفاسف المليئة بالأغلاط، ابتدأ بغناء القصيدة الشهيرة:

(نالت على يدها، ما لم تنله يدي).

فأساء إليها، بكثرة ما أورد فيها من أخطاء، ولم يكتف بذلك بل صار يسقط من كل بيت من أبياتها كلمتين أو ثلاث، ويتصرّف بالقصيدة، كما يشاء،

ومن ذلك قوله:

فـاسـتـمـطـرت لـؤلـؤاً مـن نـرجـسٍ وعـضّـت عـلـى الـعـنّـاب بـالـبَـرَد

وصحيحه:

فاستمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسَقَت ورداً وعضّت على العنّاب بالبَرَد

فتأسفت، لكثرة هذه الأغلاط، وهذا التشويه في النص، من مغنٍ مشهور، وودت لو أنه انتبه لهذا التحريف، وقلت في نفسي: ألا يوجد في القطر المصري الشقيق مَن ينبّهه إلى ذلك، ومصر تُعد في طليعة الأقطار العربية الحريصة على سلامة اللغة، والمحافظة على تراثها الشعري، ولكن. . .!؟؟

فانبهر هذا الصديق من سعة اطلاع الكرخي، وقابليته على النقد الفني، وراح يغمره بقبلات الإعجاب والتقدير.

❀ ❀ ❀

زار مرة رئيس بلدية الناصرية في ديوانه، وفي تلك الأثناء دخل رجل فأدى التحية وجلس، وحسب الأصول المتبعة التي تقضي على صاحب المحل بأن يُجري التعارف بين زائريه، فقد قال للكرخي:

ـ أقدّم لك (ياسر العتابي)(*).

ـ أشكركم، أعرفه قبلك من عهد الاحتلال لأنّه كان صديق الإنگليز.

ـ يابه! أنت تطلع (جهينة)، تمام، إنّه صديق الإنگليز وجاسوس لهم.

ولما سمع ياسر العتابي الحديث وأدرك أن شهادتنا هذه صحيحة وتنطبق عليه، قال: اسمحوا لي أن أقدّم لكم حكاية طريفة، وهي:

كان في العهد العثماني شخصٌ في مدينة (الشطرة) يدعى ملا محمد بن علي آغا (روضه خون)[1]، وكان أنيقاً في لباسه، فصادف أن كنا جالسين أنا وإياه عند (طابور أغاسي)[2] المدينة، فقال الملا محمد للطابور أغاسي:

ـ أتعرف والدي؟!

ـ ما اسمه؟

ـ أو!. . عرفته، والدك علي إنّما كان معي في (الحلة) بزمن (الهايته)[3]،

(*) ياسر: جاسوس تابع لضابط الاستخبارات البريطاني (ميجر ماكدونيت) وقد قضى عليه بكر صدقي في أثناء الحركات العسكرية في الفرات الأوسط.

ـ مذكرات عبد الجبار الراوي، صفحة ١٢٦، مطبعة الراية بغداد ١٩٩٤ ـ.

وتربطني به صداقة متينة، وكان ـ رحمه الله ـ يحتسي الخمرة كثيراً، فاسقاً فاجراً مقامراً، وهو أيضاً خيّال بارع، وماهر في ضرب (الدگنگ) أي الرمح.

قال ياسر: وهكذا كان الطابور أغاسي يعدد مساوئ والد ملا محمد، ويبكي عليه حزناً، إلى أن عيل صبر ملا محمد، فقال للطابور أغاسي:

ـ أشكركم مولانا! أنت هتكتني بهذا التعريف، وفوگاهه تبچي؟ وبعد أن أتم (ياسر) حكايته، قال للكرخي:

ـ إن قولك إنني صديق الإنگليز وجاسوس لهم، يشبه قول الطابور أغاسي للملا محمد.

فضحك الجميع، ثم سلّمنا على رئيس البلدية وانصرفنا.

❀ ❀ ❀

في أوائل شهر كانون الثاني ١٩٣٩، أقام نقيب أشراف بغداد السيد عاصم النقيب(*) حفلة عقد قران ابن عمه السيد إبراهيم السيد أحمد الگيلاني في ديوانية الحضرة الگيلانية، وكان الكرخي من جملة المدعوين، ولما وزعت المناديل، قدَّم له أحد أفراد الأسرة الگيلانية، المكلف بالتوزيع منديلين بدل المنديل الواحد، قائلاً له: خذ اثنين بدل الواحد، لأنَّك أمير الشعر الشعبي العراقي، وتستحق ذلك تمييزاً لك على غيرك. فما كان من أحد الحاضرين وقد أخذه الحسد إلاّ واعترض قائلاً:

ـ لِمَ ميّزت الكرخي علينا، فأعطيته منديلين، وأعطيتني واحداً؟

فأجابه الكرخي من مكانه وعلى الفور:

(*) السيد عاصم الگيلاني: هو العلامة السيد أحمد عاصم بن السيد عبد الرحمن بن علي بن السيد سلمان نقيب الأشراف، ويرتقي نسبه إلى الشيخ عبد العزيز بن السيد الشيخ عبد القادر الجيلي قدّس سره.

وُلِدَ ببغداد سنة ١٨٨٠ م، ختم القرآن الكريم، وأخذ العلوم العربية والدينية على الشيخ عبد الوهاب النائب. تخصّص في أصول الفقه والحديث والتفسير حيث أجازه والده السيد عبد الرحمن النقيب إجازة عامة بالحديث، وجهت إليه جهة الخطابة في جامع الشيخ عبد القادر الجيلي قدّس سره.

انتخب عضواً في المجلس النيابي. توفي رحمه الله عام ١٩٥٣ ودفن في الحضرة الگيلانية.

وكان له مجلس يحضره أفاضل القوم عصر كل يوم بالديوخانة قبالة الحضرة القادرية.

ـ إنَّ الله عزَّ شأنه، ذكر في كتابه المجيد (وللذكر مثل حظ الأنثيين) فخجل المعترض، وضحك الحاضرون.

❀ ❀ ❀

حدّثني أبو بيان، الأستاذ مكي عبيدة، وهو من هواة الأدب والظرافة، يحفظ الكثير من روائع الشعر الفصيح والعامي، قال: حين استوزر (. . .) لأول مرة عام ١٩٢٢ م، بلغ ذلك مسمع (چفچير البلد) المرحوم الملا عبود الكرخي، فنظم قصيدة ساخرة بهذه المناسبة، استهلها بالمطلع الآتي:

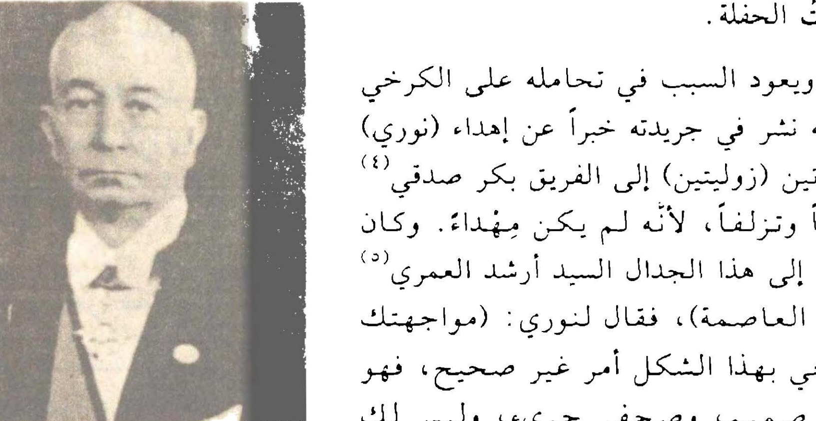
يا وزيراً أعراگنا يا مفتخر   والدك للبيض سوّاله گِدَر

و(الگدر) هذا، هو حلقة معدنية صنعها والد الوزير (المفتخر) خصيصاً لقياس حجم البيض الذي يشتريه من السوق، فإذا مرّت البيضة بسلام! من خلال الحلقة، يعرف أنها صغيرة، فيتركها ولا يشتريها، أمّا إذا (عصت) في حلقته، لكبر حجمها فيشتريها ويعود إلى بيته مبتهجاً.

❀ ❀ ❀

في كانون الثاني ١٩٣٩، أقام (نادي المثنى) القومي، حفلة حضرها الشاعر الكرخي مع مَن حضر من وجهاء وكبار القوم، وهناك قابله السيد نوري فتاح بفتور، وقال له: ـ مَن الذي أرسل لك بطاقة الدعوة؟ لو كنت أعلم أن إدارة النادي ستدعوك، لقدّمت استقالتي من عضويته.

فأجابه الكرخي: ـ وأنا لو كنت أعلم أنك تنتمي إلى نادي المثنى لما أجبت الدعوة، ولكني أعلم أن النادي يحمل اسم المثنى بن حارثة الشيباني، ولم يُعرف عنه أنه كان على اتصال بأهالي (طوز خور ماتو)، وعلى هذا الأساس حضرتُ الحفلة.



أرشد العمري

ويعود السبب في تحامله على الكرخي إلى أنه نشر في جريدته خبراً عن إهداء (نوري) سجادتين (زوليتين) إلى الفريق بكر صدقي[٤] تملقاً وتزلفاً، لأنّه لم يكن مِهْداءً. وكان يستمع إلى هذا الجدال السيد أرشد العمري[٥] (أمين العاصمة)، فقال لنوري: (مواجهتك لكرخي بهذا الشكل أمر غير صحيح، فهو عربي صميم، وصحفي جريء، وليس لك

الحق في التكلم معه بهذا الأسلوب). أما السيد حسن رضا[٦] (مدير الأوقاف العام)، فقال للكرخي على مسمع من نوري فتاح: (إنَّك أوّل مَن نادى بالعروبة وعمل لها)، فأيّده السيد بهجت الأثري[*] قائلاً: (أنت الصحفي الحر والعربي الصميم) وحينما علم الدكتور سامي شوكت (مدير الصحة العام) بهذا التحامل ـ غير البريء ـ من نوري فتاح، أخذ يقبّل الكرخي قائلاً لفائق السامرائي[٧] الذي كان حاضراً: (بالله عليك، لو تعطي أربعة ملايين پاون، هل تجد مثل الكرخي؟ وهو الذي إذا ألقى قصيدة سمعها الشعب بأسره، خواصه وعوامه، وهلّلوا لها، وإنني لو يتسع بي الحال لشيدت له قصراً فخماً وأسكنته فيه خوفاً عليه من الضياع لأنَّه فريد بين العراقيين، كما كان شوقي فريداً في مصر).

في العدد ٤٥٣ من جريدة (الكرخ)، المؤرّخ صباح الخميس ٢٩/١٢/١٩٣٨، نشر الكرخي (مشاهدات وملاحظات في دواوين الوزراء الجدد) ومما ذكره عن زيارته للمرحوم عمر نظمي ـ وزير الاقتصاد والمواصلات ـ ما لي:

تقدمت إلى معاليه مهنئاً، وبعد المجاملات المعتادة، دخل السيد نوري فتاح وجلس إلى جانبي، ثم بدأ يسمعني كلاماً قارساً، فقلت له:

ـ يابه! أنت شمعرفك بالشعر!؟ أشهد بالله أنت تعرف تشتري زوالي فاخرة وتقدمها هدايا! ومنها تلك الزوليتين الكاشان التي قدمتهما إلى المرحوم بكر صدقي، هدية وقد اشتريتها أنا أخيراً.

ولما خرجنا من ديوان معالي الوزير التفتُّ إليه وقلت:

ـ أنا لا أعرف سبب تحاملك عليّ في جميع المجالس، فأجابني:

ـ إنَّني أطلبك ثار قديم.

وها تذكّرت هذا (الثأر القديم) والذي حدث عام ١٩٢٤، فإنَّه دخل على أحد رؤساء الوزارات في بيته، وأخذ يكيل له المديح والثناء، أما ذلك الرئيس فقد كان يهز رأسه، وبعد أن انتهى السيد نوري فتاح، التفت إليّ الرئيس وسألني:

ـ هل صحيح ما يقوله نوري فتاح؟ فقلت:

(*) في الجزء الأول من هذا الكتاب ترجمة وافية للأثري وسامي شوكت.

ـ يا فخامة الرئيس أنا لا أصدّق، لأني سمعته يوم أمس ينتقدك إلى درجة السباب، وأنا صادق في شهادتي.

ومن ذلك اليوم والسيد نوري فتاح لا ينفك من التحامل عليّ كلما وجد فرصة من الفرص.

قلت، إن للكرخي خصوماً وأنصاراً، بسبب جرأته في قول الحق، فهذا واحد من خصومه، وهؤلاء الأفاضل من جملة أنصاره ومحبيه.

هوامش

(١) روضه خون: قارئ في المآتم الحسينية.

(٢) طابور أغاسي: رتبة عسكرية تركية.

(٣) الهايته: تصحيف لكلمة (التايهة)، وهي كناية عن عهد تسيبت فيه الأمور على يد جنود عثمانيين (مرتزقة) سرّحهم عمر باشا عام ١٨٥٧، وكان العراقيون في العهد العثماني المظلم ينسبون تواريخ مواليدهم ومناسباتهم ووقائعهم إلى الظواهر الطبيعية أو الأحداث السياسية وغيرها، فيقولون مثلاً: حصل كذا وكذا في زمن الطاعون، أو سقوط الحالوب (الحالوبة)، أو دكّة عاكف، أو السفر بر، أو البرسيمة. وبالنسبة للبرسيمة فإنّها مجاعة حصلت عام ١٨٨٠ م في شمال العراق نجمت عن آفات زراعية أتت على الزرع والضرع، فهجر الناس مدنهم وحقولهم وانحدروا إلى وسط وجنوب العراق، وكان والد الملا عبود الكرخي، الحاج حسين السهيل آنذاك حياً، ميسور الحال، اشتهر بالبذل والعطاء والكرم المتناهي، وكان يمتلك مخازن (عنابر) مليئة بالحبوب والتمور وغيرها من ذكرياته. ثم إن هذا الخبر أكّده عدد من المعمرين الذين التقيتهم في الخمسينات، منهم، أولاد نجمة وهم من وجهاء (علاوي الحلة) في جانب الكرخ، وآل النشمي في محلة الشواكة.

وسبب التسمية يعود إلى الاستغاثة التي أطلقها الهائمون على وجوههم جوعاً باللغة الكردية (من برسيمه) وتعني (أنا جوعان)، فحذف الناس ضمير المتكلم (من) وابقوا على (برسيمه) أي جوعان من باب الاختصار. وكان ذلك في عهد الوالي عبد الرحمن باشا.

(٤) بكر صدقي العسكري (١٨٨٥ ـ ١٩٣٧)، تعلّم ببغداد، ثم بمدرسة أركان الحرب في الآستانة، وكان من ضباط الجيش العثماني طيلة الحرب العالمية الأولى، ثم التحق بالجيش السوري بعد تلك الحرب، وانتقل بعدها إلى الجيش العراقي سنة ١٩٢١ وأكمل دراسته العسكرية بالهند ثم في إنكلترا عام ١٩٣٢، وبلغ رتبة فريق بالجيش العراقي. قام بانقلاب عسكري ضد وزارة ياسين الهاشمي يوم ٢٩/ ١٠/ ١٩٣٦. ودام حكمه تسعة أشهر وعشرين يوماً، قُتِلَ في النادي العسكري بالموصل بتاريخ ١١ آب ١٩٣٧، له مؤلفات منها (الاستطلاع) و(دروس تعبوية) و(الطوبوغرافيا) و(إلى رجال الجيش الأحداث) و(الحروب الجبلية) وله كتب أخرى باللغة التركية.

(٥) أرشد العمري: وُلِد في ٩ نيسان ١٨٨٨ م وتخرَّج في مدرسة المهندسين الملكيين العالية

في إستانبول عام ١٩١٢، وقد عُيِّن مهندساً فيها، فمعاون رئيس الشعبة المعمارية، وفي سنة ١٩١٩ عاد إلى الموصل ـ مسقط رأسه ـ فعُيِّن مهندساً فيها ثم انتخب نائباً في أول مجلس نيابي، وعُيِّنَ بعد ذلك مديراً عاماً للبريد والبرق عام ١٩٢٥ فأميناً للعاصمة عام ١٩٣١ فمديراً عاماً للري والمساحة عام ١٩٣٣ وفي السنة الثانية تقلّد وزارة الاقتصاد والمواصلات، وقد كان أحد مؤسسي جمعية الدفاع الوطني عن الموصل سنة ١٩٣٤، وأحد مؤسسي جمعية الهلال الأحمر العراقية سنة ١٩٣٢، وفي عام ١٩٤٦ تولى رئاسة الوزارة؛

(٦) حسن رضا: من رجال القانون البارزين، وقد تقلّد عدة مناصب إدارية في أيام الحكم العثماني والوطني، وساهم في عدة جمعيات إصلاحية واجتماعية منها جمعية التفيض والجمعية الخيرية والشبان المسلمين، وعُيِّن عضواً في مجلس التمييز الأعلى. وُلِدَ عام ١٨٨٩ وتوفي بتاريخ ٦/٤/١٩٧٧.

(٧) فائق السامرائي: من مؤسسي حزب الاستقلال، ومن المؤمنين بالقومية العربية اشتغل في الصحافة فأصدر جريدة (الحارس) و(الجريدة)، وترأس تحرير جريدة (الإخاء القومي).

الكرخي في مجلس العبيدي

ـ لماذا حذف كلمة (ملا) من اسمه؟ ـ (عبّو) الكرخي ـ القبانچي بين أنصاره وخصومه!؟

في أواخر أيلول ١٩٣٧ زار الكرخي مجلس العلامة السيد محمد حبيب العبيدي[1] في الموصل، وهو من المعجبين بشاعرية صديقه الكرخي كثيراً، وكان يطلق عليه لقب (أمير شعراء العوام). وفي هذه الزيارة تبادلا قراءة الشعر، ومن جملة ما قرأه العبيدي، قصيدته العينية الشهيرة التي أولها:

«أيُّها السائل عنّا في القصور الهجّع   نحن لا نرقد إلاً تحت ظل المدفع»

ثم دار بينهما هذا الحوار الطريف:

ـ أليست هذه القصيدة، هي التي نظمتها منذ ثلاثة أشهر، ونشرتها لك الصحف، ووزعت على مدراء المدارس، لتكون نشيداً وطنياً للطلاب؟

ـ نعم، هي نفسها ولكن بمزيد الأسف لم تلحن؛ ولم أسمع الطلاب ينشدونها وقد تأثرت من جراء ذلك كثيراً.

ـ هل عند سماحتكم نسخة زائدة منها، لأحتفظ بها كتذكار؟

ـ كانت لدي نسخ كثيرة ولكني مزّقتها لفوات أوانها.

ـ لماذا تمزقها يا أستاذ؟ وكان من الواجب الاحتفاظ بها كأثر خالد لكم إلى يوم يبعثون؟!

«والليالي من الزمان حُبالى   مثقلاتٌ يلدن كل عجيب»

الشعر يا ولدي مثل الفاكهة، تؤكل في وقتها، ومن عادتي أنَّني أترقب الفرص المناسبة وأنظم الشعر المناسب للوضع، ولا أحتفظ به بعد ذلك.

ثم سكت الأستاذ قليلاً واستطرد قائلاً:

- لِمَ لا تجيد المديح يا كرخي؟

- إني لا أجيده لاعتقادي بأن الأذواق تمجّه، بدليل أن شعراء المديح الأقدمين أصبحوا الآن عرضة للانتقاد، حيث أن شعرهم فيه ما يدل على الاستجداء، وصغر النفس، ولذلك تركت المديح وتناولت الموضوعات المفيدة من وطنية وحماسية وتاريخية وانتقادية واجتماعية واستنهاضية... الخ.

- أنا وإيّاك على اختلاف في هذا الرأي، إذ يجب أن تبدع في نظم المديح، ألا تعجبك قصيدتي العينية؟

- لا أتمكن من المديح يا أستاذ! ولو أنني معجب بقصيدتك كل الإعجاب.

- إذن، أنا وأنت على طرفي نقيض.

- (زين تگول، ولكن موش تمام) يا سيدي!

ثم ودّعه وانصرف بأمل أن يزوره ثانيةً.

❀ ❀ ❀

في عام ١٩٣٧ م حذف الشاعر الكرخي كلمة (ملا) من اسمه، فأصبح اسمه الجديد (عبود الكرخي) بدلاً من (الملا عبود الكرخي)، وفي شارع المتنبي استوقفه صديقه المحامي قاسم العلوي[1]، وسأله عن السبب فأجابه: في الزمن الغابر كانت الأمية ضاربة أطنابها في العراق، والذين يحسنون القراءة والكتابة على عدد الأصابع، ولهذا كان الناس يطلقون على المتعلم لقب (ملا) تكريماً له ولعلمه، أما الآن وبعد أن كثر المتعلمون وأصبح التعليم إلزامياً تقريباً، فالمسألة أصبحت معكوسة، لدرجة أن أحد الأشخاص، لما ناداه أحدهم بكلمة (ملا) ثارت ثائرته، وسجل ضده دعوى قذف في المحكمة[*]... هكذا أصبح هذا

(*) ومثل هذا حصل بالنسبة لكلمة (أفندي)، فقد ذكرت مجلة (ألف باء) بعددها المرقم ٦٠٥ والمؤرّخ ٣٠ نيسان ١٩٨٠ هذا الخبر:

«ردت محكمة جزاء بغداد/ الرصافة دعوى قذف تقدّم بها أحد الأشخاص ضد أحد المحامين لأنه لقّبه بـ (أفندي)، واعتبرت كلمة (أفندي) لا تشكّل قذفاً، وكانت المحكمة قد انتدبت الأساتذة أحمد حامد الصراف ومهدي مقلد وهلال ناجي كخبراء فكتبوا تقريراً قالوا فيه: إن لقب (الأفندي) يعتبر من الألقاب المحترمة جداً!».

اللقب ممتهناً. ولهذه الأسباب حذفت كلمة (ملا) من اسمي يا صديقي.

❀ ❀ ❀

زار الكرخي عام ١٩٣٧ الناصرية، وهناك عرّج على صديقه الحميم الدكتور عاطف رشيد (رئيس الصحة)، فأحب أن يرسل معه رسالة إلى بغداد، لأحد أصدقائه فأرسل بطلب المحاسب، وكان موصلياً، وأملى عليه صيغة الرسالة وكلفه بأن يكتبها، فذهب هذا إلى مكتبه وأنجز كتابة الرسالة، وكتب على غلافها (تصلكم مع (عبّو) الكرخي)، فلاحظ الدكتور أن حرف الدال (طاير) من اسم عبود، فسأله:

- هاي وين حرف الدال؟

فأجابه المحاسب:

- شكو فرق بين (عبو) و(عبود)، فنحن أهالي الموصل من عادتنا أن نختصر الاسم فنقول (قدّو، عمّو، عبّو، حمّو... الخ).

إلاّ أن الكرخي أكّد على بغداديته وأصرّ على إعادة حرف (الدال) إلى محله في نهاية اسمه.

❀ ❀ ❀

في أواخر الثلاثينات حصلت مشادة قلمية على صفحات الجرائد والمجلات المحلية بين عدد من أنصار وخصوم الأستاذ محمد القبانچي بما يتعلق بفن الغناء العراقي، وأثر القبانچي في إعلاء شأنه، وكان من أنصاره صاحب هذه الكلمات[٣] المسجّعة التي تطرق فيها إلى الكثير من أسماء المقامات العراقية. وقد عنونها باسم (زرياب)، في الرد على أحد خصوم فن القبانچي:

إلى مَن يدّعي بمعرفة المقام ... وينتمي إلى زمرة الألحان والأنغام
لقد ورّطت نفسك في الكلام ... ووجهت لمَن لا تشاكله الملام
أتبخس مَن اعترفت به الأمم ... بالّلحن والأشعار والنغم؟
وغدا أشهر من نار على علم ... وبين أهل الفن والذوق محترم
خطّأته بالمقام والإنشاد ... عن جهلٍ وأغراض وأحقاد
فهذا الذي تعرفه البلاد ... ومصر وبرلين وبغداد
فأين أنت من (زرياب) ... فالقنديل ليس كالشهاب؟!
والبلبل ليس كالغراب ... والتبر ليس كالتراب
قد حفظت أسماء المقام ... ونسيت ما يحتويه من الأنغام

وجلبت لنفسك الملام   لجهلك الشائع في الأنام
زعمت أنك مغن ماهر   وعلى مختلف الأنغام قادر
لقد تبيّن أنك ناكر   حتى بما قرأته في الدفاتر
أتعلم الفن ومزاياه؟   إذاً كيف يكون (البنچگاه)؟
و(البياتي والطاهر واليگاه)   أو فاقرأ لنا (الأورفه والدوگاه)
وكيف يكون (الرست والسيگاه)   ولماذا سمي الحسيني بـ (الشيشگاه)؟
و(الأوج) بـ (الهفتگاه)   ولِمَ تساوي (الماهور والچارگاه)؟
و(الكردي والشورى والزنگله)   أو (العشاق والحجاز والسنبله)
و(الحصار والبزز والـ عمر گله   والقَطَر)، بشعبة (النهفت) مماثله
وأين أنت و(الرهاوي والأصفهان   والنهاوند والنجدي والكروان)
و(الرمل والنجريز والباجلان   والبوسليك والكار والعشيران)
لقد ركبت جواداً حرون   ونظرت باذنك دون العيون
فما أنت يا هذا والفنون   إن بعضاً من الجنون فنون
كم من حاسدٍ ولّى وأدبر   وعن سيئاته كفر واستغفر
فانقد غيرك بك أجدر   هذا وقد أعذِر مَن أنذر

❀ ❀ ❀

هوامش

(١) محمد حبيب العبيدي: مفتي الموصل وشاعرها، وهو محمد حبيب بن سليمان بن عبيد الله العبيدي، وُلِدَ في الموصل سنة ١٨٨٢ م من أسرة حسينية علمية، وكان والده رئيساً للبلدية (١٨٩٥ ـ ١٨٩٨)، ودرس في الكتاتيب ثم دخل المدرسة الرشدية (١٨٨٧ ـ ١٨٩١) ودرس بعد ذلك على أساتذة خصوصيين منهم علي الحصري وأحمد الفخري وأخيه محمد الفخري، وبرع في اللغة التركية وأخذ يكتب وينظم بها إلى جانب لغته العربية.

وعلى إثر إعلان الدستور العثماني سافر إلى سورية سنة ١٩١٠، ثم إلى الآستانة بعدها عاد إلى مسقط رأسه فالتمس فيه شباب الموصل زعيماً مصلحاً.

عُيِّن مفتياً للموصل في ١١ أيلول ١٩٢٣ ومثَّل العراق في مؤتمر الخلافة في القاهرة سنة ١٩٢٦، انتخب نائباً عن الموصل في مجلس النواب في آب ١٩٣٥ وجدّد انتخابه في شباط ١٩٣٧. توفي بالموصل في ١٩ تشرين الأول ١٩٦٣.

من مؤلفاته: خطبة نادي الشرق (١٩١٢)، حبل الاعتصام (١٩١٦)، صدى الحقيقة، النواة في حقل الحياة (١٩٢٩)، ماذا في عاصمة العراق من سم وترياق (١٩٣٤)، الميزان بين الكفر والإيمان (١٩٤٤)، ديوان شعره (١٩٦٦) بعناية المربي الراحل أحمد الفخري.

جنايات الإنكليز على البشر وعلى المسلمين (بيروت عام ١٩١٦).

(٢) قاسم العلوي: كاتب سياسي، اجتماعي قدير، له ثقافة عالية ودراسات قيمة في العلوم الرياضية والفلكية، اتخذ المحاماة مهنة بعد اعتزاله التدريس، وهو من أخلص أصدقاء الشاعر الكرخي، ومن حفظة شعره المكشوف. توفي سنة ١٩٧٧ م.

ومن رسالة أنفذها إليّ بتاريخ ١٤ تموز ١٩٨٧، الباحث الكبير الأستاذ عبود الشالجي بهذا الصدد، قوله:

«كان المرحوم السيد قاسم العلوي، يحفظ جميع شعر الكرخي ـ جدك رحمه الله ـ ما نُشِر وما لم ينشر، وجميع أخباره ونوادره، وكان رحمه الله يقرأ قصائد الكرخي فيهزّ القصيدة هزاً حتى يتمها، وقد حدثوني بأن الكرخي كان ينسى في بعض الأحيان أبياتاً من شعره في القصيدة فيرده العلوي إليها، وكان العلوي يورد مع تلاوة القصيدة تاريخ نظمها وسببه وفيمن قيلت، فقد كان تاريخاً كاملاً لشعر الكرخي، وقد كانت وفاته ـ رحمه الله ـ سبباً

لضياع كثير من المعلومات المتعلقة بشعر الكرخي، وأسباب نظمه، وأملي فيك يا عزيزي حسين أن تحاول جمع ما تفرّق من شعر الكرخي، وأن تبحث عن نوادره وفكاهاته، والمقطوعات التي كان يلاطف بها أصحابه وإخوانه، فتخرجها للناس، ففي إحياء ذكرى الكرخي إحياء لجزء من التراث العراقي العربي».

(*) ومثل هذا حصل بالنسبة لكلمة (أفندي)، فقد ذكرت مجلة (ألف باء) بعددها المرقم ٦٠٥ والمؤرّخ ٣٠ نيسان ١٩٨٠ هذا الخبر:

«ردت محكمة جزاء بغداد/ الرصافة دعوى قذف تقدّم بها أحد الأشخاص ضد أحد المحامين لأنه لقّبه بـ (أفندي)، واعتبرت كلمة (أفندي) لا تشكّل قذفاً، وكانت المحكمة قد انتدبت الأساتذة أحمد حامد الصراف ومهدي مقلد وهلال ناجي كخبراء فكتبوا تقريراً قالوا فيه: إن لقب (الأفندي) يعتبر من الألقاب المحترمة جداً!».

(٣) ذهب عني اسمه.

يريدون (خروف!؟) ـ من أفاكيه الشاوي ـ إجاك ملا عبود ـ الكرخي الصياد ـ

في مقهى (البيروتي)(*) كان الحديث يدور بين الكرخي وجماعته حول العلم والأدب وأثر الذكاء والنشاط والمعرفة في تدبير الأمور وتمشية الحال، فاعترض الكرخي على أصحابه قائلاً:

ـ يا جماعة، بعضاً، يكون ذكاء الفرد وبالاً عليه، ولا بد في ظرف معين، أن يكون (خروفاً) إذا كان يتعامل مع أناس بلداء، يتصرفون تصرف الخراف، أو مع أناس يريدون من الموظف أن يكون مطيعاً لهم كالخروف فتعجّب الحاضرون من كلامه، وقالوا له، وما دليلك على ذلك؟

فقال لهم، هاكم الدليل:

ـ شغرت في العهد العثماني وظيفة كبيرة في (المابين الهمايوني)، وأعلنت الصحف عنها، والشروط الواجب توفرها في شاغل هذه الوظيفة، والامتحان الذي يجب عليه اجتيازه. فتقدّم إليها البكوات والپاشوات بالمئات، وكان في (اسطنبول) أحد الپاشوات المتقدمين في السن، عنده خادم ذكي جداً، قال له:

ـ عمي! ليش ما تتقدم للامتحان؟ بلكي تنجح وتاخذ هالوظيفة؟

(*) استأجر المقهى، الحاج محمد محمود، البيروتي الأصل، الذي نزح من بيروت عام ١٨٩٧ م وسكن جانب الكرخ، توفي عام ١٩١٥ م ومن أولاده إبراهيم وعبد الفتاح، والمقهى هذا أنشئ عام ١٩٠٠ م وهدم عام ١٩٦٥ م لتقام على أرضه والأراضي المجاورة له، بناية مديرية التقاعد العامة، وإبقاءً على شهرة هذا المقهى، شيّدت أمانة العاصمة مقهى بهذا الاسم يطل على دجلة أيضاً في منطقة (الجعيفر).

فقال له الپاشا:

- لا ابني! خل ياخذها غيري، آني مستريح مالي لازم.

ولكن الخادم ألحَّ على الپاشا حتى تمكّن من إقناعه، فذهب صاحبنا وقدَّم عريضة مع المتقدمين لإشغال هذه الوظيفة.

وفي يوم الامتحان ذهب الپاشا ومعه خادمه الأمين إلى المكان المعين، فوزّعت أوراق الأسئلة، وبدأ الممتحنون بالإجابة، وكانت إجابة الپاشا كالآتي:

«اليوم آني مرّيت بالسوق الفلاني، حقيقة هناك شِفت هالطماطة العال، هالبيذنجان الفاخر، واللحم الحُكّه بقران، وشِفت هالميوة الناهيه، وهالبامية المفتخرة، والقصر الفلاني، كثير عجبني، حقيقة (اسطمبول) صايره قطعة من أوروپا!؟».

وبهذه السفاسف ملأ الپاشا ورقته وسلّمها إلى لجنة الامتحان وخرج قبل الجميع.

وفي الطريق قال الخادم لسيده:

- پاشا! هاي أنت شكتبت؟ شكان سؤالهم؟ وأنت اشجاوبت؟

فنظر إليه الپاشا بسخرية وقال:

- إمشي ابني إمشي، انت ما إلك لازم، هاي الوظيفة، ما اكو أحد غيري ياخذها.

وبالفعل فقد أعلنت الصحف نتائج الامتحان، وإذا بالجميع من الساقطين، وصاحبنا هو الوحيد الذي نجح بدرجة ممتازة.

عندها، استدعى الپاشا خادمه وقال له:

- ها؟ آني اشگتلك؟ ما گِلِت هذه الوظيفة ماليج؟

فأجابه الخادم باندهاش:

- والله عمي آني متعجّب! لكنْ شلون صارت إلك، بينما كانت الأسئلة في واد وأجوبتك في وادٍ آخر.

فهزَّ الپاشا رأسه وقال:

- إبني! هذوله يريدون خروفْ، ميريدون واحد ابليسْ، ولذلك سوّيت نفسي خروفْ ونجحت. لأنَّ الذكاء مو كل وقت ينفع.

ولما سمع جلساء الكرخي هذه القصة الظريفة قالوا له بصوت واحد:

- معك الحق يا أبا نجم.

❁ ❁ ❁

من ذكريات الكرخي أنه حضر إحدى جلسات المجلس التأسيسي، فسمع خطبة السيد حمدي الباچچي[1] التي عارض فيها خطة الحكومة، ومما قاله:

- وأظن أن الحال إذا بقي على هذا المنوال فبشر العراق بالتدهور والانحطاط فقام السيد ثابت عبد النور[2] وقال: (إن البشارة لا تصح إذا قالها الخطيب متوعداً بوقوع كارثة، وإن البشائر تصح بالأخبار السارة المفرحة فقط).

وهنا طلب المرحوم عبد المجيد الشاوي الكلام، فقام وقال:

- إن الأخ ثابت عبد النور حديث العهد بالإسلام، ولو أنه قرأ القرآن المجيد، والآية الكريمة التي تقول ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ لما اعترض على (بشارة) الزميل حمدي الباچچي.

فضحك الحاضرون، وخرج ثابت عبد النور، بعد أن صمَّم على أن يتلو القرآن الكريم صباح كل يوم.

❁ ❁ ❁

في مجلس أدبي انعقد كالعادة في مقهى (عارف آغا)، بـ (الميدان)، سئل الكرخي عن السبب الذي دعاه إلى نظم قصيدته الشهيرة (الشانتاج) التي أوّلها:

ناس تاكل بالدجاج	وناس تتگلّه العجاج

ومنها:

گبل ما ارضع الدايه	زاد يا ربي بلايه
تاكل الجاجه عشايه	ولقّبوني بـ (شانتاج)
كلام هذا فرينساوي	ينسبوه للجري وعاوي
وأنا إن شاهدت واوي	يصيبني بسرعة انفلاج
أنا اليضربني بسطره	وكفخه والدمغه ودفره
هاك أگلّه، أخُذ عشره	بلغمي ترابي المزاج

فأجاب:

- الأسباب كثيرة، ومنها: لي صديق، موظف في دواوين الحكومة، أزوره كلما هزّني الشوق إليه، ومرة زرته فرأيت عنده طفلاً، فسلمت عليه وجلست،

فقال لي هذا الصديق: أنا أشكرك يا ملا عبود، لأني كلما أردت أن ينام طفلي، أو كلما أردت أن أمنعه عن عمل، أخيفه باسمك، ويكفي أن أقول له: (تره، هسّه يجيك ملا عبود الكرخي)، فيجفل الطفل ويمتثل للأمر. ثم التفت إلى طفله وقال له:

- بابا! تعرف ملا عبود؟ هذا هو!

فانهزم الطفل واحتمى بأحضان أبيه.

فقلت له:

- يا معوّد! خو، مو آني (ملا علي الخصي)[*]، الذي كان الناس بزمن (العصمنلي) يخوّفون أطفالهم به، قائلين: - نام، إجاك ملا علي الخصي، فينام الطفل من الخوف؟!

والسبب الآخر يعود إلى أن قانون المطبوعات الذي نفذه السيد ناجي شوكت (وزير الداخلية)[٣] في الثلاثينات، أثار استياء الصحفيين، وحين سألته عن أسباب هذه الشدة في القانون، أجابني:

- كلها بسببك، لأنَّك (شانتاج).

فسألته عن معنى الكلمة، فقال:

- إنَّها كلمة فرنسية، معناها المولع بالهجاء.

❀ ❀ ❀

وسئل الكرخي مرة: - ما قصتك مع المشاركين في الجريدة؟ فأجاب:

- الجريدة في أيامنا هذه، لا يمكن أن تستمر في الصدور، ما لم تلق من المشاركين الإسناد والتعضيد، وقد لاحظت البعض منهم يتهربون من دفع بدل المشاركة، فاضطررت إلى مطالبتهم بنفسي، بعد أن وجدتهم لا يسدّدون ما بذمتهم إلى (جابي) الجريدة.

(*) الملا علي الخِصِي: من رجال الوزير علي رضا باشا اللاز، الذي حكم بغداد من عام ١٨٣١ إلى ١٨٤٣ م، اشتهر (الخصي) بالبطش والظلم والقسوة وأخذ الأتاوات الكيفية من الناس، ولا تزال وقائعه القاسية تتردد على الأفواه. قال فيه المرحوم الآلوسي في مقاماته (اعجوبة الأمم ملا علي كتخذا الحرم).
- تاريخ العراق بين احتلالين ج٧/ ٤٩ للمرحوم عباس العزاوي -

ولعلَّ من باب الطرافة أن أسوق لكم هذه القصة التي جرت لي مع بعض المشتركين:

ـ تفضّل ملا!؟

ـ كان لي ـ قديماً ـ ولعٌ شديد بالصيد، وكنت أخرج مع بعض الأصدقاء بالسيارة، لصيد (الحبارة) بإطلاق الصقور. والمعروف أن طير (الحبارة) عندما يرى الصقر خمس مرات، وعندما تصبح (الحبارة) في هذا الوضع، يقول العرب عنها إنها (خمرت)، وإنها لو ذرقت (خرگت)(*) على الصقر، فإن ذرقها هذا يدبق ريشه، ولكنها من الخرف لا تفلح في محاولاتها، فالصقر (الأستاذ) يعرف كيف يتغلب عليها بحيث لا يعطيها أي مجال، وفي النتيجة يتمكن منها فتكون من نصيب الصيادين.

ـ يابه هاي شلون معلومات، يظهر أنت بكل عزه لاطم!؟

ـ خلّوني أكمل؟!

ـ تفضّل آغاتي!

ـ تذكرت ذلك، عندما كنت أزور بعض المشتركين، فحين أدخل عليهم وأطالبهم بتسديد بدلات المشاركة (يخمرون) كما تخمّر الحبارة، وكأنّني الصقر، وأنا مرغم، لأنني حينما كنت أرسل أحد الحبارة، يذرقون عليه فيرجع لي مهلوس الريش.

(*) وفي ذلك قال الشاعر محمود الملاح:

أزال الله منهم كل خير ... وسلّحهم بأسلحة (الحُبارى)
ومَن كان السلاح له سِلاحاً ... فليس من الإصابة أن يُجارى

محمود الملاح: هو العلاّمة الكبير محمود بن عبدالله بن يونس الملاح الموصلي. وُلِدَ بالموصل سنة ١٨٩١، استقر في بغداد عام ١٩٢٠، وعندها عُيِّن مدرساً في الثانوية ودار المعلمين، ثم استقال وانصرف للتتبع وقرض الشعر والكتابة في الصحف.

انتخب نائباً عن الموصل عام ١٩٣٨.

كان له مجلس عامر في داره في التاويين ببغداد يحضره عدد من محبيه وعارفي فضله.

أصدر مجلة (التجدد) في بغداد عام ١٩٢٨.

له ديوان شعر غير مطبوع تحتفظ به أسرته.

ألّف في الأمور الدينية سبعة عشر كتاباً مطبوعاً.

توفي في بغداد عام ١٩٦٩ م ودفن في الموصل.

هذه يا جماعة قصّتي مع المشتركين.

ـ ملا! الله يرحم والديك، فد قُصّة لُخ؟ (أخرى).

ـ خلّوها لغير وقت!؟ مالي خُلْگ الناس!!

❁ ❁ ❁

هوامش

(١) حمدي الباچچي: وُلِدَ في بغداد سنة ١٨٨٦، وأتمّ دراسته في المدرسة الشاهانية الملكية في اسطنبول فتخرّج منها سنة ١٩٠٩، فعُيِّن أستاذاً في مدرسة الحقوق ببغداد، وقائمقاماً للكاظمية عام ١٩١٣، وقد اشترك في القضية العربية منذ نشوئها، كما ساهم بقسط وافر في القضية العراقية، ونفي من جرائها إلى هننجام. وانتخب بعد ذلك نائباً وأسندت إليه وزارة الأوقاف ووكالة وزارة الدفاع، وفي آب ١٩٣٥ أعيد انتخابه نائباً عن لواء بغداد توفي عام ١٩٤٨ م - رحمه الله -

(٢) ثابت عبد النور: من المثقفين المنورين، تقلّد وظائف حكومية متعددة، ومناصب رفيعة آخرها مديرية أمور النفط في وزارة الاقتصاد والمواصلات، وهو من كبار الاقتصاديين آنذاك، وقد اشترك في الثورة العربية اشتراكاً فعلياً.

(٣) وُلِدَ في بغداد في ٢٦ آزار ١٨٩١، ووالده شوكت باشا، أتمّ تحصيله العلمي في كلية الحقوق باستانبول، وعُيِّن مدعياً عاماً في محكمة بداءة الحلة عام ١٩١٤، عند نشوب الحرب العالمية الأولى التحق كضابط في الجيش التركي، وأسر قبيل احتلال بغداد، فسيق إلى الهند، وعندما كان في الأسر لبّى دعوة الملك حسين والتحق بالجيش الحجازي الشمالي بقيادة الملك فيصل الأول. وعاد بعد ذلك إلى العراق فعُيِّن معاوناً لمتصرف بغداد عام ١٩٢١، فمتصرفاً للكوت فالحلة ثم بغداد والموصل إلى ١٩٢٨، بعدها انتخب نائباً وأسندت إليه وزارة الداخلية، وعُيِّن بعد ذلك وزيراً للعدلية وللداخلية، ووزيراً مفوضاً في أنقره، وفي تشرين الثاني ١٩٣٢ ألّف الوزارة عقيب دخول العراق عصبة الأمم، وفي سنة ١٩٣٤ عُيِّن للمرة الثانية وزيراً مفوضاً ومندوباً فوق العادة للعراق لدى الجمهورية التركية إلى ١٩٣٦.

أمير ربيعة والنقد ـ جواد الخلفة والهجاء ـ حديث بين خميس الشيخ ضاري وحميدي الفرحان شيخ شمر ـ ماذا دار بين الفرحان والكرخي في مجلس النواب

صباح الثلاثاء ١ حزيران ١٩٣٧ كان الكرخي يسير في شارع السموأل، فمرّ الشيخ محمد الحبيب[1]، أمير ربيعة بسيارته، ولما شاهد صاحبه الكرخي، وقف وقال له: ـ تفضّل ملا عبود، ما تروح للمجلس؟

فركب، وفي الطريق سأله:

ـ ملا! ما بال أهل الصدور الضيّقة يزعلون من مداعباتك، إذا داعبتهم في جريدتك، ونبّهتهم إلى أخطائهم، ونصحتهم بتعديلها؟ ألم يسمعوا الكلمة الخالدة التي قالها الزعيم المصري سعد زغلول: (لا تسألوا الصحف، لماذا تنتقدنا، بل يجب أن نحاسب أنفسنا، لماذا نأتي بأعمال ننتقد عليها؟).

وأضاف: ـ (أمّا أنا فسأكون ممتناً لو انتقدتني الصحف على الأعمال التي أقوم بها والتي لا ترضي الصحافة، فعسى أن يكون الانتقاد نافعاً).

فأجابه الكرخي: ـ ماذا أصنع، ألم أكن أنا القائل في القصيدة التي مطلعها:

صدّرنا الجريدة (الكرخ) وأسكتنه وجزنه من الصدگ ونريد عيشتنه

تلك القصيدة التي قلتها عقيب سد جريدتي، ثم نشرتها بعد استئناف صدورها وهي مطولة، منها البيت الآتي:

إذا داعبتهم صاروا إلك أضداد　　　　وراحوا للوزاره يطاردون طراد
هذا يصيح: فكوّنه، وذاك: الداد　　　　يصيح (الكرخ) يا إسلام هتكتنه

ثم وصلنا المجلس، ولما نزلنا ـ والكلام للكرخي ـ قال لي الأمير:

ـ إن الحق معك يا ملا، ولكني أقول، إن الذي تراه يضيق صدره من النقد، لا فائدة من نقد أعماله.

❁ ❁ ❁

من ذكريات الكرخي هذه الخاطرة: يوم كنت شاباً يافعاً، كان (جواد الخلفة) يسكن جانب الكرخ، وهو شاعر عامي اختص بالهجاء، وكان الناس يحبونه ويكرمونه ويقدرونه، فللشعراء في ذلك الزمن شأن كبير، وكان وجوه بغداد من أصدقائه، وذات يوم طلبوا إليه الكف عن انتقاد الناس، ولقاء ذلك فإنَّهم سيتكفلون بمعيشته، ثم دفعوا له (ألف ليرة ذهب)!! داخل كيس على أن يستعين بها في بيع وشراء الرز (التمن) من مدينة طويريج (الهندية).

فوضع (جواد) الكيس في عبّه، ثم قرَّر السفر إلى الهندية لشراء (قلم من التمن)[٢]، وحضر في توديعه عشرة من أصدقائه، ومشوا معه فوق (المسنّاية)، ولما وصلوا قرب (شريعة باب السيف)، شاهدوا أحد الأثرياء، وهو يربط بقماش (كشيدته) و(جبّته) بقرتين كان يقودهما إلى النهر، ثم أنهما أفلتتا من يد هذا المثري وفرّتا، وأسقطتاه على الأرض، يتمرغ بالأوحال، بحالة تبعث على الضحك والسخرية. فما كان من (جواد الخلفة) إلاَّ أن أخرج الألف ليرة من (عبّه)، وناولها إلى أصدقائه قائلاً:

ـ أخذوا فلوسكم، وروحوا إلى حال سبيلكم، آني ما أگدر أعوف هيچي ناس بدون انتقاد!؟

وحاول أصدقاؤه أن يثنوه عن عزمه، إلاَّ أنه أبى ذلك، وأخذ ينشد قصيدة هجائية بحق هذا المثري ـ لا أتخطرها الآن ـ ولكنها كانت لاذعة وقارصة.

يقول الكرخي: هذه حكاية حقيقية تذكرتها عندما راجعني بعض الناس طالبين مني ترك النقد، شعراً وكتابةً، فقلت لهم: كيف تريدون مني أن أسكت، وأرى بأم عيني ـ يومياً ـ أوضاع شاذة تصدر ممن بأيديهم الحل والعقد؟ وهذا ما يمليه الواجب عليّ، خدمة للناس، سيما وإنني شاعرهم الناطق بلسانهم، فلا تطلبوا مني، ما طلبه أصدقاء (جواد الخلفة) منه، لأنَّه مرفوض سلفاً.



في إحدى جلسات مجلس النواب ١٩٣٧ ألقى الشيخ حميدي الفرحان، شيخ شمر، كلمة بلهجته البدوية، كانت مختصرة ولكنها مفيدة وهذا نصها:

«حنّه يالربع إسلام، والشريعة المحمدية إجت، من غير قوانين، النطول - أي السارق - تگطع يده، والزاني يرجمونه، واليذبح يذبحوه، واليشلع سن رجل، سنّه يشلعوه، واليگطع أنف، أنفه يگطعوه... سايم الله عليكم اتركوا القوانين الحاضرة، واهتموا بالقوانين الإسلامية، وهگوتي - أي أملي - بها كل النجاح».

فصفّق له الحاضرون طويلاً، ولم يكفوا عن التصفيق إلاّ بعد أن جلس في مكانه.

بعده قام أحد النواب المزمنين، وألقى خطبة طويلة دامت أكثر من ساعة، حتى ضجَّ النواب من طول كلامه، واضطروا إلى تركه يتكلم مع نفسه، وراح كل اثنين يتحدثان فيما بينهما بأمورهما الخاصة، وكان الشيخ حميدي الفرحان جالساً بجنب خميس الشيخ ضاري، فكان هذا الحوار البديع، الذي حفظه الكرخي عن ظهر قلب، وكان يجلس بالقرب منهما، ورواه في اليوم الثاني لقرّاء جريدته:

خميس الضاري: - وين هل حين منازلكم يشيخ حميدي؟

- بالحَضَر (المدينة الآثارية قرب الموصل).

- ياتوكم بيّاعه شرّايه، يشرون منكم البِل (الإبل)[٣]؟

- ياتون مَيْر (حيث) موكلهم واحد، بهم جزارين يشرون الفاطر والجزور، وبهم جمّاله يشرون الخوار ولا يشرون الجودي (أسماء إبل)، والجودي بالعراگ (العراق) ما يعيش من الزريجي والبگ (أسماء أنواع من البعوض)، ويريدون الجمل، سالم العذاريب (الأمراض) لا بيه ضبطه ولا شاذب ولا داگور (جروح تصاب بها الإبل)، والحج أمخلول (من أسماء الإبل) ما يشروه ويرغبون للأشعل والأصفر، ولا يرغبون للأطمش والأبهگ والأبلگ (من ألوان الإبل)، وعند واحد من گومنا گعود (الجمل المتوسط السن) سالم العذاريب مكحول العينين، وراحلين عليه (عليه الرحل)، واليوم يشيخ، البعير بالهلك رخيص، وشعاد يومن (يوم) الله والحكومة، خلصنه من المغزه (الغزو)، وحنّه (نحن) يشمّر چانوا گوم (خصوم) لِنه، ويغزونه عشاير اعنزه والفدعان والسِبْعه والروله والصگور والعمارات والدهامشة والضفير والشرارات وبني صخر...

واليوم شيل الذهب وامشي الهلك، (الكلام طويل اختصرناه بهذه النبذة).

فسأله الشيخ خميس:

- ما تشريلك طرميل (سيارة) وأنت أزلمه عاجز شايب تمشي على رجلك.

- والله أبي (أريد، أرغب) اشريلي واحد جديد، مير (تعطي أيضاً معنى لكن) خوفي تنكسر اضروسو ويتعطّل، وانتو شلونكم يشيخ خميس؟

- والله حنّه له الحمد، (زوبع) بخير نزرع وانعيش، ما نجني البعير.

- عطوكم من أرض أبو غريب؟

- إي نعم عطونه، وهگوتي لو تنشد على أبو غريب، كلّه الزوبع، مير (حيث) الحكومة أعطتنه كفايتنه، واليوم حنّه وانتم يشمّر بخير، مندوبين بالمجلس، والحكومة العراگية تحبّنه، ولِنه عندهم منزلة.

- الله يجعلكم بخير، أنتم شمر الخير، اليجيكم يجينه.

❁ ❁ ❁

في أروقة المجلس النيابي اجتمع الكرخي بالشيخ حميدي الفرحان، وقال له: خطبتك البليغة في إيجازها أعجبت الجميع يا محفوظ، فأجابه الفرحان:

- تبيني (تريدني) أن أصمت، حتى تكتب صموتي (صمتي) مثل ما تكتب على صموت غيري، مير (حيث) أنا لازم أخطب.

عبودا يا أولِدِي! الشاعر يگول:

يـا الـخـايـف مـن الـمـنـايـا	الـمـوت مـا جـالـو نـذيـر[٤]
الـذل مـا حـامـه الـحـبـاره	ولا طـوّل الـعـمـرو گـصـيـر

فقلت له (الكلام للكرخي):

- بارك الله فيك يا شيخ يشمر الجربه/ يا شبل فرحان پاشا، صحّ مَن لقبكم بـ (عيون الحُصُن)[٥]، أليس البطل شيخ مشايخ شمر عجيل الياور هو ابن أخيك؟



هوامش

(١) محمد الحبيب والخيزران لقبه، وُلِدَ سنة ١٨٩٥، في (العظيم) التابع لـ (ديالي)، تولى رئاسة عشائر العَزّة أيام الحرب العالمية الأولى، ولما نشبت الثورة العراقية اشترك فيها وأظهر فيها مواقف حميدة، فلما انتهت الثورة وتألفت الحكومة الوطنية عُيِّن قائمقاماً لقضاء ديلتاوه (الخالص) ثم انتخب عضواً في المجلس التأسيسي، فنائباً عن ديالى في مجلس النواب.

(٢) قلم من التمن: صفقة، كمية متعارف عليها بين تجار الرز.

(٣) انظر ملحمة (الكونية) في الجزء الثاني من ديوان الكرخي التي تحدّثت بالتفصيل عن أنواع الإبل، وأمراضها وعاداتها وكل ما يتعلق بها.

(٤) جالو: جاء له. الحباره: نوع من الطيور الذليلة، الجبانة. حامه: حمى.

(٥) الحصن: جمع حصان، ومن المعروف أن له عيناً حادة ثاقبة تنظر إلى مديات بعيدة.

(سرقفلية) الصحافة - أكرم أحمد يحيى حبزبوز ارتجالاً - من نكات الزهاوي في البرلمان التركي - ومن نكاته في بغداد

في عام ١٩٣٣ أصدر حاكم جزاء البصرة عبد الرحمن خضر قراراً بحبس المدير المسؤول لجريدة (الكرخ) لمدة أربعة أشهر، وبتعويض قدره ستماية دينار تدفع للمدعي، كما أرسل أمراً إلى ملاحظية المطبوعات بحجز تأمينات الجريدة، فاضطرت إلى التوقف عن الصدور، وبعد انتهاء محكومية المدير المسؤول عبد الرزاق التميمي حاول الكرخي إصدار الجريدة إلاّ أن التميمي طالب بزيادة راتبه من ثلاثين روبية شهرياً إلى ستة دنانير، فرفض طلبه بسبب الحالة المالية السيئة، ولما كلف بالاستقالة امتنع واستحوذ على الامتياز، وإزاء هذا العناد راجع الشاعر مديرية المطبوعات للسماح له باستئناف إصدار جريدة (الكرخي) إلاّ أن مديرها المسؤول المدعو عبد الرزاق وهيب آغا، هو الآخر مانع في إصدارها، بل تطرّف أكثر وصار يهدّد بالحجز على كل صحيفة يصدرها الشاعر باسم يقارب اسمها، فاضطر إلى استحصال امتياز جديد باسم (الملا).

وفي ٢٦ أيلول ١٩٣٣ اجتمع الكرخي بصديقه نوري ثابت ودار بينهما الحوار البديع الآتي حول هذا الموضوع:

حبزبوز - أهلاً وسهلاً بالملا عبود، يابه هاي وين أنت؟

- الكرخي - وين آني؟ مدتشوفني اركض مثل الجريدي المحروگ ذيله!

ح - طبعاً، من طرف الجريده، مو تمام؟

ك - بس قابل المراكب غرگت؟ شكو عندي غير الجريده؟

ح ـ تره، ملا، الحچي بيناتنه هالجزاء كان (صواب)[1]!

ك ـ هاي شنو، فلا ينبت بمكانه شعر، وشارب كلمن عرف خاله!

ح ـ هسّه مقصدك؟ ما راح تعيد نشر الجريده؟

ك ـ شلون ما أعيد؟ لكن هل نوبه[2] طلعت لي غير مسأله!

ح ـ شكو؟ خير إن شاء الله!

ك ـ مولانا، متعرف المدير المسؤول السابق عبد الرزاق؟

ح ـ نعم، شبي؟ (ماذا به).

ك ـ موهذا، حسب قانون المطبوعات القديم، كان هم مدير مسؤول وهم صاحب امتياز!

ح ـ معلوم، معلوم!

ك ـ اغاتي! هسّه جنابه (ضارب دبّه)[3]، يگول الجريده مُلُك مالي، آني ما انطيهه إلى ملا عبود الكرخي! هذي تشبه مسألة (التجحيش)، أنت تعرف حچاية التجحيش؟

ح ـ لا والله ما أعرفهه، لكن أتذكر عندما طلقت الوظيفة بالطلاق الثلاث أراد أن يرجّعني إليها الدكتور فائق شاكر بطريقة التجحيش فأبيت!

ك ـ مولانا، المرأة عندما يطلقها زوجها بالثلاث يجحشوها، أي يزوجوها مؤقتاً، وأحياناً يعصي الزوج الثاني بالمرأة فيحرم زوجها الأول منها... وهكذا أراد أن يعاملني المدير المسؤول السابق، بقوله: (الجريده مالي) ملا عبود ما إله حق فيها، يعني:

وراي ركّبته وأريده	عل خُرُج مدها الإيده
وامتيازي من الجريده	لفلفه[4]، وحالاً احتله

ح ـ ملا! تريد الصدگ! مديرك المسؤول مو أپاغ إصدار جريدة، ولا كل مَن تخرّج من مكتب الحربية في الآستانة يتمكّن من إصدار جريدة، لأنَّ الصحافة شي و(صولدن گري مارش)[5] شي آخر!

ك ـ بس يرحم أبوك شنو مقصده من هل پسته؟

ح ـ بس لي هسّه ما عرفت مقصده؟ تگول آني وآني؟

ك ـ بالله بداعة (سمرفيل)[٦] عليك، شو مقصده؟

ح ـ شوف! عاد هذا حلفك يقصم الظهر!

ك ـ هسّه ما أدري، يقصم الظهر، يفتِگ اليمني، هذا شنو مقصده؟

ح ـ مقصده يشلع منّك (سرقفلية)، يعني أصحاب المقاهي والأوتيلات، والدكاكين ما ينطون (سرقفلية)؟ هذا هم عباله الجرائد هل ترتيب!

ك ـ داس خوش[٧] عليك حبزبوز، شلون حزرت!

ح ـ هاي شنو؟ هذي هيّاتهه مبينه مثل عين الشمس! هسّه تالي، ما راح تطلّع جريده؟

ك ـ أخذت امتياز (رخصة) وخلصت، راح اطلع جريده باسم (الملا).

ح ـ طبعاً راح تزيّن جيد العدد الأول بقصيدة تشبّع ذوق القراء بعد هذا السكوت الطويل؟

ك ـ هاي شنو؟ من هسّه رتّبت المطلع، تفضّل:

أيُّها الكرخي (المُلّه) صابتك بالچيد علّه

۞ ۞ ۞

(الكرخ) يا بومه و(كرخي) راح من عندك يبلخي
وظل بالخرّاطه[٨] إرخي وچيسك المنگوب چِلّه

۞ ۞ ۞

كان شاعر الشباب أكرم أحمد مدير تحرير (لواء) محافظة ديالى، وفي داره بمدينة بعقوبة دعا عدداً من أصدقائه وهم عبد القادر المميز صاحب جريدة (أبو حمد) وشفيق سلمان ومحمد آل چوخه دار ونوري ثابت صاحب جريدة (حبزبوز) والملا عبود الكرخي، مع جميع رؤساء دوائر المحافظة، فكانت ليلة (بيضاء) جمعت من الأحاديث أعذبها، ومن النكات أروعها، حتى هزّت الأريحية الأستاذ أكرم أحمد فارتجل القصيدة الرائعة الآتية في وصف جريدة حبزبوز وصاحبها، وكان ذلك في أواخر كانون الأول عام ١٩٣٢ م:

من (حبزبوز) خذ فنون الظرافه فهي أنس الورى وفخر الصحافه
وارتشف من معينها حين تأسى رائقاً من مجانةٍ ولطافه
هي بحرٌ من الدعابة طام وسماءٌ غيوثها وكّافه
تتولى إصلاح ما يعْوِزُ الشعب وترعى من الهدى أكنافه

تتوخى الحديث لا سخف فيه وحديث الأخرى حديث خرافه

كم جلت عن حقائق الشعب فكانت نقّادة صرّافه

غابه الندم مرجفاً باعتسافٍ فمقتنا أرجافه واعتسافه

تتثنى غداة تتلى كحاسٍ رنّحت نشوة الطلا أعطافه

مُلَحٌ في سطورها تتجلى لك عن طبع ربها شفافه

ومعانٍ من رائع الوصف أشهى من جنى الشهد أو مذاق السلافه

كم بها شنَّ غارة ذات نارٍ مستطيرٍ على دعاة السخافه

لا يحابي في معرض الحق ناساً هم بجسم البلاد والشعب آفه

يدركون المنى ويثرون منها عن طريق الزلفى وباسم الشرافه

أوجهٌ للخنا تلوح عليها سحنة من صفاقةٍ وصلافه

ولديه يراعة إن نضاها حطمت من عدوه أسيافه

رقة القول في الخطاب نتاج لعلو الحجى وحسن الثقافه

وإذا ساء منطق المرء يوماً فعفاءٌ على النهي والحصافه

❀ ❀ ❀

وصف الكرخي صديقه الزهاوي بأنَّه: أريحي الطبع، خفيف الروح، ومما يدلّك على على أريحية طبعه تغزّله بـ (ليلى)، ذلك التغزّل الذي ينم عن شعور صادق وصبابة غير كاذبة، ومن الغرابة أن يتحسّس شيخ بهذه اللواعج وبهذا الدنف، والذي يقرأ شعره يظنه صباً فتَنَه الجمال، وإنَّك إذا جالسته شعرت بأن قلبه يخفق بروح الشباب، متجدد بأفكاره وآرائه، والزهاوي حلو الحديث كثير النكات، وهو يكاد يتوقد فطنة وذكاءً، ونكاته كثيرة ولئلا تضيع وتصبح نسياً منسيا نذكر بعضاً منها:

كان الزهاوي يخطب ذات يوم في البرلمان التركي يوم كان مندوباً عن بغداد، وبينما كان مسترسلاً في خطابه قاطعه أحد النواب قائلاً: (سز بغدادليلر حبّه يي قبّه ايدر سيگز)، أي إنكم يا أهل بغداد تجعلون من الحبة قبّة، فقال


الزهاوي

له الزهاوي على الفور: (سز استانبولليلر قبه يي حبه ايدر سيكز)، أي إنّكم يا أهل استانبول تجعلون من القبة حبة.

وذات يوم قدّمت الحكومة التركية ميزانيتها إلى مجلس الأمة، فلاحظ الزهاوي أن في الميزانية مخصصات جمة لشراء (البخاري الشريف) للبحرية العثمانية، فارتقى الزهاوي منبر الخطابة، وألقى خطبة أحدثت ارتجاجاً ودوياً في قاعة المجلس، منها: (دونتماي عثماني بخاري شريفله يورومز البكه بخار شريفله يورور)، أي إن السفن البحرية العثمانية لا تجري بالبخاري الشريف، وإنّما تجري (بالبخار) الشريف، وهو جناس لطيف جداً، ولما أتمَّ خطبته، قامت عليه قيامة النواب، وكانوا يصرخون ويضجون ويصيحون في قاعة المجلس بقولهم: (ايندیریكز بوكافري ايندريگز) أي، أنزلوا هذا الكافر أنزلوه.



ومن النكات التي رواها نوري ثابت عن الزهاوي:

كان المرحوم (ع. . . بك) من أشهر الكذابين في بغداد. جلس ذات يوم في مجلس حضره الزهاوي، وأخذ يقص قصة ساحر يقول إنه شهدها بنفسه، إلى أن قال:

ـ ولما فار الجدر، طلّع من جيبه فرد نوع من التراب وذبّه[٩] بالجدار! وإذا برأس إنسان يخرج من الجدر، ويسلّم على الجماعة بلسان فصيح! وكان على جبين هذا الرأس مكتوب فرد سطر.

ثم التفت إلى المرحوم الزهاوي وسأله:

ـ تعرف أيش كان مكتوب في هذا السطر؟

فأجابه الزهاوي على الفور:

ـ كان مكتوب: (ألا لعنة الله على الكاذبين).

فضحك الحاضرون، وخجل الكذاب من هذا الجواب المسكت.

وكان الزهاوي ذات يوم في مجلس الوزير كاظم باشا في قصره بجانب الكرخ (بناية السفارة البريطانية الحالية)، وكان الحديث يدور حول الموتى، ومسخ البعض منهم، فقال أحد الباشاوات:

ـ أنا رأيت بعيني هذه، جنازة مُسِخت خنزيراً، فأخذ يركض نحو الهور.

فالتفت كاظم پاشا إلى الزهاوي وسأله:

- ما رأيك يا أستاذ في هذه المسألة؟

فنظر الزهاوي إلى الپاشا الكذاب ثم أجاب كاظم پاشا قائلاً:

- مولاي، أنا دا أشوف بعض الأحياء يمسخون حميراً! ليش ما أصدّق بالأموات إذا مسخت خنازير؟؟

فضحك الحاضرون، وخرج الپاشا الكذّاب يجر وراءه أذيال الخجل!



هوامش

(١) صواب: الشخص إذا أصيب بطلق ناري فجرح، ومع ذلك قولهم: (صوابه حار).

(٢) نوبة: هنا تعطي معنى مرّة كقولهم هذه المرّة وهل نوبة.

(٣) ضارب دبّة: كقولهم مصمم، مصرّ ونحوهما، وتعني أيضاً: عدل، قَلِب، أخلّ بالشرط.

(٤) لفلفه: أخذه سرقه.

(٥) صولدن گري مارش: عبارة تركية وكلمة مارش إنكليزية، ومعنى الجملة تحرّك إلى الوراء.

(٦) اسم متنفذ إنكليزي الجنسية، كان يعمل في دواوين الدولة واشتهر بسوء تصرفه.

(٧) داس خوش: عبارة تركية بمعنى خوش لعبة، لعبة جيدة.

(٨) الخراطة: فوهة كيس النقود فيه خيط داخلي يُشد ويرخى عند الغلق والفتح.

حِلّه: بمعنى حِل الكيس كقولهم:

مــا جــيــنــه يــا مــا جــيــنــه   حِــلّــيْ الــجــيــس وانــطــيــنــه

(٩) ذبّه: رماه.

ما قصة (الله يساعدك) بين الرصافي وحبزبوز؟
ـ محمد سعيد آل مصطفى الخليل والجنّة ـ
عبدالله الخياط في مجلس أيوب اليتيم

روى المرحوم نوري ثابت (حبزبوز) ما دار بينه وبين أستاذه المرحوم الرصافي في مجلس أدبي ضمهما:

كان أستاذنا الكبير معروف الرصافي، يقص علينا أحسن القصص، ويغذي نفوسنا بأبدع أبيات الشعر، وكنت أقاطعه كلما أتحفنا بقطعة من الأدب قائلاً له:

ـ الله يساعدك!

حكى لنا حكاية قصيدته العصماء المشهورة: (الفقر والسقام)، ولما انتهى منها قلت له:

ـ الله يساعدك يا أستاذ!



الرصافي

ثم قص علينا حكاية قصيدته (اليتيم في العيد) ولما انتهى منها، قلت له:

ـ الله يساعدك يا أستاذ!

ثم تكلم عن مسألة (الأرملة المرضعة) وكيف لقيها ليته ما كان يلقاها فقاطعته قائلاً:

ـ الله يساعدك يا أستاذ!

فتعجب من تكراري لهذه العبارة الغريبة، وقال لي بشيْ من الغضب:

ـ ليش الله يساعدني؟ شنو آني شايل حِمِل؟

فضحكت وقلت له:

ـ أستغفر الله يا أستاذ! وإنَّما هذه حكاية مضحكة، فسكن غضبه وقال:

ـ شنو هل حكايه؟ إذا كانت حبزبزية حلوة، أتحفنا بها!

قلت: نعم! حبزبزية! قال: تفضّل! ونحن لك من السامعين!

ـ يقال والعهدة على الراوي أو العاني، إنَّ أحد البسطاء دخل مسجداً لأداء صلاة الجمعة، وجلس أمام المنبر، حيث صعد الخطيب وابتدأ خطبته بالديباجة المعلومة التي لم يغيرها كر الجديدين، وهي: (الحمد لله، ثم الحمد لله، ما توفيقي ولا اعتصامي إلاَّ بالله!)، فهزَّ الرجل رأسه وقال للخطيب:

ـ الله يساعدك يا أستاذ! فاستغرب الخطيب هذه العبارة، لكنه واظب على خطبته: (عليه توكلت وإليه أنيب). فقال المستمع وهو يهز رأسه:

ـ الله يساعدك! فاستغرب الخطيب أيضاً ولكنه داوم على خطبته حتى وصل إلى قوله: (عباد الله اتقوا الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان) فقال المستمع: الله يساعدك. ولكن الخطيب أراد أن ينهي الخطبة بسرعة ليسأل هذا الفضولي عن هذه العبارة فأنهاها هكذا: (وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون) فقال له المستمع: الله يساعدك!

فنزل الخطيب من المنبر مسرعاً، وأمسك بتلابيب هذا المستمع الوقح وهزَّه هزاً عنيفاً ثم صرخ في وجهه قائلاً:

ـ ولك شنو الله يساعدك؟؟ الله يساعدني على أيش؟؟

فقال له الرجل الساذج: ـ مولاي! أنا إلى أن وصلت إلى سورة (لم يكن) طرحوني تحت (الفلقة) وفلقوني أكثر من ألف مرة! عجباً جنابك كم مرة (فلّقوك) حتى وصلت إلى هذه المرتبة من الفصاحة والبلاغة؟؟

الله يساعدك!

فضحك الخطيب من سذاجة الرجل، وتركه وولّى وجهه شطر القبلة ليؤدي فريضة الجمعة!

ولما انتهيت من حكايتي ضحك الحاضرون وضحك الأستاذ الرصافي أيضاً ثم سألني: ـ وماذا تقصد من هذه الحكاية؟

فتلعثمت وقلت له: ـ يعني، أنا إلى أن أصبحت (شبه صحافي) أكلت ألف كفخة وكفخة! عجباً حضرة أستاذنا الكبير كم كفخة أكل حتى وصل إلى هذه المرتبة العظيمة من الشعر؟

فضحك الأستاذ وقال: ـ إذا كنت تقصد الكفخات، فكلانا متساويان في كفخات الدهر، ولكن إذا كنت تقصد (الفلقة) فيشهد الله على أنّني بريء منها. أما أنت فربما ذقتها يا فلفوز.



كان الظريف البغدادي السيد محمد سعيد آل مصطفى الخليل يعظ الناس في جامع (حنّان) في رأس جسر الشهداء من جانب الكرخ، ومرةً كان بحثه في الجنة، ونعيمها، وما أعده الله لعباده الصالحين فيها، فاستأنس الناس واستبشروا بالحظوة في الجنة. فالتفت إليهم وقال:

أراكم قد استبشرتم بما ذكرته لكم من أخبار الجنة ونعيمها، وحسبتم أنفسكم من أهلها، فإنَّ هذه الوجوه التي تحت منبري هذا، لا أحسب ولا أظن أنها ترى نعيم الجنة، أو تدخل فيها، لأنَّ الجنة أرفع وأبعد من أن تدخلها مثل هذه الوجوه.

فقالوا له:

ـ يا سيدنا نحن أصحابك وجماعتك، أفما تفرح بما يصيبنا من نعيم الجنة.

فقال لهم: ـ لا والله، لو أن مَلَكاً من الملائكة نزل الآن من السماء، وقال إن مثل هؤلاء الجماعة يدخلون الجنة ـ وهذا أمر مستحيل ـ لأبحثنّ لكم في الدنيا كل شيْ .

فضج الناس بالضحك، وانتهى مجلس الوعظ بتلك الفكاهة اللطيفة. (ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب).

❀ ❀ ❀

وصف الدروبي في كتابه (البغداديون، أخبارهم، ومجالسهم) المطبوع عام ١٩٥٨ مجلس أيوب اليتّيم بجانب الكرخ بأنه (مجلس لا يرتاده إلاّ أهل الشغب، ومَن اتخذ الاستهزاء والشتم والسخرية بالناس حرفة ومهنة). أ.هـ.

نقول، إن أيوب هو صاحب الحمام المشهور بجانب الكرخ والذي ما يزال قائماً توفي سنة ١٩١٤ م ودفن خارج مقبرة الشيخ معروف الكرخي، وترك من الأولاد عبد المجيد(*) ـ وهو صديق حميم للشاعر الكرخي، وله معه مداعبات شعرية كثيرة ـ وعبد الرزاق وغيرهم.

ومن نوادر الظريف البغدادي الشهير اسطه عبدالله الخياط[1] التي جرت في مجلس اليتّيم، أن أيوب يختص بمشرب خاص للتتن (شطب، فم، إمزگ.. إلخ) لا يمكن أن تناله أيدي بشر غيره، فطرق ذلك سمع أسطه عبدالله الخياط، فعقد رهاناً مع أحد أصدقائه إن تمكّن من استحصال (مشرب) أيوب اليتّيم. فزاره في مجلسه وبعد السلام والكلام وتجاذب أطراف الحديث، وإلقاء النكتة تلو النكتة، أخذ يسب ويشتم العائلات البغدادية القديمة مجاراة لما تعوّد عليه (اليتّيم)، حتى طاب له الحديث، فناوله مشربه الخاص رضاءً بما بدر منه من كلام يشفي غليله ضد تلك العائلات. ثم أخذ أيوب يعين عبدالله الخياط على شتم الناس

(*) وصفه الكرخي بأسلوبه الساخر كالآتي:
عبد المجيد چلبي بن المرحوم أيوب آغا، المثري الكبير في جانب الكرخ، صاحب الحمامات والخانات والعقارات، صديقي من زمن بعيد، كان إلى السنة الماضية ١٩٢٩ م ذا لحية طويلة، وسبحة أطول منها، و(سبيل) طويل على هيئة الشطب القديم، ومَن يرى سبيله هذا العجيب يندهش من شكله، لكثرة ما فيه من خرز وكواكيش فضية. وقصارى القول، كان درويشاً، يمثل القدم والخرافة بمعنى الكلمة، ومنذ أيام أراه بأزياء مختلفة، يوم زبون أصفر، يوم أخضر، يوم أحمر، يوم گلگلي يوم زنجاري يوم نامرد، يوم صادغ بيزي، خلاصة القول (زرزور منقش): يابه ـ چلبي ـ شنو هاي؟ وين اللحية؟ وين السبحة؟ فضحك وقال لي: شتسوي ملاً؟ الناس بيت بلاء، يقولون: ما يتونس، ما يروح للاوتيل، ما يبدّل، حارم نفسه، إلمن هل فلوس؟ منو مات وخلّف؟ فانجبرت وسوّيت على مرامهم!؟ فقت له:
أنصحك يا (مجيد أيوب) بالك وإيّاك تتوب

بيتاً بعد بيت، ورجلاً بعد آخر، حتى جاء الدور إلى بيت تربطه بالخياط صلة قرابة، فالتفت إليه الخياط وبيده مشرب أيوب قائلاً له: إلى هذا الحد وصلت يا أيوب؟! ثم رمى المشرب على الأرض بقوة فتهشّم، ولم يبدِ أيوب كلاماً ولا حراكاً خشية من عبدالله الخياط.

وهكذا كسب الرهان.



هوامش

(١) عبدالله الخياط: هو الشيخ عبدالله بن جاسم، من عشيرة القره غول، يسكن محلة سوق الجديد في جانب الكرخ، وكان ظريفاً من ظرفاء بغداد المعدودين، والظرف طبعٌ فيه بلا تكلف، كان يمتهن خياطة الملابس، وكان من ملازمي مجالس الآلوسيين والسويديين وآل الشواف وغيرهم.

الخياط ونصائح العلامة الآلوسي - في طريقه إلى الأعظمية للصلاة - من بلاهات الخدم في مجلس الدكتور فائق شكر

كان العلامة محمود شكري الآلوسي - رحمه الله - دائماً وأبداً يؤنب (عبدالله الخياط) على تركه الصلاة، وهو يعتذر إليه بانشغاله بطلب الرزق، فكان الآلوسي يذكّره بهول يوم القيامة، ويقول له: مَن تقرَّب إلى الله (فتراً) تقرّب الله إليه (شبراً). فلبى الخياط طلبه، ووعده بأن يغتسل ويلبس أحسن ثيابه، ويأتي ليصلي خلفه. فاشترى الخياط حذاءً أحمرَ لماعاً (قبه لورطه)[1]، ولبس ألبسة جديدة، وجاء إلى نهر دجلة للاغتسال. فنزع ملابسه وحذاءه، ووضع الجميع على جرف النهر، ونزل يغتسل، وأثناء ذلك مرَّ زورق بخاري، أحدث أمواجاً عالية، جرفت الملابس والحذاء. ومن سوء الحظ أن أسطه عبدالله الخياط لا يعرف السباحة ولهذا لم يستطع انتشال ملابسه، وهو يراها تبتعد عنه شيئاً فشيئاً. فأخذ ينظر إلى السماء مرة وإلى ملابسه مرة أخرى، وخرج عارياً ووقف على جرف النهر، وأخذ يخاطب السماء قائلاً: إنَّ الآلوسي يعظنا ويعدنا بالخير، فأين وعده؟ هذا! وقَع عليّ قبل أن أدخل الجامع للصلاة، فكيف إذا دخلت الجامع وصليت؟

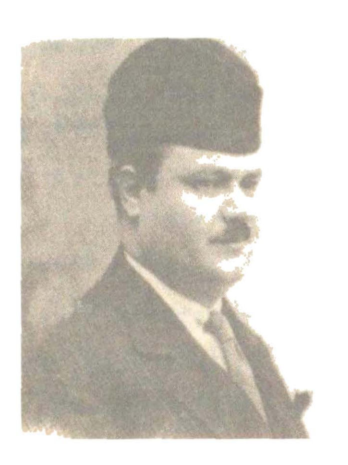


ومن نكاته أيضاً، أنه ذهب مرة إلى الأعظمية على ظهر حمار، وكان ذلك صباح الثلاثاء، فوصل إلى باب المعظم، وبعده بخمسين متراً لقيه رجل من أصدقائه، فسأله عن وجهته، فأجابه أنه ينوي التوجه إلى جامع الإمام الأعظم لأداء صلاة الجمعة، فضحك الرجل، وقال له: إنَّ هذا اليوم هو يوم الثلاثاء لا

الجمعة، فأجابه الخياط: خرجت من بيتي البارحة ووصلت باب المعظم اليوم، لأنَّ حماري ـ أجلّكم الله ـ ضعيف، هزيل وغير سريع في المشي، ولهذا فإنَّه سوف لا يصل قبل يوم الجمعة إلى الأعظمية، وربما سأحظى بركعة في الجمعة الثانية. فضحك الرجل وتركه، وهو يصرخ: دي... حا... دي:

❀ ❀ ❀

إن مجلس الدكتور فائق شاكر[٢]، تحفة نادرة من الظرف والفكاهة البريئة ـ يقول حبزبوز ـ زرته في بيته مرة، وبعد السلام والكلام، قال لي وهو يضحك: بالله شحچي ويّه الخادم؟



د. فايق شاكر

ـ شكو دكتور؟

ـ أقول له احم الحمام! فيجيبني: على أمرك! هسّه أخبِر البلدية!! فما هي العلاقة بين الحمام والبلدية؟؟

فضحكنا وأخذنا نأتي بالأمثلة على بلاهات الخدم، وإليكم أغرب ما وقع لأحدهم: يقال إن أحد الناس كان يحب العظمة والأبهة الفارغة (الگشخة) أمام ضيوفه، وكان له خادم أبله، فناداه ذات يوم وقال له:

ـ ابني محمد! إذا ناديتك أمام الضيوف وأمرتك مثلاً أن تسرج الفرس، فأنت عدّد لي، هكذا:

ـ هيْ[٣] فرس تأمرون مولاي؟ الشگره لو الحمرة لو الحمدانية لو الدهمه؟ لو هذي اللي أهداها لك نوري الشعلان؟ لو هذي اللي أهداها لك عجيل الياور... الخ. وهكذا حتى أقول لك: (الحمرة)، وهي الفرس الوحيدة التي نملكها كما تعلم!

وإذا قلت لك:

ـ محمد! روح جيب السبحة!

فأنت، قل لي:

ـ هَيْ سبحة تأمرون مولاي؟ الكهرب لو اليُسُر لو العقيق لو المرجان لو الليلو؟ لو هاي اللي أهداها لك أمير البحرين؟ لو هاي اللي أهداها لك أمير الكويت، لو هاي اللي أهداها لك أمير مكة المكرمة؟... الخ حتى أقول لك: جيب سبحة اليُسُر، وأنت تدري أننا لا نملك سواها، لكن الكشخة زينة!

وإذا قلت لك:

ـ محمد! روح جيب لي الكُرُك (الفروة). فأنت قل:

ـ مولاي! أي كرك تأمرون؟ الصامور(*) لو هذا الذي أهداه لك (نظام حيدر أباد)؟ لو هذا اللي أهداه (السلطان عبد الحميد) لو هذا الذي أهداه صديقك (الصدر الأعظم)؟ أو هذا الذي جاءنا قبل أسبوع من (شيخ الإسلام)؟... الخ.

حتى أقول لك:

ـ لا! جيب هذا المعلّق في الصالون الفوقاني!

وأنت تدري أننا لا نملك سواه!.. لكن الكشخة زينة!

وهكذا تعوّد الخادم على هذا المنوال!... مرّت الأيام وإذا بجماعة من أصحاب والد صاحب الدار يزورونه، فسألوا الوالد عن أبيه، فصرخ هذا بالخادم:

ـ ولك محمد! روح صيح أبويه!

فأجاب هذا على مسمع من الضيوف:

ـ مولاي! هَيْ أب تأمرون؟ أبو الفينة؟ أبو السدارة؟ لو أبو العمامة؟ لو أبو الكشيدة؟ لو أبو الشفقة؟ لو أبو العگال؟ لو أبو الجُبّة! لو أبو عباية الدقّة؟ لو... لو... لو... الخ.

فلطمه مخدومه (صاحب البيت) على وجهه صارخاً:

ـ يواش! يواش! هي ملعون الوالدين، سوّيتني (نغل) من أول باب!

(*) الصامور: حيوان السمور ذو شعر فاخر يتخذ لصنع الفراوي (جمع فروة).

فاعتذر الخادم قائلاً:

- مولاي! شتسوي، غير جنابك علّمتني!

وهكذا خجل صاحب الكشخة من جواب الخادم، وضحك الضيوف من بلاهته، وإلى الله ترجع الأمور.

❀ ❀ ❀

هوامش

(١) من أنواع اليمنيات البغدادية.

(٢) فائق شاكر: دخل المدرسة الطبية العسكرية في الاستانة سنة ١٩١٠ م وتخرَّج سنة ١٩١٥ برتبة رئيس، وعُيِّن معاون مدير لمؤسسة الصحة في ديار بكر فمشاوراً صحياً للفيلق الرابع، وعند انتهاء الحرب الأولى قدَّم استقالته من الجيش العثماني ورجع إلى الموصل، وعُيِّن طبيباً مركزياً في أربيل، ثم أخصائياً في أمراض العيون في بغداد، وذهب سنة ١٩٢٣ إلى المستشفى الملكي للعيون في لندن لكسب الاختصاص في أمراض العيون، وعند عودته عُيِّن مديراً لمستشفى كربلاء ثم رئيساً لصحة اللواء ثم ألغيت وظيفته فمارس الطبابة في بغداد، ثم عُيِّن طبيباً للسجون وانتخب نائباً عن الدليم، وعُيِّن مديراً عاماً للبرق والبريد، وحوّل منها إلى رئاسة صحة لواء كركوك، فأخذ إجازاته المتراكمة وذهب إلى (ڤينا) للوقوف على تطور طب العيون، وعند رجوعه تسلّم رئاسة صحة لواء بغداد.
وُلِد عام ١٨٩٢ وتوفي عام ١٩٦٢ م.

(٣) هَيْ: أي، أيَة، يا هو.

سيارة (ريجينة) ـ رأي الرصافي في شعر شكيب أرسلان ـ خوش معلم تربية!؟ نماذج من نواب أيام زمان!؟

بتاريخ ١/١٢/١٩٣١ كان الشاعر الكرخي والصحفي الفكه نوري ثابت (حبزبوز) مارّين بشارع الميدان يفتشان عن سيارة تنقلهما إلى مجلس الأمة، إذ لفتت نظرهما سيارة فخمة من نوع (بيوك) لونها (لاجوردي طوخ) واقفة بالقرب من (أوتيل الجواهري)، فاتجه الكرخي نحوها، وقال لرفيقه (حبزبوز): ـ يا لله... حبزبوز، هذي خوش سيارة!

حبزبوز

فسحبه رفيقه من يده، قائلاً له: ـ هذي خاشوگة حلوگنة؟ إحنه (برجقه) زايدة علينا؟! لكن الكرخي لم يلتفت، بل أبى إلاّ الركوب و(الكشخه) في هذه السيارة، فتقدما إليها وفتحا الباب، وهمّا بالدخول، والكرخي يقول للسائق: ـ يابه للمعظم ننطيك (روبيّة)[1]. فالتفت السائق الأنيق بكشخة وعظمة، وصرخ بهما: ـ ولكم! وين؟ إنزلوا، هذي (پراينت). فبهت الكرخي وسأل حبزبوز: ـ پراينت شنو؟ فأعلمه أنها (خصوصية)، فنزلا واعتذرا لحضرة البيگ، الذي أخذ يعربد ويقول: ـ وَيْ... وَيْ، يجون ويچيتون، عبالك سيارة أبوهم.

ـ يابه توهّمنا... هسّه ما صار شي، لكن نرجوك هذي مالت من؟

ـ هذي سيارة (ريجينه)!؟

فما كادا يسمعان الكلمة الأخيرة، حتى (شمّعا الخيط) نحو (باب المعظم) يفتشان عن (عربانه)، حيث وجدا واحدة (مطرطعة)، وفي الطريق، قال حبزبوز وهو في غاية التأثر والانفعال:

ـ والله يا كرخي، هاي ما لازم تفوت ببلاش!؟

ـ هاي شنو؟ والله لا أكتب قصيدة تهز الگاع، وإذا ما تصدّگ، هاك المطلع!

شفتي يا روحي الحزينه   الفخمه سيارة (رجينه)

ـ فلتحيا أبو نجم! أشوفك!؟

وفي أول عدد من جريدة (الكرخ) ظهرت هذه القصيدة الرائعة، إليكم مختارات منها:

شفتي يا روحي الحزينه   الفخمه سيارة (رجينه)[٢]؟

❁ ❁ ❁

شفتي سيارة الفخمه   بشارع (الميدان) ضخمه؟
بيها شاب اطويل رهمه   دگل يصلح للسفينه
هل سألتِ: لمن ترجع   وصادره من أي مصنع؟
فلوسها من أي منبع   نابعه، ومن أي خزينه؟
نابعه من فابريقه   هائله وخزنه عميقه
ومن معامل (أمَريقه)   عال مضبوطه، متينه

❁ ❁ ❁

و(الهرو)[٣]، بربع وعفرت   ياكل الجاج المجبرت[٤]
مع (العنبربو) مجّوت[٥]   يسرط الهبره السمينه[٦]

❁ ❁ ❁

قال الصحفي المرحوم عادل عوني، صاحب جريدة (الحوادث) البغدادية، والمحرر في جريدة (الكرخ) لفترة من الزمن وصاحب جريدة (الوحدة)، و(البعث) ومجلة (الحديث): ـ كنا مجتمعين عند طيب الذكر، شاعر العرب الأستاذ معروف الرصافي في داره بالأعظمية، وكنا نتحدث عن رجال العرب في ميدان السيف أو السياسة أو القلم، وقد طاب لي أن أسأله عن شعر الأمير شكيب أرسلان[*] فقال:

إنّه ثائر مجيد، وهو بحق أمير البيان، وقد جرت لي معه قصة، وذلك أنني منذ كنت أستاذاً في إحدى جامعات إستانبول، قبيل الحرب العظمى الأولى كتبت كراساً عن مشاهير أدبائنا ومنهم الأمير شكيب، فذكرت مكانته في النثر والإنشاء، ولم أذكر شيئاً عن شعره أو مقدرته في هذا المجال. وبعد صدور الكرّاس بمدة، وذلك في ساعة متأخرة من الليل منذ كنت راجعاً إلى بيتي، سمعت شخصاً يناديني باسمي، فاستطلعته فإذا هو الأمير شكيب، فعاتبني على ذكر ناحية النثر فيه، وإغفالي عن ذكر شاعريته وشعره، ثم أخذ ينشد لي قصيدة تلو القصيدة، وأنا أستمع إليه وبقيت أستمع وهو يستمر في الإنشاد، وكان البرد قارصاً في تلك الليلة، فرجوته الاجتماع به مرة أخرى للاستماع إلى جميع ما عنده من شعر، ثم قال الرصافي: إن شكيباً من فرسان البيان وهو أديب ألمعي، ولكن شعره دون نثره.

❁ ❁ ❁

كان الحديث يدور في مجلس الكرخي حول سوء اختيار دوائر الحكومة للموظفين وخصوصاً مربي الناشئة في المدارس عام ١٩٣٠، فروى للحاضرين هذه القصة الحقيقية:

كتب صديقي الناقد الفكه (حبزبوز) عن خطيب جامع اللقمانية الذي ما زال يعتقد بأنَّ السلطان عبد الحميد على قيد الحياة، ويدعو له في خطبة الجمعة، بقوله: (السلطان ابن السلطان، السلطان الغازي عبد الحميد خان... الخ).
وأضاف الكرخي: ولقد زرت قبل ثلاثة أيام مدينة (الفلوجة) فرأيت (ملا) من الملالي الصقعاء اسمه الملا عبد الواحد أبو الكُبّه، وهو يدور في الأزقة وحوله عدد من التلاميذ يردّدون ما يردّده من سخيف الكلام في معرض الدعاء للسلطان المقبور:

إلَــهــي! تــنــصــر الــســلــطــان	بـــ (طـــه) ســـيـــد الأكـــوان
يــهــل الــديــن والايــمــان	انــصــر عــســكــر الــســلــطــان
إلَــهــي! بــالــنــبــي أيــوب	طــه الــمــجــتــبــى الــمــحــبــوب
يــوســف والــنــبــي يــعــقــوب	انــصــر عــســكــر الــســلــطــان
الَــهــي! بــالــنــبــي جــرجــيــس	أجــرنــا مــن جــنــود ابــلــيــس
بــأهــل الــذكــر والــتــقــديــس	انــصــر عــســكــر الــســلــطــان
الَــهــي! بــالــنــبــي ذنــون	انــصــر عــســكــر الــســلــطــان

فسألت هذا الملا: مَن هو السلطان الذي تدعو له بالنصر؟

فأجابني: أگو غير سلطاننا عبد الحميد الگاعد على (الپاي تخت)[٧]؟

فضحكت وسألته ثانيةً: ـ هذا من نظمك، لو من نظم غيرك؟

فأقسم لي اليمين التالي المليء بالخرابيط والكفر والخلط:

ـ شوف ملا عبود، وحق سمّيك هيرون الرشاد (هارون الرشيد؟!) الذي قال الله بحقه (يا نار كوني برداً وسلاماً على موسى ابن عمران)؟! هذه القصيدة قيلت من زمن السلطان مراد، الذي جاب (جلب) طوب أبو خزامة! إلى بغداد.

وعند عودتي إلى بغداد قصصت هذه القصة على حبزبوز، وسألته:

هل سيرشح هذا العالم النحرير للتدريس في دار المعلمين؟

فأجابني: ـ بس شعبالك؟ عبالك بالعراق ماگو علماء فحول؟؟!

وحين سمع جلساء الكرخي ذلك، علّقوا على كلامه وهم يتضاحكون:

ـ عِيش وشوف!؟

❁ ❁ ❁

جرت هذه المحاورة الطريفة بين الكاتب الهزّال نوري ثابت (حبزبوز) وبين رفيقه الشاعر الكرخي حول نوعيات بعض نواب المجالس النيابية، الذين جيء بهم في بواكير الحكم الأهلي، وذلك في مجلس صحفي انعقد في إدارة جريدة (الكرخ):

ـ أهلاً أبو نجم! يابه هاي وين أنت[٨]؟

ـ بس أنت وين يا حبزبوز[٩]؟

ـ يابه ملا عبود! خلّي العتب على صفحة!؟ عندي نكتة هوايه حلوه[١٠].

ـ شنو؟ خلّي نسمع!

ـ كنت راجع بسيارة من (العمارة)، قبل ثماني سنوات، وكانت سيارتنا تحمل خمسة أشخاص من غير السايق، وهي تسير بسرعة متجهة نحو (الكوت)، إذ بثمانية رجال، أوقفوا السيارة وأخذوا يتوسلون بالسائق أن يركّبهم، ولكن أين يضعهم والسيارة (مقبطه)[١١]، فقال لهم: ما يخالف، لكن بشرط أن أضع كل واحد منكم في گوفيّه (شوال) وأشدّه من رقبته، ثم أشدكم كل أربعة في جانب السيارة من بره (من الخارج)، حتى تصيرون مثل الحِمِل!

فقبلوا بذلك، وفعلاً ربطهم إلى جانبي السيارة، وأنا أنظر إليهم وأضحك.

ثم سارت السيارة، ولم تمض ساعة أو أكثر حتى قابلتنا سيارة ضابط تفتيش الشرطة الإنكليزي، فأوقف سيارتنا وصرخ بالسائق.

ـ وِلك ليش شايل هل گد أوادم[١٢]؟

ـ (صاحب)! هذوله جِمِل[١٣]!؟

فأمسك ضابط التفتيش بلحية أحدهم، وهزّها ثم قال للسائق، هذا جِمِل؟

فقال له السائق بخبث: ـ إثبتهم أوادم، وآني رگبتي أرفع من الشعرة يا (صاحب)؟!

فضحك الصاحب! الإنگليزي وقال له:

ـ حقيقه مو أوادم، لو أوادم ما يقبلون هذا الحال.

ثم قال حبزبوز:

ـ شلون هل حكايه، ملاّ؟

فأجابه الكرخي:

ـ هذي شنو، عندي حكايه أضبط!

ـ شلون؟

ـ في عهد الأتراك كنت راجعاً من الكوفة إلى طويريج بالسفينة، يعني ـ مغرّب مو حدّار[١٤] ـ وبعد أن تحركت السفينة من الكوفة رأينا ثمانية أشخاص، يصيحون على صاحب السفينة فوقف وأخذوا يتوسلون إليه أن يأخذهم إلى طويريج (الهندية) فقال لهم:

ـ آني أركّبكم لكن بشرط أن تجروا السفينة، فقالوا له: إبشر! هذه مسألة سهله! وفعلاً جروا السفينة بالحبل (توليّه) من الكوفة إلى الهندية، ولما وصلوا شكروا صاحبها قائلين:

ـ الله يطوّل عمرك! هم زين وجبّتنا وركّبتنا[١٥]!

فعقّب حبزبوز على حكاية صاحبه الكرخي:

ـ هاي! هاي! خوش عقل.

ـ لا! راح إحكي لك بعد أضبط!

ـ شنو؟ واحد من هذولِ صار عضو في المجلس التأديبي؟

ـ هَيْ بارك الله! على هذا الذكاء!؟

ـ وبعد أضبط، واحد آخر صار نائب في المجلس النيابي!؟

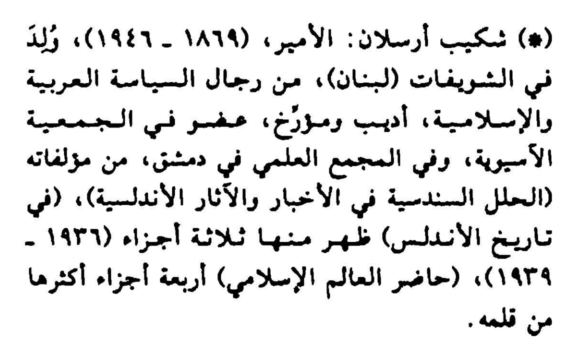
ـ عال! عال! بهذوله راح نحصل الاستقلال!؟

بس شعبالك(١٦) حبزبوز؟ ليش عبالك إحنه ما عندنا رجال؟؟

❀ ❀ ❀



شكيب ارسلان



(*) شكيب أرسلان: الأمير، (١٨٦٩ ـ ١٩٤٦)، وُلِدَ في الشويفات (لبنان)، من رجال السياسة العربية والإسلامية، أديب ومؤرِّخ، عضو في الجمعية الآسيوية، وفي المجمع العلمي في دمشق، من مؤلفاته (الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية)، (في تاريخ الأندلس) ظهر منها ثلاثة أجزاء (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)، (حاضر العالم الإسلامي) أربعة أجزاء أكثرها من قلمه.

هوامش

(١) الروبية عملة هندية تعادل ٧٥ فلساً، طرحت للتداول إبان الاحتلال البريطاني، أمّا العملة العراقية فقد طرحت في ١ نيسان ١٩٣٢ م.

(٢) ريجينه: أخت سليمه مراد (باشا)، وكان لها شأن أيام زمان، وكانت تمتلك وتدير معظم بيوت المبغى العام في (الميدان).

(٣) الهرو: السمسار، القواد الذي يعيش على الجذور.

(٤) المچبرت: الدجاج المقلي بالدهن، عفرت: بصيغة الماضي أي أصبح عفريتاً.

(٥) العنبربو: صنف جيد من الرز يميل لونه إلى الزرقة، فيقال له (مجّوت)، والچويت مادة زرقاء تضاف إلى الماء أثناء غسل البياضات لإزالة الصفرة منها.

(٦) الهبرة: قطعة اللحم الشِرِح المقطوعة من الفخذ.

(٧) الپاي تخت: العرش، الكرسي.

(٨) يابه: يا بابا.

(٩) بس: كفى، وهنا تعطي معنى (ولكن).

(١٠) هوايه: كثير.

(١١) مقبطة: كاملة الحمولة، أو العدد.

(١٢) وِيلك: ويلك. ليش: لماذا، وأصلها (لأي شيْ؟). هل گد: هذا المقدار.

(١٣) صاحب: كنية المحتل الإنگليزي. هذوله: هؤلاء.

(١٤) مغرّب: إذا سار بعكس اتجاه الماء، أمّا حدّار فباتجاه جريان الماء.

(١٥) وجّب: قام بالواجب أو نحوها.

(١٦) شعبالك: أي شيْ على بالك؟

كيف ولماذا نظم الكرخي (الطب العتيق)!؟ ـ الكرخي ومَن أشاع منعاه ـ محاورة باللغة الألمانية بين حكمت سليمان والكرخي

في عام ١٩٣٨ م نظم الشاعر الكرخي ملحمته الرائعة (الطب العتيق والمدرسة القديمة) وأذاعها من إذاعة بغداد، فأثارت استحسان الناس، وفي مجلس من مجالسه سُئِلَ عن مناسبة ودواعي نظمه لهذه الملحمة، فأجاب:

ـ كان في الزمن السابق ببغداد طبيب أصم يعالج كل الأمراض بدون استثناء، دواؤه عبارة عن سائل (مسهل) في (انجانة)، يعطي منه إلى جميع المراجعين من المرضى دون تفريق، بين مريض القلب أو الكلي أو الكبد أو الطحال أو الزكام أو ذوات الرئة أو الملاريا أو الديزانتري. . . الخ. فالدواء واحد، وهو الموجود بداخل تلك (الانجانة).

وصادف أن أعرابياً ضاع حماره، فدخل دار الطبيب وسأله:

ـ عمي! يرحم والديك، ما شِفت زمال دخل عندكم في البيت؟

أمّا الطبيب الأطرش فظن أنه واحد من المرضى، فناوله (دولكة)[1] فيها ذلك الدواء المسهل. فشربه الأعرابي ظناً منه أنه مشروب مفيد، وبالطبع فإنّه بعد أن شرب (الدولكة) أخذت بطنه (تشتغل)! فأخذ يدخل الخرائب التي في طريقه لإفراغ ما في بطنه، وبينما هو يدخل إحدى الخرائب وجد فيها حماره، فقاده وعاد إلى الطبيب لتقديم آيات الشكر والامتنان، ثم راح يقص قصته إلى الناس قائلاً:

ـ كل مَن يضيع زماله، خلّي[1] يروح عند الطبيب الفلاني!؟

ثم إن الكرخي قال لجلسائه:

ـ هذه القصة وكثير غيرها، التي تعكس مدى التأخّر الذي وصل إليه المجتمع العراقي أيام زمان، هي التي أوحت إليّ أن أنظم هذه القصيدة!؟ والقصائد الأخرى التي تعالج الخرافات والمعتقدات الباطلة.

❀ ❀ ❀

في أوائل عام ١٩٣٧ أشاع بعض الحساد وفاة الشاعر الكرخي، وكان آنذاك خارج بغداد، فلما عاد، صادفه في الطريق العام أحد الأصدقاء. ففغر فاه وأخذ يحدّق في وجهه حائراً متعجباً ثم سأله:

ـ عجيب هذا أنت! ملا عبود؟

ـ إي يابه! هذا أنا، خير إن شاء الله! شكو؟

ـ والله ماكو غير سلامتك! الحمد لله على السلامة!؟

ـ الله يسلمك، ليس أشعار؟

ـ يا أخي الناس (بيت بلا)، شيّعوا أنَّك مت!؟

فضحك من هذه الإشاعة الكاذبة التي روّجها الحاسدون، كما روّجوا قبلاً وفاة الشاعر الأكبر (المتنبي)، وأجاب صاحبه:

ـ إنَّ هذه الإشاعة ذكّرتني بموقف أبي الطيب المتنبي، وكيف أنه قال لما أشاعوا موته:

كم قد نُشرت، وكم قد مُتُّ بينكمُ ... ثم انتفضت فزال القبر والكفن

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وهكذا ترى يا صديقي، إنه لا يرحم إلاَّ مَن به ثمر، ثم ارتجل هذا المطلع:

(شاعت شائعة من بعض الِحثالات ... أن الكرخي بالبصرة توفي ومات)

بعدها بأيام نسج على مواله قصيدة رائعة طالعها وسمع بها الخاص والعام، فانهالت عليه قصائد وكلمات أعلام الأدب والشعر تشجب هذه الشائعة، وكان على رأسهم المرحوم معروف الرصافي الذي أنفذ إليه قصيدة رائعة أولها:

أعبود إنك ذو فطنةٍ ... تعيش بها عيش حرٍ سعيد

ومنها :

ولكنّ حسادك الخاسرين ... يبيتون منك بغيظٍ شديد
أشاعوا نعيك من غيظهم ... يريدون للشعر ما لا يريد
ولما تبين بهتانهم ... لدى الناس عادوا بغيظٍ جديد
فعش وادعاً رغم آنافهم ... بعمرٍ جديدٍ وعيشٍ رغيد

⊛ ⊛ ⊛

في أوائل كانون الثاني ۱۹۳۷ دخل الكرخي على المرحوم حكمت سليمان، رئيس الوزراء آنذاك في مكتبه وبعد السلام، كلّمه السيد حكمت سليمان باللغة الألمانية، لأنّه يعلم بأن الكرخي هو الآخر يجيدها منذ الحرب العالمية الأولى، فدار بينهما الحديث الطريف الآتي :

حكمت ـ ڤنْ كومن زِي؟ (أي متى جئتْ؟)(*)

الكرخي ـ گيسترن (أي أمس).

ح ـ فون ڤو؟ (أي من أين؟)

ك ـ فون الفرات الأوسط (أي من الفرات الأوسط).

ثم انقلب الحديث إلى العربية بعد أن تحدثنا طويلاً بالألمانية، عن مشاريع الري وغيرها، وأبرز ما قاله المرحوم حكمت قائلاً :

لقد عوّلت على أن لا أعطيها بيد الملتزمين وأنا (أريد هوسة مساحي، لا هوسة تفگ)[٣]، أريد العمل وسأشرف بنفسي، ولا أريد التظاهرات التي لا جدوى منها.



(*) ڤن: متى. كومن: أتيت. زي: أنت. فون: من. ڤو: أين.

هوامش

(١) دولكه: منشل.
(٢) خلّي يروح: دعه يذهب.
(٣) مساحي: جمع مسحاة، التي يستعملها الفلاحون في حفر أو تقليب تربة الأرض. تُفَگ: جمع تفكه وهي البندقية.

جريدة (زوراء) وشعار (الأمن مستتب) انكسرت يد (الشاوي) فارتفع عنه التكليف ــ مجلس أدب في دار أكرم أحمد

من ذكريات الكرخي عن العهد العثماني، التي رواها لقرائه، هذه الرواية:

«كانت جريدة (زوراء) تصدر ببغداد في العهد العثماني باللغتين العربية والتركية، وكانت تحلي صدرها بعبارة (آسايش بر كمال) ومعناها (الأمن مستتب)، شأنها شأن كل الصحف التي كانت تصدر في العصر الحميدي، ولو كان في البلاد أعظم الفتن، إشارة إلى أن الأمن والراحة والطمأنينة ضاربة أطنابها، وكانت تستعمل عنواناً لعبارة مفرغة تُكرّر في كل عدد. أمّا ما كان يجري من حوادث السلب والنهب وقطع الطرق وإزهاق الأرواح كل يوم، وأما ما كانت تفعله (الشقاوات) التي اتخذت المقلع (باب الطلسم)[1] مكمناً لها من أمثال (طه ابن الخبازة، حسين شيّالة، عبيد النگّاب (الحمّار)، علي الحمزة، ظاهر أبو طيور، قدوري ابن جراد، عيسى العبوسي، حسن ابن أبو الجمار، شاولي الكردي وغيرهم، فحدّث ولا حرج، وكذلك الأشقيائية الذين تحصنوا في المنطگة (جامع براثا) بالكرخ من أمثال عباس السبع، مهدي كچل، شلال، ذبّاح، شبيب، عافص، نايل، ساهي، لاهي. ومثلهم كانوا في منطقة الكاظمية، منهم حسن چبريت، عباس عزيزة، عباس عدّولة، حسن محلاتي، خليل بارود، تقي كچل، محمد أبو الجاموس وغيرهم. بالرغم من كل هذا تطلع الجريدة علينا يومياً بهذا الشعار الكاذب. (ماكو شي) ـ ما زال الكلام للكرخي ـ غاية ما هناك أن الناس يعودون من المغرب إلى بيوتهم، (وشحّد اليطلع لباب الشرجي أو باب المعظم).

هكذا كنا نعيش في العهد العثماني المقبور يا إخوان، فاشكروا الله على كل حال». أ. هـ.

والحديث عن شقاوات بغداد يقتضينا القول إن العرب منذ جاهليتهم يطلقون كلمة (فتى) على كل من تحلّى بالشجاعة الأدبية، وأداء الأمانة، وقرى الضيف وحماية الجار وغيرها من الصفات التي تبرز مكارم الأخلاق. قال طرفة ابن العبد في ذلك:

إذا القوم قالوا: مَن فتىً؟ خلت أنني عُنيت فلم أكسل ولم أتبلّدِ

والفتى في الإسلام امتدادٌ لها، قال الرسول الأمين في فتى الإسلام الأول:

(لا فتى إلاّ علي ولا سيف إلا ذو الفقار).

وقد برز (الأشقيائية) في بغداد إبان الحكم العثماني، حيث وقفوا في وجه السلطة بضراوة وعنف وعارضوا أسلوب الحكم باستعمال القوة والسلاح بأمل تقويض دعائم ذلك الحكم، فقد عمدوا إلى عمليات قطع الطرق بوجه القوافل الحكومية القادمة من الآستانة وهي تحمل رواتب الموظفين. وممن اشتهر من الأشقياء عهدئذ: عمران الشبلاوي وعباس السبع وطه ابن الخبازة وصالح ابن الدهان ووحيد المصري وإبراهيم الحوراني ومموّدي والحاج شاكر الخياط وأحمد قرداش وقدوري وإبراهيم ابن عبدكة وغيرهم، وقد قضى معظمهم نحبه قتلاً.

إلاّ أن بعض مَن مارسوا (الشقاوة) فيما بعد، خرجوا عن تلك المثل والصفات وأخذوا يمارسون أعمالاً اعتدائية غير قانونية، لا تمت إلى الفتوة بل حتى إلى شقاوات أيام زمان بصلة. ولا بد من ذكر الشقي إبراهيم الحوراني، مثلاً من أشقيائية بغداد أثناء الاحتلال البريطاني للعراق وكيف أنه قاوم هذا الاحتلال وأوقع المحتلين في مآزق حرجة، حتى قرروا إعدامه شنقاً في ساحة (الميدان) ببغداد إمعاناً في إذلال البغادّة، وعندما جيء به إلى منصة الإعدام ووضعوا الحبل في رقبته، وقف غير خائف ولا هياب وأنشد يقول:

شقاويّ ضوُّجت خلگي وعمري طال من كثرة قطع الجماجم والدما هطال
الحبس لي مرتبة والقيد إلي خلخال والجنّبه يا (علي) مرجوحة الأبطال

ولا شك إن استجارته بالإمام علي (ع) دليل على ما كان يعمر فؤاده بفتوة

أوقفته فتىً في وجه الاستعمار. (أنظر شقاوات بغداد في العصر الماضي للأستاذ يونس سعيد البغدادي ـ ١٩٦٢ م).

إلاَّ أننا وجدنا في مجلة (لغة العرب) لسنة ١٩٢٨ م للمرحوم الكرملي حول (مرجوحة الأبطال) ما يلي:

«ذكر صاحب جريدة (الزمان) بين يدي الزهاوي شاباً غض الإهاب أمر بشنقه جمال باشا السفاح، وكان أوّل عبارة خرجت من فم المحكوم عليه: (إذا كان لا بد للإستقلال من أن يشيد على جماجم الرجال فمرحباً بكِ يا أرجوحة الأبطال)، ويمثل هذه الفكرة تقدّم إلى عود المشنقة (عمر حمد) الذي مضت كلمته مضي المثل، فأخذ (زهاويّنا) هذه العبارة وأفرغها في قالب بديع المعنى والمبنى، قال:

فيكِ اهتز فارحاً بالمعالي ... مرحباً (يا أرجوحة الأبطال)
إن في الموت للبقاء جلالاً ... أنتِ تعلين بي لذاك الجلال
ارفعيني إليكِ ثم ذريني ... أتدلّى معلقاً بالحبالِ

والقصيدة من (٢١) بيتاً.

❁ ❁ ❁

روى لي والدي شيئاً من ذكرياته قبل وفاته ببضع سنين وبحدود عام ١٩٧٠ م قال:

سمعت بأذني، هذه الرواية الحقيقية من لسان المرحوم عبد المجيد الشاوي، حينما كنت أتردّد على مجلسه صحبة والدي الكرخي:

قال الشاوي لوالدي: أعدت الحكومة العثمانية في أيامها لائحة شديدة الوطأة على بعض العناصر التي يتألف منها المجلس النيابي التركي، يوم كان الاتحاديون هم الأكثرية في المجلس والحكومة منهم... وكلما سنوا قانوناً أو أعدوا لائحة أو ميزانية، وعرضوها على المجلس، لا بد أن تصدّق، مهما كانت مجحفة بحقوق الشعب، والذي يعارضها من الأعضاء يكون نصيبه التهديد بأفواه المسدسات، وفي تلك الأيام كنت نائباً عن (العمارة) في هذا المجلس، ولما بلغني خبر هذه اللائحة أصبحت في موقف حرج، إذ ليس بإمكاني معارضتها، ولا بد أن أربع يدي بالموافقة مع بقية الأيدي حينما تعرض على المجلس، كما أنني في الوقت نفسه لا أتمكن من أن أخون ضميري فأوافق على اضطهاد

الشعب، فصرت أفكّر بالتخلص من هذا العبئ الثقيل، الذي لا يحتمل كل مَن له ضمير يحاسبه.

وبينما أنا أرتقي سلم السراي في إستانبول، وفكري مشغول بهذه اللائحة المشؤومة، إذ اصطدمت بأحد الفرنسيين في أعلى السلم عفواً، وسقطت متدحرجاً حتى وصلت الأرض فانكسرت يدي اليمنى، ونقلتُ على أثرها إلى المستشفى، ولما بلغ الخبر أصدقائي، جاؤوا لزيارتي للاطمئنان على صحتي، وكان من جملة الزائرين رئيس المجلس النيابي وكان تركياً اتحادياً (طبعاً) واسمه خليل بك ـ على ما أتذكر ـ وصار يلاطفني ويخفف عني آلامي، ودار بيننا الحوار الآتي:

ـ دفع الله ما كان أعظم، ما بيك إلاّ العافية!

ـ أشكرك يا أخي، زين صار انكسرت إيدي، وأنا الآن مرتاح وسعيد.

ـ العفو! ليش كنت تتمنى أن تنكسر إيدك ساعة أقدم.

ـ معلوم يا أخي، لأنَّ الآن انرفع عني التكليف!؟ يعني قابل أرفع رِجلي أثناء تصديق لائحتكم؟ فاليد التي أرفعها انكسرت!

ـ ولكن اللوائح يجب أن تصدّق حتى إذا تكسّرت الجماجم.

ـ وأنا شعليّه![٢] ما دام ضميري أصبح مرتاح!؟

وبعد أن أنهى المرحوم الشاوي روايته، قال لجليسه المرحوم الكرخي:

ـ دير بالك عالرَبُع، تره هالشنگة[٣] من نفس العجين!؟ بس ذوله نوابنا أفضع من ذولاك، فبعضهم يلزم (التلفون) ويگول للحكومة: (موافق)، ويده ـ وهو في بيته ـ مرفوعة إلى فوق!؟

❀ ❀ ❀

في مساء الأحد ٢٩ آذار ١٩٣٣ زار الكرخي ونخبة من أصدقائه، شاعر الشباب أكرم أحمد في داره ببعقوبة، وكان آنذاك مديراً لتحريرات لواء ـ محافظة ـ ديالى، وهم الأساتذة معروف الرصافي، ونوري ثابت وعبد القادر المميز وأحمد القايمقچي، وشفيق سلمان ومحمد الچوخدار ورؤوف الجبّاري، وباتوا ليلتهم في داره، وطبيعي أن مجلساً يضم هؤلاء الفطاحل لا بد وأن يكون غاية في الظرف والأدب والفكاهة، وحين سمع بقدومهم كبار الموظفين من الأصدقاء هرعوا لزيارتهم، ومنهم حسن سامي التاتار، نائب رئيس المحاكم، وحفظي

الملى، الحاكم، وغيرهما من وجهاء البلدة، فقضوا تلك الليلة في أنس وطرب حتى الصباح، فتناول (حبزبوز) العود، و(المميز) القانون، وابتدأ (التقسيم)، وإخراج النغم، وأخذ الحضور يرددون مختلف (البستات) والطقاطيق والأهازيج الشعبية، بعدها طلبوا من الكرخي أن يقرأ لهم شيئاً من شعره، فقرأ لهم عدة قصائد كان من أبرزها القصيدة الشهيرة:

(مات اللمبچي داود وأرسومه   تعالوا دا انعزي اليوم فطومه)

وغيرها من القصائد والقطع الشعرية الفكاهية والمكشوفة التي كان الأصحاب يلحنونها على ضرب العود والقانون. وبين حين وآخر كانت تروى النكات والطرائف والفكاهات المستملحة. وفي نهار يوم الاثنين عاد الجميع إلى بغداد وهم يرددون مطلع القصيدة الي نظمها الكرخي في وصف هذا المجلس الأدبي وهو:

مجلس عامر امنظّم   بدار الأريحي (أكرم)

وكان منها:

كنا جملة الزوار   نتحدث عن الأطوار
ونتناقش على الأشعار   و(سياسة) فلا نتكلم!؟
ليله معمّره كانت   وبإخواننا ازدانت
عنّا كل حِزن زالت   ولا تِرْكت لنا كل هم
شربنا بارد السلسال   ومأكولات عال العال
بوذيّه ونايل وموّال   بشِعْر ونَشر نترنم
والحاصل المجلس كان   يضم الشاعر وفنّان
رجال ونخبة الأوطان   الكل من عِنْدهم مُكرم
كنا الحق جمعيه   عرب خُلّص نزاريه
وبعد كُثره أفنديه   مجلسنا الموقّر ضم

❀ ❀ ❀

وبالمناسبة نقول إن الزيارة كانت في اليوم الأول من عيد الفطر المبارك.

هوامش

(١) باب الطلسم، هو المعروف أيام بني العباس بـ (باب الحَلْبَة)، اتخذه الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى مذخراً لعتاد جيشهم، وعند انسحاب هذا الجيش، نسفه في شهر آذار ١٩١٧ م، وكان على باب الطلسم الذي يرتقي إلى سنة ثماني عشرة وست مئة للهجرة (١٢٢١ م) نقش يتضمن اسم الخليفة العباسي الناصر لدين الله، ويزين عِقد ذلك الباب نقش بارز يعتبر من أحسن الأمثلة المعروفة للنحت، وموضوع النقش يمثل الخليفة وهو جالس على جانبيه تنينان قد انعقد جسم كل منهما، وتكسو الأرضية زخارف التوريق الدقيقة الجميلة.

«صورة مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ـ ميخائيل عواد ١٩٨١ م صفحة ٢٦».

اسايش: كلمة مشهورة، تركية الأصل، وقد اشتهرت في العصر الحميدي لكون أصحاب الصحف كانوا مفطرين إلى استعمالها ولو كان في البلاد أعظم الفن، ومعناها الأمن والراحة، وكانوا يجعلونها في صدر كل عدد من أعداد صحف الأخبار، إشارة إلى أن الأمن والراحة والطمأنينة ضاربة أطنابها في البلاد وفي قلوب العباد، وكانت تستعمل عنواناً لعبارة مفرغة يكرّرونها في كل عدد. مجلة (لغة العرب)، العدد الثامن/ شباط ١٩١٣ صفحة ٣٦٧.

(٢) شعليّه: أي شيْ عليّ.

(٣) الشنگه: الفسقة التي يمدها الخباز على شكل رغيف.

لكل فولكلورية أصل (شمّع الخيط) ـ هل نظم الكرخي الشعر الفصيح؟ ـ المنضدة ذات القرون الأربعة!!

تبادل الكاتب الفكه (حبزبوز)، والشاعر الكرخي، النكات، فابتدأ حبزبوز بشرح أصل العبارة الفولكلورية (شمّع الخيط) قائلاً:

ـ مرَّ (أبو ربيع) ممن يتعاطون بيع وشراء الملابس العتيقة، من أمام دار (الحاج أحمد آغا)، فأراد الآغا أن يضحك عليه فناداه:

ـ تعال وِلك خوجه! سوّيلي ساخنه يهودية!

ومهما حاول الخوجة أن يعتذر ولكن بدون جدوى، حيث أصر الآغا، فقال له الخوجة: ـ تؤمر آغا! لكن جِيب لي خيط طويل وشمع عسل!

فأمر بإحضار الخيط والشمع، فحضر، ثم قال الخوجة للآغا:

ـ دير وجهك على الحايط والزم الخيط بيدك وأنا أشمّع وأمشي، وشوف بعدين شيصير!؟

ففعل الآغا، أمّا الخوجة فأخذ يشمّع الخيط ويمشي إلى الوراء قليلاً قليلاً حتى وصل إلى الباب... ربط الخيط بالباب وأطلق ساقيه للريح، والآغا ينتظر.

فضحك الكرخي، وقال لزميله حبزبوز: سأحكي لك طريفة واقعية، بعد اقمش من هذي:

ـ كان لـ (مومن معمم) عادة الذهاب في كل سنة إلى قرية من قرى الفرات الأوسط، وهناك يقصد دار أحد وجوه القرية، يدعى (طريطش) ويقيم عنده ما يقارب الشهر، وبعد أن يستلم (معتاده) من المذكور يعود إلى أهله.

وفي إحدى السنين، وبينما هو في ضيافة (طريطش)، رزق بولد أسماه (دلو) فعزم (المومن) أن يؤرّخ مولده بأبيات من الشعر، فنظم هذه الخريدة العصماء، وإليكها بالنص يا أبا ثابت:

خذ القوافي كالأباعر هَدَدْ تمضي وتأتي الأرشام وعُدَدْ

عاد بـ (طريطش) الوائج بالصمد سرّني مولودك اليوم وقد[1]

أرتجي تاريخه يا محترم

الذي يبغضكم مصخّته وبـ (مقوارٍ) لقد فشّخته

قلت: هذا رجلٌ ضرّطته قال: تقدر، قلت: قد أرخّته:

بالجليل ابنك (دلو) فليعتصم

❀ ❀ ❀

الشاعر الشعبي المرحوم الكرخي، كان قادراً على نظم الشعر الفصيح، وله مقاطيع عديدة في هذا المضمار ولكنه فضّل النظم باللهجة العامية لأنَّها ـ برأيه ـ أقدر من الفصحى على إيصال أفكاره إلى أذهان الناس.

ومن تلك المقطوعات، هذه، التي نظمها مؤرخاً تشييد صديقه الوجيه المرحوم عبد الكاظم الشمخاني قصراً فخماً في العشار على ساحل شط العرب، وقد نشرت في جريدة (الكرخ) عام ١٩٣٣:

قصرٌ عليه للمعالي بهجة قد شيدت أركانه المفاخرُ

السعد والإقبال في أبوابه وملؤه الأفراح والبشائر

بـ (كاظم) أشرف نوراً فاغتدت تُجلى به الأبصار والبصائر

بأهل شط العُرْب إذ جاوره ببحره (الكاظم) وهو زاخر

فلتفخر (البصرة) يُمْناً إذ بها أرّخ: بدا للجود قصر فاخر

١٣٥١ هـ

ومن منظوماته أيضاً قصيدة ظريفة داعب بها صديقه كاظم الفنهراوي، جاره في محلة باب السيف، وجليسه في مقهى البيروتي، وهو ابن عم والد الفنان المعروف أسعد عبد الرزاق (عميد أكاديمية الفنون)، كان مطلعها:

من (فنهره)[٢] جاء فتى | يُبشّرُ: الماءُ أتى
ننتظرُ إلى متى؟ | خيرَ الربيع الأخضرِ
الخ ....

❁ ❁ ❁

وصف الكرخي زميله نوري ثابت (حبزبوز) بأنَّ له طرائف قد يأتي عليها زمان، يضرب الناس بها الأمثال، فهو إنْ حَضَرته النكتة لا يفوّتها ولو كلفته مالاً، أو ما هو فوق المال. وآخر ما وقع له وهو في (السليمانية) أنه رأى منضدة عجيبة من خشب الجوز، قوائمها عبارة عن أربعة قرون طويلة شامخة من قرون ماعز الجبل الوحشي، وما إن وقع نظره عليها إلاً ووقف، وكرّر البيتين الشهيرين من قصيدتي المكشوفة التي أولها:

هنيئاً لكْ يبيگ أشهد فحل رجّال | بـ (فطومه الصُمَنْچي)[٣] تزوّجت في الحال

❁ ❁ ❁

أهنيّ حَضرِتَك يا بيگ يـ (براهيم) | يا اللّي على العفّه وعالنجابه امقيم
بهذي الحركة أدعيلك أن ايديم | هذا الفرح حيث أنت جَسِر فعّال
ذِكِر خلّدت لك من بعد حين وحين | حيث انّك چبش راهي الگرون امتين
من حضرتكم أدعو أن يجون ابنين | ومنها انشاالله كل الرزق والمال

أمّا الأبيات التي ردّدها حبزبوز من هذه القصيدة فهي:

شدعي عالزمان امتين إجاك البين | خَلّه البيگ يتنعّم وياكل زين؟
انت في زمانك چان الك (گرنين) | هذا أربعه ومشندخات طوال

قال ذلك ودفع ثمن المنضدة، وجاء بها إلى بغداد، وفي اليوم الثاني من وصوله دخل إدارة الجريدة، ووراءه حمّال يحمل المنضدة، ووضعها أمامي - الكلام ما يزال للكرخي - قائلاً:

تفضّل يا أستاذ! لقد لبّى نجار السليمانية رغبتك التي أعلنت عنها في شعرك، فهذه المنضدة ذات القرون الأربعة الطويلة أمامك، وهي هديتي لك تضعها فوق رؤوس البعض إذا تحرّكوا أقل حركة تستوجب ذلك.

فتقبلتها منه شاكراً، وها هي حاضرة تنتظر رؤوس المستحقين.

❁ ❁ ❁

هوامش

(١) الوائج: الواثق. ونضيف أن المومن هذا قال له مهنئاً: وحق سميّك علي يا طريطش يا خوي آنه هوايه فرحت بالمولود، فراحت مثلاً سائراً في الجنوب،

(٢) فنهرة: قرية اشتهر أهلها بفتل حبال السفن وغيرها.

(٣) إبراهيم الطنبوري، آلاتي، يعزف في مراسح بغداد قديماً، وكان يعشق الغانية الشهيرة فطومة الصمنچي لجمالها المفرط، إلاّ أنها كانت متزوجة من (السمسار) المعروف، داود اللمپه چي، وصادف أن توفي ولمّا يمض معها اللمپه چي غير فترة قصيرة من الزمن، فاستغل الطنبوري هذه الفرصة المواتية وأسرع في الزواج منها، قبل انتهاء فترة - العِدّة - كما يقال. وحيث إن الشاعر الكرخي، يبحث دائماً عن مفارقة، أو عن حدثٍ شاذ، ليكون موضوعاً لقصيدة جديدة، فقد نظم واحدة في رثاء (داود اللمپچي) وأخرى في تهنئة إبراهيم بك الطنبوري، فكانتا من أروع ما نظم في الشعر المكشوف الساخر، وقد انتشرتا في بغداد الثلاثينات انتشاراً عجيباً بحيث حفظها عن ظهر قلب كل محبي شعره، ولدرجة أن مقاطع منها لحنت وأملئت على أسطوانات، وممن غنّى هاتين القصيدتين في إحدى الجلسات الإخوانية، المطرب الراحل المرحوم يوسف عمر، وإنهما ما زالتا على ألسن الكثير من الناس ولحد الآن، ومسجلتان على شريط (كاسيت) ينتقل من يد إلى يد بصوته.

أعمدة الكهرباء وتسقيف بغداد!؟ـ المراحل الأولى من حياة الكرخي ـ مساجلة شعرية بين صديقين ـ المولى يداعب العزاوي

روى المرحوم الكرخي هذه الطريفة لجلسائه:

ـ لم يكن أهالي بغداد يعرفون شيئاً عن الكهرباء، فقد كانوا لأحقاب طويلة يستعملون وسائل الإضاءة البدائية كالشموع والنفطيات و(الآويزات) والفوانيس، ولاسيما في العهد العثماني (المظلم)، وحين تشكل الحكم الأهلي في العشرينات من هذا القرن، فكّر المسؤولون في إدخال الكهرباء إلى بغداد.

وفي صباح أحد الأيام خرج الناس إلى أعمالهم فوجدوا أعمدة الكهرباء تثبّت في الشارع العام الذي هو (جادة خليل پاشا) والذي أصبح اسمه فيما بعد (شارع الرشيد)، ومن أطرف ما شاهدته آنذاك، أن اثنين من بسطاء الناس تجادلا ثم تشاجرا، وهما في حيرة من أمر هذه الأعمدة المتباعدة، المنتصبة على جوانب الشارع، فقال الأول:

ـ شنو فكرك بهالعواميد الدينصبوها ذوله؟ (ذوله: هؤلاء).

فأجابه رفيقه:

أظن فكرهم، ديسوّون مراجيح للعيد!

فقال له الأول بتهكم وسخرية:

ـ لا يا صقيع على هاللغوه المكسّرة!

فرد عليه رفيقه:

- بس لويش ديشچخوهن، أشو انت گول؟ (شَچَخ: ركز).

فأجابه الأول بلهجة العالم الفهّامة!:

- دتشوف هالحبال الديربطوها بروس العواميد؟ القصد منها يشرّون عليها هدوم (العسكر) إذا توصّخت وغسلوها!

فسخر منه صاحبه وهو يقول له:

- يَوَل! ليش ما تبدّل عقلك بست ادراهم بزر الچتّان؟ عند العطّار مو أحسن لك؟

وثار بينهما الصياح والصراخ حول هذه المعضلة الخطيرة، ونشب بينهما العراك، حتى جاءهما أحد أفراد الشرطة، وبعد أن حاجزهما سألهما عن سبب الشجار، فعرض كل منهما رأيه على الشرطي.

وعند ذلك تصدّر جناب الشرطي الفاهم، فقال لهما:

- بابه! إلى متى تظلّون أنتو همج، رعاع، ولكم العالم اتمدنت، وإحنه إلى هسّه ما نعرف هالعواميد لويش دينصبوهن؟ لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم! يگلّك ليش ما نترقّه؟!

فأخذ المتخاصمان ينظر أحدهما في وجه الآخر، ثم سألاه بلهفة:

- باش (وهذه كنية الشرطي أيام زمان) الله يطوّل عمرك، بس لويش هاي دينصبوها، ما تفهّمنه وأجرك عند الله ما يضيع؟

وبعد أن انتفخ جناب الباش قليلاً، وفتل أطراف شاربه الطويل قال:

- هاي العواميد دينصبوها حتى يسگّفون الولاية (بغداد)، لإنقاذها من المطر والطين، والحر والبرد!!؟

فيا جماعة - القول للكرخي - إن بعض المسؤولين في الدواوين لا يختلفون أبداً عن هؤلاء الجهلاء، في حين أنهم يدّعون العلم والمعرفة، وكم من مرة نبهناهم أن يكونوا أهلاً لتحمل المسؤولية، ولكنهم كانوا يزعلون وكأنّنا اعتدينا على كرامتهم وامتهنّا مقامهم. وهكذا ترون يا إخوان أن موقف هؤلاء الزعلانين من المنورين! - الله يجرّم - لا يختلف كثيراً عن موقف ذلك (الباش) الذي يدّعي المفهومية!؟



قال الكرخي لصديقه عبد القادر المميز، صاحب جريدة (أبو حمد)، إن ترجمة حياتي التي نشرتموها في جريدتكم، تحتاج إلى بعض التصحيح يا أبا غازي!

فأجابه:

ـ العفو! (أبو نجم)، أنت أدرى مني بتاريخ حياتك ولا شك، ولكنني حين كتبت، لم أتطرق إلى التفاصيل الدقيقة، فأرجو أن أسمعها منك!؟

ـ في أول نشأتي، وعندما كان عمري (١٢) سنة كنت أتاجر بالجمال، وأسافر بين بغداد والشام، وقد عيَّن لي والدي معلماً يعلِّمني القراءة والكتابة، بعد أن تعلّمت مبادئها في الكتاتيب. وكان المعلم يرحل معي في مختلف سفراتي التي امتدت من الشام إلى مصر، وكل ذلك على ظهور الجمال التي تعود لوالدي. وكنا نسكن مع البدو الرُحّل في الصحارى والبوادي لشراء الإبل، وبعد ذلك أصبحت لدينا عدة (ساگات) أباعر. فصرنا نتولى حمل البضائع من أصفهان إلى سوريا وفلسطين وسواها على ظهور الجمال.

حتى إذا ما بلغت الخامسة والعشرين من العمر، دخلت معترك حياة جديدة، فاشتغلت بثروة والدي في التزام البساتين التزامات واسعة، شملت بعض المقاطعات.

ثم اشتغلت بعد ذلك بابتياع الأغنام من لواء الدليم، ومن البدو الرُحّل وبيعها في سوريا، وكذلك اشتغلت بتجارة الصوف والدهن، وغير ذلك.

ثم اشتغلت في مهنة (العلوچية) فاستأجرت (علوة) في الشورجة وعملت فيها لعشر سنوات، ثم بعد ذلك تولّيت مديرية شركة العربايْن، التابعة لبيت (عارف آغا)، وهكذا تسلسلت حياتي يا أبا غازي، والبقية معروفة، وكما كتبتها في جريدتك.

ـ شكراً أبا نجم وأرجو أن لا تزعل!؟

❀ ❀ ❀

كان مقر (جمعية الشبان المسلمين) في الأربعينات والخمسينات ملاصقاً لمبنى دار الإذاعة في الصالحية، تحيطه حدائق واسعة، تنتهي بساحة للتنس، وكنا ـ ونحن طلاب ـ نقصده لغرض الدراسة، بموافقة خاصة من الهيئة الإدارية، ولاسيما في أيام الامتحانات، لتوفر الجو الهادئ ، وجمال المكان، الذي لا

يتوفر في المقاهي، إضافة إلى أن ارتيادها، ونحن في سن مبكرة، وفي مجتمع محافظ، غير مقبول عهدئذٍ، ولهذا أخذ هذا المقر يستقطب الكثير من طلاب محلات وأطراف الكرخ، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر السادة يوسف العاني، أسعد عبد الرزاق، سالم الآلوسي، حارث طه الراوي، سعد مصطفى الدرة وإخوانه وأولاد عمه، عبد الوهاب الشيخلي، فهد المولى، جواد كاظم لطيف، أحفاد الشاعر الكرخي، كمال محمود الجودي وإخوانه وأولاد عمه حقي وعبد الرحمن، خالد الضاحي، عبد الهادي النقاش، محمد علي أحمد، خضر عباس الصالحي، كاظم نجاتي، إبراهيم محمد جواد، فالح القصاب، طارق الشاوي، كاسب السعد، كامل عبد الجبار شريدة، أكرم الخضار وشقيقه مصطفى، وجاسم محمد الجواد، عبد الصاحب الموسوي، إبراهيم النجار، داود السعيدي، عبد الوهاب سلوم، عبد الحميد المحادي، عبد الصاحب الريس وغيرهم، والذين أصبحوا فيما بعد نجوم المجتمع، في الفن والشعر والحقوق والطب والهندسة... الخ. وكنا بعد الانتهاء من دروسنا وتحضير واجباتنا، نتحلق حول الموائد، ونبدأ في تبادل الطرائف والأفاكيه وقراءة الشعر، فتتحوّل الجلسة إلى منتدى أدبي، وكم سمعنا من بعض زملائنا الشعراء، مداعبات شعرية شائقة أحسب أنها جديرة بالتسجيل.

أذكر مرة أنَّ الأستاذ فهد المولى المحامي داعب صاحبه وصديقه الأستاذ جواد كاظم لطيف المحامي بأبيات لطيفة يحضرني منها:

الهوى والجمال أودى بعقلك	يسّر الله يا (ابن كاظم) أمرك
تيّمتك الخدود وهي ورودٌ	وبغمز اللحاظ ضيّعت رشدك
بين ريمٍ مرجرج الردف حلوٍ	مُتّ في الشوق عظّم الله أجرك
ورشاءٍ كَأنَّه غصن بان	حيثما مال، مال بالحث قدّك
وغزالٍ يفوق حسن الغواني	سحره أنفد العشية صبرك

فأجابه الأستاذ جواد بمقطوعة طريفة أذكر منها:

إن صديقنا (فهد)	بنعمة الحب جحد

وبالمناسبة أقول أن الأستاذ فهد المولى، أديب وشاعر واخز، ثم إنَّه حقوقي ضليع، ولكنه لا ينظم الشعر لغرض النشر، أو على الأقل لغرض الجمع، بل للتفكهة، وفي المناسبات الإخوانية فقط.

روى لي الأستاذ محمد فائق الملا خوثي، وهو أديب ذواقة، يميل إلى

الظرف ويهوى النكتة، والشعر والأدب، قلت، روى لي العديد من طرائف ونكات الصديق (المولى) التي جرت له مع صديقه المرحوم عباس العزاوي المحامي[1]، منها أنه داعبه في بضعة أبيات عامية، استهلها بهذين البيتين:

مـــالـــك يـــبـــعـــد چـــلاي نـــايـــم ونـــاحـــل[2]
لـــو مـــثـــل مـــال الـــنـــاس مـــا طـــلـــع (فـــاضـــل)

❀ ❀ ❀

ومن طريف ما يرويه الأستاذ عبود الشالجي ـ طيّب الله ثراه ـ قال: «وكنا نمازح أستاذنا عباس العزاوي ـ رحمة الله عليه ـ ونعيّره بخنس في أنفه، ونسمّيه عباس الكسيف، وفي يوم من الأيام أبصرت المحامي محمد جواد الخطيب في غرفة المحامي جالساً بين المرحومين عباس عبد اللطيف البلداوي، وعباس العزاوي، فكتب إليه في رقعة صغيرة بيتين من الشعر، وسلمت الرقعة إليه، وفيها:

إنـــي رأيـــتـــك جـــالـــســـاً فـــي مـــجـــلـــس حـــلـــوٍ ظـــريـــف
مـــا بـــيـــن (عـــبـــاس الـــلـــطـــيـــف) وبـــيـــن (عـــبـــاس الـــكـــســـيـــف)

فاغتاظ أستاذنا ـ رحمه الله ـ وقال: هذه أبيات معدّة يريد أنها ليست بنت ساعتها.

أقول: كان الأستاذ العزاوي آية من التجرّد، والاستقامة، ونظافة اليد، وطهارة الذيل، كما كان آية في الدأب على اكتساب المعرفة ونشرها... الخ».

وتحت باب (مَن حبك لاشاك)، وفي مجلس إخواني، شاركت، وصديقي الأستاذ كمال الجودي في نظم أبيات على لسان صديقنا الأستاذ جواد كاظم لطيف المحامي، وهي من الشعر (الحلمنتيشي) المطعّم بكلمات عامية، تقبلها منّا بصدر رحب وبروحية الرياضي، منها:

لـي فـي جـمـالـكِ تـرتـيـلٌ وإنـشـادُ أنـتِ الـرجـاء ولـلآمـال إسـعـادُ
يا (ظبية الجسر) ما حنَّ الفؤاد إلى مرأىً كمرآكِ فيه الشوق يزداد

هـام الـفـؤاد ولـم يـتـرك لـنـا جَـلَـداً سوى الدموع، وهل للحزن تعداد؟
ذوّبتَ قلبيَ في (پيپ الغرام) كما يـذوّب (الـچـلـگ الآهـيـن) حـداد
فعدت رغم الذي لاقيت أنشدها هذا قليلٌ، وما في الحب إجهاد
رميت (نتالتي) كيما أصيد بها (بزّاً) ولم أدر أن (البز) يصطاد
صارعت قلبي لعلّي واجد أملاً إلى الوصال، فكان اليأس يرتاد

وعدت أسأل حظّي، أين لي أملي قد ضيّعته مع الأيام بغداد
وجدٌ شديد وحبٌّ جارف أبداً ومدمع بجحيم الحب وقّاد

❀ ❀ ❀

هوامش

(١) النص الأصلي غير هذا.

(٢) العزاوي هو عباس بن محمد بن ثامر بن محمد بن جادر بن بايزيد، ينتمي إلى قبيلة العَزّة، من فخذ (البوأجود). وُلِدَ سنة ١٨٩٠ م. قرأ على العالِم عبد الرزاق الأعظمي، وعلى آل الآلوسي. دخل كلية الحقوق عام ١٩١٩ م وتخرّج فيها عام ١٩٢١ م. انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، كما انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٧، توفي إلى رحمة الله ببغداد في ١٧/٧/١٩٧١، ودفن في مقبرة الغزالي. ترك سبعة وعشرين كتاباً من أشهرها (عشائر العراق)، و(تاريخ العراق بين احتلالين) وغيرهما.

مداعبة شعرية بين صديقين!؟ ـ مطارحات شعرية في مجلس أدبي ـ قذف الوصي عبد الإله

ومما أذكره عمّا جرى في هذه الجمعية من مطارحات أدبية، عام ١٩٤٦، أن الأستاذ جواد كاظم لطيف داعب المرحوم حسين توفيق (شقيق المرحوم عبد الأمير الناهض) بقصيدة طريفة، أثارت إستياء أبي علي، فهاجمه بقصيدة عامية سنأتي على ذكرها، وقصيدة جواد هي:

(أبـو عـلـي، أبـو عـلـي) لـك الـهـنـاء، والـسـقـم لـي
فـأنـت لا شـك نـبـي أو أنـت فـي الأرض ولـي
إن تـلـعـب (الـشـطـرنـج) قـلـت: انـنـي (الـشـطـرنـجـلـي)
يـا عـجـبـاً مـاذا تـركـت لـلـورى مـن مـأمـلِ؟

فـقـد حـويـت مـا حـواه كـل طـاغٍ بـطـل
بـالـشـعـر أنـت (الـبـحـتـري) بـالـنـثـر أنـتَ (الـشـاذلـي)
أو ذكـروا (سـقـراط) كـنـت الـفـيـلـسـوف الـجـدلـي
وفـي الـغـنـاء أنـت (زريـاب) وصـنـو الـبـلـبـلِ

أفـصـح مـن (قـسٍّ) إذا فـي كـل نـادٍ تـعـتـلـي
تـنـثـر دراً مـن فـمٍ عـذبٍ لـمـاه عـسـلـي
فـي طـلـعـةٍ لـو طـلـعـتْ بـدراً بـلـيـلٍ ألـيـلِ
والـجـيـد مـا أطـولـه بـطـول جـيـد الـجـمـل
والـخـصـر مـا أنـحـفـه كـ (تـبـدّور الـبُـطُـلِ)

قالت فتاةٌ في الجمعِ   لمّا رأت أبا علي:
روحي فداه، ما له   إذا مشى (يهنجلِ)؟
(يمشي على ثلاثةٍ   كمشية العرنجلي)
ورأسه في شكله   كمثل رأس البصل
وشعره مغلغلٌ   كمثل شعر الصخل
فقلت: (غولٌ) كان هذا الشخص أم (أبو علي)؟

أما قصيدة المرحوم حسين توفيق فكانت في أكثر من خمسين بيتاً، وباللهجة العامية، نقتطف منها هذه الأبيات:

يندعي بنفسه عبقري   فاق (الحطيئة) و(بحتري)

❀ ❀ ❀

جواد الأفندي اللي نظم   عالداعي أبيات وبُرَمْ
شعره طلع زبْل وفَحَم   ما ينوصف في نظري

❀ ❀ ❀

لازم أفحِمك يا صبي   يللّي ݣِلت عني: (نبي)
خَچْيَك زلاطه ولبلبي   ما يسوه عندي (قمري)

❀ ❀ ❀

من چِنِت توݣف عالجسر   بدْرب الحبيبه تنتظر
ذاك الوݣت تنظم شعر   وتْݣول: آني (البحتري)
.... الخ.

❀ ❀ ❀

في جلسة أدبية ضمّت من الأصدقاء والشعراء وهواة الأدب في حدائق جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٤٧ م، أذكر منهم السادة كمال الجودي، عباس نجم الكرخي، خضر عباس الصالحي[1]، كامل جواد الكرخي، كاظم نجاتي والمؤلف، افتتحها الأستاذ الصالحي ـ رحمه الله ـ بقصيدة عامرة، يحضرني منها المستهل وبضعة أبيات هي:

مجلسٌ يزدهي به الأدباء   ليس يسطيع وصفه الشعراء
فيه للظرْف والنكات سباق   يتجلى به الندى والإخاء
ضم في رحبهِ ذؤابة عُربِ   وبنو العُرْب نخبة كرماء
خلتُ أني في محفلٍ (للنواسي)   حول (هارون) صحبُه الوزراء

و(دنانير) تنشد القوم شعراً … وعلى الثغر بسمةٌ زهراء
تتثنى كعود بانٍ رطيبٍ … حرّكته نسيمةٌ فيحاء
وأرى الحفل والجميع نشاوى … سحرتهم بشدوها الغيداء
وتعالى الصداح فالكل صرعى … من غرامٍ، وكم يهز الغناء
قل لمن يوسع الفنون طعوناً … أنتَ والمَيْت في الحياة سواء
هيهِ يا ليلة لعهدك طوبى … أنتِ في الدهر ليلة غرّاء
فعلى الشعر ألفُ ألف سلامٍ … وعلى الخثل والرياء العفاء

...... الخ.

وبعد أن أنهى قصيدته، جاء دور الأستاذ كمال محمود الجودي، فألقى مقطوعة كان قد أعدّها مسبقاً، أتذكّر منها هذه الأبيات:

أدر من رائق الخمر … سلافاً من فم الدهر
ففيها نشوة تبقى … ولا يفنى سوى العمر
لُذاذات قضيناها … على الشاطئ والنهر
سلام الله يا ليلى … على الفتنةِ والسحر
سلام يا رشا الوادي … سلام يا سنا البدر
أدرها راق مرآها … عقيقاً لونها يغري
أدرها يا أخا البدر … نجوماً في الدجى تسري
سلام أيّها الورد … سلام من فتىً حرّ

بعده، ألقيت ثلاثة مقاطع من قصيدة نظمتها عند صدور الحكم بسجن عمي نايف عبود الكرخي لمدة ثلاثة أشهر بتهمة قذف وسب عبد الإله الوصي على العرش آنذاك علناً وهي:

يا رهين المحبس المظلم، دع عنك الهموم
نهقات من حمارٍ … كاشحٍ في أذن بوم
أو نعيب من غرابٍ … حول أجيافٍ يحوم
عمّي الشهم تأكّد: … ظلمهم ليس يدوم

❀ ❀ ❀

إن هذا الحُكم خطبٌ … يا بني قومي، جَلَلْ
خلفه يكمن محتلٌّ، … بوادينا نزل
وبنا أنزل عليهم … لعنةً تُدني الأجل

أَمِنَ العدل يُسامُ الحرّ خسفاً ويُذَل؟

❁ ❁ ❁

إيه عهد الظلم والإرهاب ولِّ وانقشِع
فَلَكَمْ بات غيور فوق عودٍ مرتفع
ومناحاتٌ أقيمت ما لها من مستمع
لا يدوم الحال مهما طال، إني مقتنع

❁ ❁ ❁

ولا بد من القول، إن ما كنّا ننظمه آنذاك لا يخلو من ضعف وركّة لأنَّها كانت بدايات، ومحاولات طلاب، في سن مبكرة.

هوامش

(١) خضر عباس الصالحي: وُلِدَ سنة ١٩٢٥ م في بغداد بمحلة الشواكة الواقعة في جانب الكرخ، من أب ينتمي إلى قبيلة خفاجة وأم تنحدر من عشيرة العقيل، وكان والده يعمل نجاراً.

في سنة ١٩٣٨ م دخل دار المعلمين الريفية في الرستمية، وقضى فيها أربع سنوات. في سنة ١٩٤١ م عُيِّن لأول مرة معلماً في مضارب شمر في الفرحاتية القريبة من جسر حربة الأثري.

في ٣٠ حزيران ١٩٤٥ م تزوّج وأنجب أربعة أطفال.

من آثاره الشعرية المطبوعة (ضباب الحرمان)، وثلاث دراسات أدبية عن شاعرية يوسف عز الدين وأحمد الصافي النجفي وأبي المحاسن، ومن مخطوطاته الشعرية: صراع العواطف، وأغاني الضياع، وحصاد الأوهام. ومن دراساته الأدبية: معروف الرصافي، الشعر المعاصر في العراق، وله ثلاث مجاميع قصصية: المكافح لا يموت، الجيل الضائع، في موكب الجماهير، وله أيضاً: خطرات في النقد، في الأدب الهادف، ذكرياتي في التعليم، عراقي في إيران، الإنشاء الابتدائي. وكلها مخطوطة.

رثاه عدد من الشعراء، ومنهم الشاعر سلمان هادي الطعمة بقصيدة عامرة تعد ثمانية وعشرين بيتاً بعنوان (المصاب الفادح) باريخ ٢٥/ ١١/ ١٩٨٣) أولها:

أصـاب الـقـوم حـزن واكـتـئـاب ... وفـي أعـمـاقـهـم هـاج اضـطـراب

ومنها:

أ(خضر الصالحي) رحلت عنا ... سريعاً مثلما خفق الشهاب

وأنهاها بهذا البيت:

سيبقى فكرك الزاهي مناراً ... وإنك في الحشا وجد مذاب

(انظر ديوانه رياض الذكريات، ١٩٨٤ م).

مصطفى ممتاز الدفتري و(سوسن الزرقاء)
قصيدة الدفتري في بيت الچادرچي

اعتاد الأستاذ المرحوم مصطفى ممتاز الدفتري، شقيق الأساتذة علي وصبيح وحكمت ونعيم وأكرم، أن يحتفل سنوياً بذكرى شراء سيارته التي أطلق عليها اسم (سوسن الزرقاء)، وهي من نوع (فيات ٥٠٠ حجم صغير) وكانت هدايا أصدقائه بهذه المناسبة لا تخرج عن حدود ما تحتاج إليه من عُدَد ولوازم وغيرها، ابتداءً من صفيحة (البنزين) وإلى (طخم الپلكات) وغيرها، وكنا نجتمع في اليوم المعهود ببيته الكائن في منطقة السكك خلف مبنى مستشفى (ابن الهيثم) الحالي في الصالحية، مساء الثامن عشر من تشرين الأول سنوياً، لتقديم الهدايا والتهاني، وقضاء سهرة ممتعة، تُتلى فيها الكلمات والقصائد والطرائف والأفاكيه، إلى ما بعد منتصف الليل، يحضرها أصدقاؤه المقربون وزملاؤه العاملون في إدارة السكك آنذاك، منهم الأساتذة إبراهيم زهدي كتخدا زاده، وحسين الرحال وعبد الوهاب الگيلاني، وحازم الحيدري، ونواف عطية أبو گليل، وعدنان تحسين علي والمؤلِّف[1]، وفي عيد (سوسن الزرقاء) الثالث أي بتاريخ ١٨/ ١٠/ ١٩٥٧ هنأت المرحوم الدفتري بقصيدة عامية طويلة، تطرّقت فيها إلى مزايا سيارته ومتانتها وجمال مظهرها، أقتبس منها هذه الأبيات:

انشروا الزنبق وورد الياسمين   على (سوسن) بعد عمر اثلث اسنين

❀ ❀ ❀

على (سوسن) بعد هالعمر الطويل   على عناد الصخل ذاك الصنطويل

والغبي (البابو) الغدار الأصل   و(يوسف الأسطه) اللعين ابن اللعين

وعلى عناد (البابلي) و(شيّوبه)   تبقى (سوسن) عامره ومهيوبه

المثل صح: الجرّه مو منگويه | لكنْ اتخرخر عليهم أجمعين
يكرهوها الـ (سوسن) وادري السبب | من حَسَدْهم عقلهم منهم ذِهَب
المايـنوشه يگول حامض هالعنب | قاتل الله اللئام الحاسدين
(سوسن) المشهوره بالعالم (فيات) | تجول في كل الصحاري والفلاة
تسبگ الريح اليمر كالطائرات | نورها خطّاف كالصبح المبين
(سيري فعيون الله ترعاكِ) | يا (سوسن) فلا اگدر بلياكِ
جِزت من كل حبيب اليوم إلأكِ | وحق اسم الرسول المصطفى وياسين

❀ ❀ ❀

(سوسن) يا جماعه اليوم تستنگف | تدخل في (گراج) الصوطري (يوسف)
أبو وجه الطُرُح لو شافها يرجف | حالاً، مثل عمّه الأغبر العنّين
تحيا (سوسن الزرقاء) ريم البر | أصيله أبد ما تخشى البَرِد والحر
تِخسِن كل فنون الركض كر وفر | محبوبة طبع تصرف (گلن بنزين)
(گلن بنزين) تصرف فقط يوميه | حتى لو مشت كيلومتر ميّه
مكينتها متينة واقتصاديه | واللي بيسوقها ميريدله تمرين
ما يحتاج إلى تمرين، بس ايدوس | (سِلْف) وهي تمشي مشية الطاووس
مصرفها قليل وما تحب افلوس | وبالشهرين مرّه تشتهي (تدهين)
(سوسن) لونها بلون السِمه أزرق | تطوي البيد طي السجل للـ (مفرق)
وللشام وجزيره مثل نور البرق | احلف قَسَم بالنون وقلم والتين
و(الرحّال) أبو عليوي الوفي مرتاح | منها كل وقت، وبكل مِسه ومصباح
غنيّ يا نديمي وإطرب الأرواح | واشرب في هوى (سوسن) خمر سنگين
(سوسن) إلها حوبه يا أخي إعلم | كل واحد ايحبها مطلقاً يسلم
واللي يضمر الها الشر يتندّم | واللّي ايشك خلّي يجرّب المسكين
حيث اسم الإله بصدرها امعلّگ | لذلكْ ابد ما تشطح ولا تزلگ
و(التاير)، ولا مرّه بعمرها طگ | من (گودير) قوي، مو جَلَب، جلده اثخين

❀ ❀ ❀

(سوسن) عيدها مثل الصلا والصوم | لازم نحتفل بيه كل سنه بهاليوم
فلنشرب نخبها بالفرح يا قوم | وانزيل الشجن بالنظم والتلحين

❀ ❀ ❀

والشيء بالشيء يذكر، فإنَّ المرحوم مصطفى ممتاز الدفتري، كان ينظم الشعر العامي في المناسبات، وهو في غاية الظرف، قومي النزعة، يحب ويحترم

المرحوم جمال عبد الناصر غاية الحب، وكان له هرٌ أبيض أسماه (جمالاً) تيمنا بالرئيس المصري الراحل، فضلاً عن ذلك أنه كان جريئاً وبغدادياً أصيلاً، لمست هذه الصفات فيه، وأعجبت به وبها، يوم كنت أعمل في مديرية فنادق وإعاشة السكك ملاحظاً، وكان ـ رحمه الله ـ مديراً لها في أواخر الخمسينات من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨.

❀ ❀ ❀

في دار السيد رؤوف الچادرچي[٢] اجتمع عدد من أصدقائه مساء الثلاثاء ١٨ كانون الأول ١٩٥٦ من بينهم السادة صبيح ممتاز الدفتري وأخوه مصطفى ممتاز وحازم الحيدري وحسين الرحّال[٣] على وليمة عشاء، وبعد تبادل الأحاديث الظريفة والفكاهات المستملحة، ألقى (أبو صويفي) رحمه الله قصيدة عامية لطيفة نقتبس منها هذه الأبيات:

أرجو تسمع يا (رؤوف) هالشعر من (أبو الصوف)[٤]

❀ ❀ ❀

أرجو تسمع هالقصيدة من (أبو صويفي) جديده
كل معانيها مفيده يا سلام أنظر وشوف
شوف عندك يا سلام الشغل ماشي بانتظام
فِعِل ماكو بس كلام نحچي ونصفّط حروف

❀ ❀ ❀

يا أخي ماكو مجال لكي أشرحلك الحال
فليعيش الحر (جمال) بطل الثوره العطوف
بطل الثوره الموقر حقّق النصر المؤزّر
يروحله (ايدن) الأغبر فدوه هالعنز الگطوف[٥]
ترك جيشه هالبليد في شوارع (بور سعيد)
يلسعه البردْ الشديد وخَضِرْته جوّه السگوف[٦]

❀ ❀ ❀

أحب ارجع إلى الحفله واشكر الداعي وأهله
وأفخر بأصله وفصله اللوذعي الراقي (رؤوف)
وأشكر الست الجليله (ماجده) الحره النبيلة[٧]
من أصل راقي وقبيله زاكيه وترعى الضيوف
فكفاها الفخر كله (الحيدري) المشهور أصله

بـالـبـلاد انـتـشـر فـضـلـه لـلـمـكـارم مـا يـعـوف

❁ ❁ ❁

يـا (رؤوف) أرجـو لا تـزعـل عـن عـمـلـهـم چـنـت تـجـهـل
تـعـتـقـد هـالـنـاس أفـضـل مـن عـلـيـهـا يـا (رؤوف)
تـعـتـقـد بـالإنـگـلـيـز مـا يـذلّـون الـعـزيـز
بـيـنـمـا الـعـالـم هـزيـز اهـتـز مـن ذولـه الـگـحـوف[٨]
عـن الـمـاضـي الـيـوم دعـنـه ومـن غـدرهـم أرجـو فـكـنـه
بـكـل بـلـد مـشـعـولـه فـتـنـه والـضـحـايـا بـالألـوف
چـنـت مـغـشـوش بـعـدلـهـم وبـأدبـهـم فـي بـلـدهـم
فـقـط لـو تـتـرك جُـزُرهـم بـالـعـكـس حـتـمـاً تـشـوف
تـشـوف أنـواع الـمـظـالـم قـصـدهـم جـر الـمـغـانـم
فـعـلـهـم فـعـل الـبـهـايـم والـوحـوش أهـل الـضـلـوف
ولـهـذا انـگـلـب رأيـك بـالـجـمـاعـه تـالـي وكـتـك
تـغـيّـرت وازداد شـكّـك فـي الـنـتـيـجـة يـا (رؤوف)
وصِـرت تـبـغـض يـا عـزيـزي كـل أبـو شـفـقـه إنـگـلـيـزي
لأنّـه فـي الـواقـع غـريـزي غـدرهـم غـدر الـسـيـوف

❁ ❁ ❁

يـا (رؤوف) احـنـه إجـيـنـه مو عـلى الـلـگـمه الـسـمـيـنه[٩]
ولا عـالـسـمـچـه الـدهـيـنـه فـقـط جِـمْـعَـتـنـا الـظـروف
جـمـعـنـا حـب الـوطـنـيـه والـقـضـيـه الـعـربـيـه
والـشـهـامـه (الـنـاصـريـه) مـو عـلـى الـقـوزي والـخـروف
آنـي (حـازم) الـيـحـچـي الـصـحـيـح لـلـوطـن نـوگـف اوگـوف
بـالـخـتـام إقـبـل سـلامـي ثـم شـكـري واحـتـرامـي
وكـذا شـعـري وكـلامـي أخـي (الـچـادرچـي رؤوف)

❁ ❁ ❁

هوامش

(١) إبراهيم زهدي كتخدا زاده، كان مديراً للمصائف طيلة ارتباطها بالسكك.
حسين الرحال، كان مديراً للحقوق في السكك.
عبد الوهاب الگيلاني، كان مديراً للحسابات.
حازم الحيدري، كان رئيساً لمهندسي الكهرباء في السكك.
نواف عطيه أبو گلل، كان سكرتيراً لمجلس إدارة السكك.
عدنان تحسين علي، كان مديراً للذاتية في السكك.

(٢) رؤوف الچادرچي: من أساطين الحقوق، تولى رئاسة بلدية بغداد في العهد العثماني، وأشغل في العهد العراقي مناصب عالية في الدولة، فكان رئيساً لكلية الحقوق ونائباً في المجلس النيابي، ووزيراً مراراً متعددة، ووزيراً مفوضاً للعراق في أنقره، ثم مستشاراً حقوقياً لشركة النفط العراقية.

(٣) حسين الرحال: من أدباء الشباب العراقي المعروفين بالفضل والعلم، وله إلمام واسع باللغات الأجنبية، وقد أصدر جريدة (الصحيفة) مدة من الزمن عام ١٩٠٤ فكان فيها من أنصار المرأة والداعين إلى نهوضها، وكان مديراً مسؤولاً لجريدة (صدى الكرخ)، وجريدة (سجل الحياة)، وجريدة (سينما الحياة). وُلِدَ عام ١٩٠٠ م ثم أشغل وظيفة الترجمة في وزارة الخارجية، ثم عُيِّن مديراً للحقوق والأراضي في مديرية السكك الحديدية العراقية.

(٤) أبو الصوف، أبو صويفي كنية مصطفى ممتاز الدفتري.

(٥) إيدن هو أنطوني إيدن، رئيس وزراء بريطانيا إبان الإعتداء الثلاثي (بريطانيا، فرنسا، إسرائيل) عام ١٩٥٦.

(٦) جوّه السگوف: تحت السقوف.

(٧) ماجدة الحيدري زوجة المرحوم رؤوف الچادرچي.

(٨) الگحوف: جمع گحف، قحف.

(٩) إجينه: أتينا.

(ابن البهلوان) في العيد ـ أربعة أبيات في وليمة ـ فهمي المدرس يترجم شعراً عن الفارسية الكرخي والنقد الأدبي في رثاء الكاظمي

في عام ١٩٧٢ كنت أعمل في الشركة العامة للغزل والنسيج الصوفي رئيساً للمخازن، وكان يعمل في الشركة نفسها السيد عبد الغني البهلوان، بوظيفة محاسب، وهو ظريف، يهوى النكتة، ويصطاد النادرة، ويحتفظ بكشكول نادر، يسجل فيه ما يستجد من طرائف، يسمعها من جلسائه، وفوق ذلك فهو اجتماعي بطبعه، مجلسي، يرتاح إليه كل مَن يحاوره ويجالسه، وفي عيد الأضحى قصدته في بيته مهنئاً، فوجدت عدداً من هواة الأدب والشعر والنكتة عنده، يتحاورون ويتندرون، ويتطارحون بالشعر العامي والفصيح، وكان قد أنفذ إليّ تهنئته بالعيد في غاية اللطف والظرافة، فأجبته بهذه القصيدة، التي ألقيتها في مجلسه:

لك روحٌ يا (أبا قيس) سليل (البهلوان)
جبلت من رقة البسمة في ثغر الحسان
وصفت مثل صفاء الماس أو عقد الجمان
ضاحك السن، خفيف الظل، معسول اللسان
تنشر البهجة والأفراح في كل مكان
وتذيع الطِيب واللطف كورد الأقحوان
أنا لا أستطيع وصفاً لك، إذ يعيا البيان

فتقبّل أمنياتي وجزيل الامتنان
لتهانيك بهذا العيد يا (ابن البهلوان)

❁ ❁ ❁

يا (أبا قيس) أعِرني السمع، أشكوك الزمان
إنَّه يجرح آناً ويداوي بعض آن
غادرٌ لا يُرتجى منه وفاءٌ وأمان
إن تولَّ الأمر يقسُ، مثلما يقسو الجبان
يتلوّى ناعم الملمس، مثل الأفعوان
فخذ الحِذرَ دوماً منه يا (ابن البهلوان)

❁ ❁ ❁

إن أمسي يا (أبا قيس) ويومي راحلان
وغدي الآتي، وما بعد غدٍ، ينتظران
إنَّها الأيام تذروها، رياح الحدثان
كلها تغني ولن يخلد إلاَّ الشفقان

❁ ❁ ❁

يا (أبا قيس) هي الأعمارُ، أفراسُ رهان
حدّها كرُّ الجديدين بعسفٍ وامتهان
والأناسيُّ على ظهرها، أرخوا العنان
يتبارون ووجه الموت بادٍ للعيان

❁ ❁ ❁

إنَّما الشعر معانٍ يا (أبا قيس) حِسان
لا كما قيل كلامٌ فارغٌ أو هذيان
(صدرهُ) الأبلجُ، و(العجز) المقفّى قمران
وسنا (أبياته) مثل عمود الصبح بان
عطّرت أنفاسه ريحُ (بديع) و(بيان)

هـو كـالـروض زهـت فـيـه أزاهـيـر الـجـنـان
يـتـلالا رقـةً كـالـخـمـر فـي قـلـب الـدِنـان

❁ ❁ ❁

يـا (أبـا قـيـس) سـلامـي والـهـوى، يـسـتـبـقـان
بـشـذا الـنـسـريـن عـطّـرتـهـمـا والأرجـوان
ومـع الأنـسـام أنـفـذتـهـمـا يـا (پـهـلـوان)
مـن صـمـيـم الـروح والـنـفـس وأعـمـاق الـجِـنَـان
(فـاذكـرونـا مـثـل ذكـرانـا لـكـم) طـول الـزمـان

١٩٧٢/١/٢٦

❁ ❁ ❁

في إحدى الأمسيات، من عام ١٩٤٩ أقام والدي في داره بالشواكة وليمة عشاء لنخبة من أصدقائه، وهم الأساتذة عبد الوهاب الأمين والقاص عبد الملك نوري والمحامي صالح الشالچي، وحسن إبراهيم الكرخي، وكنت آنذاك خارج البيت، فلما عدت، فوجئت بوجود هذه الوجوه الخيّرة، فكانت تحيتي لهم هذه الأبيات المرتجلة:

شـرَّفـتـنـا جـمـاعـةٌ أحـرار ... فـاهـنـئـي الـيـوم واطـربـي يـا دارُ
شـرّفـتـنـا فـمـاج فـي الـنـفـس أنـسٌ ... لـيـس يـفـنـى، وزوَّق الـرأسَ غـارُ
أيُّـهـا الـقـوم يـا بـدور الـديـاجـي ... أنـتـم الـعـز والـهـنـا والـفـخـارُ
فـعـلـيـكـم مـنـي سـلامٌ نـديٌّ ... صـفـوة الـقـوم، أيُّـهـا الأحـرار

❁ ❁ ❁

قلنا قبل هذا، أن المرحوم الأستاذ فهمي المدرّس، نظم العديد من الأبيات والمقطعات الشعرية، وأوردنا نماذج جيدة منها. وهنا نورد نموذجاً آخر عثرنا عليه في دفتر جيب الشاعر الكرخي المؤرّخ ٢٧ كانون الأول ١٩٣٥، وهو بيت من الشعر ترجمه عن الفارسية ونظمه بالشكل الآتي:

يـقـولـون إن الـمـلـح يـصـبـح فـاسـداً ... فـمـا حـيـلـة الإنـسـان إن فـسـد الـمـلـح

في أربعين شاعر العرب المرحوم عبد المحسن الكاظمي المتوفى في الأول

من آذار ١٩٣٥ أقيم حفل تأبيني كبير(*)، اشترك فيه شعراء العراق آنذاك، كالرصافي والزهاوي واليعقوبي والبناء ومحمود الحبوبي وغيرهم، وكان الشاعر الكرخي حاضراً، وفي اليوم الثاني سأله صديقه الشاعر أكرم أحمد عن رأيه في القصائد والكلمات التي قدّمت في الحفل، فأجابه بما يلي:

ـ قصيدة شاعر العرب الأكبر الأستاذ الرصافي، كانت على جانب عظيم من البلاغة والفصاحة، والتي استهلها بقوله:

أيُّها الكاظمي نم مستريحاً حيث لا مبغضٌ ولا إيذاء

ولو لم يكن التصفيق ممنوعاً، لصفق لها الحاضرون تصفيقاً متواصلاً، وقد طلب الحاضرون استعادة بعض أبياتها، إلاّ أنه لم يعدها، لإصابته بنزلة صدرية شديدة عند عودته من بيروت.

وأمّا خطبة الأستاذ عبد الحسين الأزري، فكانت عبارة عن محاضرة في الشعر والشعراء، فلو أنّه نظم قصيدة من شعره البديع ـ عوضاً عن الخطبة ـ لكان أحرى، وأحسن.

أمّا قصيدة الأستاذ محمد علي اليعقوبي فكانت مؤثرة جداً، أضف إلى ذلك حسن إلقائه، وتأثره بالمصاب.

أمّا قصيدة الأستاذ عبد الرحمن البناء فلا بأس بها.

ـ ولم أسمع شيئاً من قصيدة الأستاذ نوري شمس الدين باستثناء بعض الأبيات، لانخفاض صوته، وكأنّه كان يكلم نفسه.

أمّا خطبة الأستاذ عز الدين آل ياسين فكانت بليغة، إلاّ أنها طويلة جداً، وبعض عباراتها مكررة، وقد ألقاها بلهجة مصرية لا عراقية مع أنّه لم يقض في مصر إلاّ أياماً معدودات.

وكانت قصيدة الأستاذ محمود الحبوبي مؤثرة جداً، ولكن الذي ألقاها نيابةً عنه لحن في بعض الكلمات فخالف وجه الصواب.

أمّا قصيدة فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة الأستاذ جميل صدقي الزهاوي التي أوّلها:

(*) شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ـ حياته وشعره ـ الدكتور محسن غياض، منشورات وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٦ ص ١١٠.

صدق النعي ومات عبد المحسن   يا شعر أبّنه ويا نفس احزني

فقد وددت أن لا أسمعها، لأنّني قرأتها في مجلة (الرسالة) المصرية، ولا يخفى بأن صوته يخدش الأسماع، وكان يشير بيده إلى الجالسين ليصفقوا له، مع علمه أن التصفيق ممنوع. وقد طلب إليه أحد الظرفاء ـ عمداً ـ إعادة البيت الأخير من قصيدته، فلم يعده لوجود لحن وخلل عروضي فيه.

أمّا كلمة ابنته، الآنسة (رباب)، فقد أحدثت تأثيراً عظيماً في الحاضرين حتى أن بعض الحاضرين بكى، ومما يلفت النظر أنها ألقت كلمتها بلهجة عراقية واضحة، بالرغم من أنها وُلِدَت في مصر، وتلقت العلوم في مدارسها، والفرق بينها وبين عز الدين آل ياسين شاسع.



الكرخي بين الفصحى والعامية - الشيخ إبراهيم الحوراني ينسى الخطاب فيرتجل الشعر - كاد الإنكليزي أن يدخل الإسلام لولا المؤذن - ماذا جرى لعبدالله الخياط مع البدوي

المحامي قاسم العلوي - كما هو معلوم - صديق حميم للشاعر الكرخي، ومرةً - بل ما أكثر المرات - كانا جالسين يدخنان النارگيلة، ويتحاوران في مقهى الشابندر، قبالة سوق السراي، فسأل العلوي جليسه الكرخي:

لماذا لا تنظم بالفصحى؟ وقد تأكّدت من قدرتك، ومعرفتك وإلمامك بالنحو والصرف، والمفردات بما فيها الغريب والحوشي منها، ولاسيما عند استماعي لقصيدتك التي تقول فيها:

اسمع يا عراقي شعر شعبي عال يفتهموه أهل العلم والجهّال

❀ ❀ ❀

سالم من (سنير وشبرق وطحلب طخات وصحصحان وأوقص وسهلب)
(وتكعكع والنقاخ ومترع ونحيهب وحملاق وفهق والتنتخ ورئبال)
هذا شعر مغلق مرٍّ زحمه وكلّف يصعب على الدارس بالنحو والصرف
أفتونا عن الأمي وعامي كيف يفتهموه: كولي وسايق وبگّال

فأجابه الكرخي:

- الجواب مذكور بوضوح في هذه القصيدة، ومع هذا إليك السبب؛ بالفصحى:

يا أخي (قاسم) رويداً رويداً | أنا في الشعر صاحب المعجزات
شعر أجدادنا بليغ المعاني | رنقٌ غير رائق الكلمات
كـ (نقاخٍ وسهلبٍ وخُباطٍ | وسنير وشبرقٍ وطخات)(*)
فلهذا صددت عنه صدوداً | وتعوّضت عنه بالبينات
لو يريد الإنسان أمثال هذا | لأتى بالألوف دون المئات
لا أرى مركب الجموح صواباً | ليس قول الفلاة كالموسمات

في دفتر الشاعر الكرخي المؤرخ ٢٢ آب ١٩٣٨ وجدت هذه الطرفة الأدبية:

❀ ❀ ❀

الشيخ إبراهيم الحوراني من علماء وأدباء بيروت المعروفين، وفي أحد الاحتفالات جاء دوره، فقام ليخطب، وعلى المنصة ارتج عليه الموقف، ونسي الخطاب، فأطرق ملياً، ثم قال ارتجالاً:

أسفاً عليها ذاكره | سكنت ديار الآخره
كانت تدور على النهى | دارت عليها الدائره

ونزل، فصفق له الحاضرون طويلاً، واستعاضوا بأبياته المرتجلة هذه عن خطابه المنتظر.

❀ ❀ ❀

وفي دفتر جيبه المؤرّخ ٤ حزيران ١٩٣٥ قرأت هذه النادرة الواقعية، التي حصلت إبان الاحتلال البريطاني للعراق:

أيام الاحتلال كان أحد كبار الإنكليز يسكن بجوار أحد جوامع بغداد، وكان المؤذن صاحب صوت رخيم جداً، لدرجة أن هذا الإنكليزي فكّر أن يدخل الإسلام من شدة إعجابه بصوت ذلك المؤذن، فللأوروبيين ولا عجب، طلعات وصرعات غريبة، وبعد فترة توفي المؤذن إلى رحمة الله فحلَّ محله مؤذن ذو صوت مُنكر مذكور في القرآن الكريم.

(*) رنق: كدر. النقاخ: الماء البارد الصافي. خباط: جنون. سنير: شوك. شبرق: ممزق. طخات: ظلمات. سهلب: الأرض الجرداء.

في اليوم الثاني جاءه الإنكليزي، ومنحه عشر ليرات، وقال له ما معناه: آني هوايه ممنون منك، فلولا صوتك الأجش الكريه لغيّرت ديني ودخلت في دينكم الإسلام.

❁ ❁ ❁

المرحوم عبدالله الخياط (أبو نجم) من ظرفاء بغداد المشهورين، وكان بائع تبوغ (تتنچي) في جانب الكرخ.

مرة، أتاه بدوي، فقال له: أريد تتن كسكين (حاد)، حلو، رماده أبيض. فعمر له مشربه (سبيله) بعيّنة من التتن الكسكين العال. فشربه (دخن منه) البدوي، ومن حدّة هذا التتن حبق[1]. فخجل البدوي وقال لأبي نجم:

أكو (يوجد) أكثر حدة من هذا التتن؟

فأجابه عبدالله وهو يضحك:

ـ نعم! اكو، اللي بضـ... موجود عندي، بس اللي يمشّي البطن تلگيه (تجده، تلقاه) بدكان (راضي الديوان)، روح (رُح، اذهب) اشتري منّه.

وبالمناسبة، راضي الديوان صديق حميم للكرخي، وكان دكانه يقع في نهاية سوق الشواكة، من جهتها اليسرى في محلة (علاوي الحلة)، قبالة العمارات السكنية الحالية في شارع حيفا الجديد، وبعد وفاته في الأربعينات أغلق دكانه.



هوامش

(١) حبق: خرج صوت من تحته.

الكرخي ومن هجاه!؟ ـ خلّي (حمزه الطبر) نايم! ـ غيرة ضابط مدفعية عراقي والي بغداد ومجنون الجسر ـ البيت الثامن من عمر الكرخي!؟ ـ

من دفتر جيب الكرخي المؤرّخ ١ تشرين الثاني ١٩٢٩:

في مقهى (عارف آغا) اجتمع الصديقان نوري ثابت (حبزبوز) والملا عبود الكرخي، على عادتهما في أوقات الفراغ، فقال حبزبوز للكرخي:

ـ لقد سمعت بأن أحد المبغضين أرسل لك رسالة غَفِلة عن التوقيع، فيها قصيدة يهجوك بها، أوّلها:

سبحان رب السوّاك ... ومن بعد موتك أحياك

فبماذا أجبته؟

ـ ألَمْ تطّلع على القصيدة الجوابية التي نشرتها على صفحات (الكرخ)، بنفس الوزن والقافية؟ ومطلعها:

يا بومة گلّي شوازاك؟ ... هاك أخذ مني ما جاك

ـ نعم! اطلعت عليها، ولكني أسأل، هل كفَّ عن هجائه لك؟

وإذا لم يكف فما هو موقفك منه يا أبا نجم؟

ـ موقفي منه يا عزيزي، هو هذا فاسمعه!؟

ظلَّ (السلامي) يهجوني فقلت له: ... حبيب قلبي ومعشوقي وأستاذي

إن لم تكن ذاكراً بالري صحبتنا   فاذكر ضرا... من تحتٍ ببغداد

ولعلمك فإنَّ شخصاً لا أعرف اسمه لحد الآن، هجاني بـ (بند)، وهو ضرب من ضروب الشعر المنثور المسجّع، أوله:

ألا يا لعنةَ الله   على الكرخيّ عبوذ

وجوابي عليه وعلى غيره من المتبرقعين وراء الأسماء المستعارة جميعاً:

الروض ليس يضيره   ما قد يطنطن من ذبابهْ

وما دمت نافعاً مثمراً، فليس يرجم إلاَّ من به ثمرُ!؟ وعندك الحساب!؟

❀ ❀ ❀

وفي دفتر جيبه المؤرّخ ١٩٣٠/٣/٢٢ ذكر أنَّه كان جالساً في حانوت محمد يونس في (العمارة)، فجاءه مدرّس في (الجامع الكبير) ـ وكان بالقرب من الحانوت مقهى فيه آلة حاكية (غرامفون) ـ وقال لمحمد يونس: قل لصاحب المقهى، إذا مرَّ من هنا الشيخ شاكر ـ وهو رجل دين معمم ـ فليقطع أسطوانات الأغاني ويضع اسطوانة فيها تلاوة للقرآن الكريم، وإلاَّ أشكوه إلى المتصرف (المحافظ) فوعده خيراً. إلاَّ أن صاحب المقهى عمل العكس مع الشيخ شاكر، فكان كلما يلمحه ماراً من أمام المقهى يدير اسطوانة يردد فيها المغني هذه الأبيات من قصيدة شهيرة لي:

خلِّي حمزه الطُّبَر نايم   لا تذبّه بالتهايم

لا تغرّك هالعمايم   أكثر الرگي فطير

ثم علمت فيما بعد أن لهذه المعاكسة سبباً يتعلق بفتوى، فتاها الشيخ المذكور في غير صالح صاحب المقهى، وأكثر الناس للحق كارهون.

❀ ❀ ❀

وذكر في دفتر الجيب المؤرّخ ١١ نيسان ١٩٣٤ هذه الحادثة الواقعية التي شاهدها بنفسه، قال:

في الساعة السادسة والنصف من مساء السبت ١٩ مايس ١٩٣٤ حينما كانت بطارية من المدفعية العراقية تروم عبور جسر مود ـ الأحرار حالياً ـ من جانب الكرخ إلى جانب الرصافة، حاول موظف بريطاني كبير أن يسبق الرتل في العبور بسيارته، ولكن آمر المدفعية العراقي أخذته الغيرة فصرخ به وأمره بالوقوف في مكانه ريثما يمر الجيش. ولما شاهد المارة والمتفرجون هذا الحزم من الآمر الشهم، هتفوا له عالياً، وصفّقوا له كثيراً، وهكذا ضرب هذا الضابط العراقي

مثلاً في الوطنية والحميّة القومية، ولقن الأجنبي المحتل درساً سوف لن ينساه أبداً.

❀ ❀ ❀

كان أحد ولاة بغداد في العهد العثماني جالساً في قصر الرصافة المطل على رأس الجسر القديم ـ الشهداء حالياً ـ فشاهد على الجسر (لمّه) ـ حشد من الناس ـ فسأل: ما الخبر؟ فقالوا له: واحد مجنون لقبه ملاخـ.. يقولون له: وين رايح ملاخـ...؟ فيجيبهم: ليش ما تقولون: على خير؟ وهذا هو السبب يا جناب الوالي في تجمّع الناس حوله. فأخذ الوالي العجب من عقلانية هذا المجنون، وأرسل بطلبه، وكرّمه، واستأنس بالتحدّث إليه، بعدها نهض المجنون، فقال له الوالي: وين رايح ملاخـ...؟

فأجابه المجنون العاقل: انت هم مثل ذوله الزعاطيط؟ لكن العتب مو عليك، على (السلطان) الذزّك (أرسلك) علينه. وعاد إلى مكانه المعهود على الجسر، تشيّعه ضحكات الوالي ومَنْ حوله من الحواشي والجلساء. (مقتبس من دفتر جيبه المؤرخ ١١ كانون الثاني ١٩٢٧).

❀ ❀ ❀

وفي دفتر جيبه المؤرّخ ٢٠ نيسان ١٩٣٨ وجدت هذه المحاورة الطريفة:

سألني الشيخ مظهر الحاج صكب (شيخ مشايخ السعيد) عن عمري، فأجبته وصلت الآن إلى البيت الثامن من القصيدة، فاستغرب الشيخ مظهر وسألني ثانيةً: ما معنى ذلك؟ وما هي هذه القصيدة؟

فاستظهرتها على مسامعه، وطلبت إليه أن يعدّ بأصابعه إلى أن يصل إلى البيت الثامن، فيأتيه الجواب واضحا:

ابن عشرٍ من السنين غلامُ	رُفِعت عن نظيره الأقلامُ
وابن عشرين للصبا والتصابي	ليس يثنيه عن هواه ملامُ
والثلاثون قوةٌ وشبابٌ	وهيام ولوعة وغرامُ
فإذا زاد بعد ذلك عشراً	فكمالٌ وشدةٌ وتمامُ
وابن خمسين مرَّ عنه صباه	فيراه كأنَّه أحلامُ
وابن ستين صيّرته الليالي	هدفاً للمنون وهي سهامُ
وابن سبعين لا تسلني عنه	فابن سبعين ما عليه كلامُ
فإذا زاد بعد ذلك عشراً	بلغ الغايةَ التي لا ترامُ

وابن تسعين عاش ما قد كفاه ... واعترته وساوسٌ وسقامُ
فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... فهو حيٌّ كميّتٍ والسلامُ

❁ ❁ ❁

من أسرار ثورة العشرين ـ وشارب كلمن عرف خاله!؟ خرج (مطربشاً) وعاد (مخربشاً) ـ القاضي والسقّاء ـ

دفاتر الجيب التي خلفها الشاعر الكرخي، والتي زادت على الثلثمائة دفتر، تضمّنت الغزير من ذكرياته، والطريف من النوادر والوقائع والأحداث التي مرت بالعراق خلال العهدين العثماني والوطني، كما انطوت على أسرار وحقائق، مجردة عن مبالغة وتحوير وتشذيب المؤرخين، فهي إذن دائرة معارف واسعة في التاريخ والسياسة والشعر والأدب، ومعين لا ينضب من المعلومات والنوادر والطرائف وأخلاقيات خواص وعوام الناس، بالإمكان أن تجمع في كتاب مستقل للرجوع إليه عند التصدي للكتابة عن المجتمع العراقي بتجرد وصدق ووضوح. ومن ذلك ما كتبه في دفتر الجيب المؤرّخ ١٢ كانون الثاني ١٩٣٧ عن بعض أسرار ثورة العشرين المجيدة، والتي لم تدوّن في أي كتاب من الكتب الصادرة بهذا الموضوع. قال الكرخي: وجدت الحكومة في أوائل الحكم الوطني أن الضرورة تقضي بتأسيس شركة لتوليد الكهرباء في (الديوانية)، فأعطت عرصة من عرصات البلدية لمن يتقدّم لجلب ماكنة لتوليد الكهرباء. ولم يتقدّم من أهالي الديوانية لهذا المشروع سوى الشخص المعروف (سلمان الجبار) الذي كوّن ثروته إبان الاحتلال البريطاني، يوم كان رئيساً لبلدية الديوانية عامي ١٩١٨ ـ ١٩١٩، في ذلك الوقت الذي (يستحرم) وجوه الديوانية أن يكون أحدهم رئيساً للبلدية، ينفذ أوامر الحكّام السياسيين الإنكليز. أخذ هذا الرجل يجمع المال بأية وسيلة وواسطة، سيما وأن المحتلين كانوا يوظفون المال لشراء الذمم والضمائر، فكان المال لكثرته كالتراب في أيدي هذا وأمثاله.

واتخطر يوماً إبان الثورة، أن زعماءها أرادوا الاتصال بالمرحوم الشيرازي يوم كان في كربلاء. فكتب الحاج مخيف الكتاب والحاج شعلان العطية، كتباً إلى المرزا محمد تقي الشيرازي. وتبرّع سلمان الجبار بإيصالها إليه، وجلب أجوبتها، فتوجّه إلى كربلاء مأذوناً من الحاكم السياسي (الميجر ديلي) بحجة الزيارة، فوصل كربلاء واتصل بالشيرازي وأعطاه الكتب وأخذ أجوبتها الموجهة إلى الزعماء المذكورين، إلاّ أنه قبل أن يتصل بهم ذهب إلى (الميجر ديلي) وسلّمه الكتب المذكورة وخرج. ثم كتب إلى الحاج مخيف والحاج شعلان، وأخبرهما، وأخبر مَن كانوا في الديوانية أيضاً، بأن قطّاع الطرق استوقفوه ما بين الديوانية والشافعية، وسلبوه أمتعته وألبسته وبضمنها المكاتيب؟؟!

ونتيجة لمعرفة (الميجر ديلي) بمحتوى الرسائل، وأسرار الثورة، أرسل بطلب الزعماء، وجمعهم في دار الحاكمية بالديوانية، فقد كان ينوي نفيهم جميعاً إلى (هنجام)، إلاّ أن البعض منهم علموا بما ينتويه فهربوا، عدا الحاج مخيف والحاج شعلان، فأرسل بطلبهما إلى دار الحكومة وزجهما في السجن، وصار يهدّدهما كل يوم بالقتل، فتذاكرا فيما بينهما، وقرَّ رأيهما على مواجهة الحاكم، وعند المواجهة طلب الحاج شعلان إطلاق سراحه لقاء إبقاء ولده (موجد) وأخيه (جبل) رهينة لدى الحاكم السياسي، فوافق وأطلق سراحه، وطلب من الحاج مخيف كفالة فأبى. وخرج الحاج شعلان والتقى بالزعيم الشيخ مظهر الحاج صگب، وأشعلا نار الثورة. أمَّا الحاج مخيف فقد نفي إلى هنجام، وبقي (موجد) و(جبل) ولد وأخ الحاج شعلان في المعسكر إلى ما بعد انتهاء الثورة.

وبقي العميل سلمان الجبار يجمع المال، وجلب ماكنة الكهرباء ونصبها، وكانت مدة الامتياز ست سنوات، وكانت المقاولة معه تنص ـ من باب التسهيل والتسمين! ـ أن يدفع ما يعادل خمسة وسبعين ديناراً ثمناً للعرصة العائدة أساساً للبلدية، ولم يكتف بذلك بل أخذ يستولي على العرصات المجاورة العائدة للبلدية، وينشئ عليها الدور والمقاهي والحوانيت، ويستوفي بدلات إيجارها في الوقت الذي هي ما تزال مسجلة في الطابو (التسجيل العقاري) ـ باسم بلدية الديوانية.

أمَّا في العهد العثماني فلعب هذا الشخص دوراً حقيراً يندى له الجبين، ومن ذلك: لما كانت الحرب العالمية الأولى مستعرة نيرانها بين الأتراك والإنكليز فقد كان يوصل الأخبار إلى رئيس الاستخبارات في الناصرة لقاء مخصصات ضئيلة، وقد دعته الحكومة العثمانية في الديوانية لابتياع الرز والحنطة

إلى الجيش يوم كان الضباط العراقيون هناك، محمود رامز وعارف عافة (قفطان)، ومأمور الإعاشة محمود السنوي، في الديوانية، فأعطته السلطة خمسة آلاف ليرة ذهباً لإعاشة الجيش، فابتاع (٣٦) كيساً من الرز، وعشر صفائح من الدهن، وبقي يشاغلهم بالمماطلة والتسويف حتى انسحاب (الأوروبي) العثماني من الديوانية و(نام) ببقية المبلغ، ثم احتل الإنكليز الديوانية وأتى (صالح الملي) وكيلاً للحاكم السياسي، وبعد أن أشغل الحاكمية ما يقارب الستة أشهر، استلم منه (الميجر ديلي) زمام الإدارة، ودخل ثانيةً سلمان الجبار تحت إبطه؟! ووشى بالشيخ مظهر الحاج صگب لدى الميجر الإنكليزي، بأن له اتصالات ومخابرات مع الأتراك، فوضعه تحت النظارة والمراقبة في الديوانية ما يقارب الخمسين يوماً، وبعد اللتيّا والتي أُطلق سراح الشيخ مظهر الحاج صگب.



من دفتر جيب المؤرّخ ١٨ كانون الثاني ١٩٣٢:

بينما كنت ماراً بشارع السموأل (شارع البنوك القديم) شاهدت اثنين من الناس يتحاوران حول (دَيْن) للأول بذمة الثاني، ويظهر أن الدائن كان (على نياته)، بينما المدين كان (فلفوزاً) ذكياً، أنكر أنه مدين بشيْ ، وحين عجز الدائن عن إثبات حقه، طلب إلى صاحبه أداء اليمين، بالإمام العباس (ع) بأنَّه غير مدين. فاستغل هذا سذاجة الدائن، وأقسم بالصيغة الآتية: وشارب كلمن عرف خاله، أنت ما تطلبني!؟ فظنَّ الدائن البسيط أنه حلف بالعباس (ع) فعفَّ عنه، (تنازل عن طلبه).

هذه صورة من صور الحياة، فالذكي والقوي وصاحب الحيلة والنفوذ، لهم الغَلَبة دائماً ولو على أساس الباطل ومجانية الحق، والناس تبعاً لذلك غالب ومغلوب، وظالم ومظلوم، وحاكم ومحكوم، وصادق وكاذب... الخ.



وفي دفتر جيبه المؤرخ ١٠ حزيران ١٩٣٧ قرأت هذه الطريفة:

(مجيد أبو حفيرة) معمم من أهالي (العمارة)، ميّال إلى اللهو والمجون، جاء ـ مرة ـ إلى بغداد قاصداً المبغى العام (الدربونة) في الميدان، ولما كان من غير المعقول والجائز الدخول بالعمّة، فقد وجد يهودياً ماراً في الطريق، أعطاه (العمامة) وأخذ منه (الفينة) ـ الطربوش ـ ورجاه الانتظار قليلاً ريثما يقضي حاجته!؟ ويرجع إليه، واليهودي لا يعرف ما هي هذه الحاجة، وأين تُقضى، ثم

إن اليهودي وقف منتظراً والعمامة فوق رأسه، أما (أبو حفيرة) فقد ارتدى الطربوش ودخل إلى المبغى. مرَّ وقت وهو ينتظر خروج صاحبه، ولكن بدون جدوى، ولما بلغ به الملل من الانتظار والقلق على طربوشه حداً لم يستطع احتماله، دخل هو الآخر بالعمامة للتفتيش عن صاحبه، فأبصر به القوادون والمومسات، فصاحوا عليه: لك هاي وين؟ فأجابهم:

ـ أبدالكو، أنا يهودي. فأمسكوا به ومزّقوا عمامته وانهالوا عليه شتماً وضرباً، ففرَّ وهو يستغيث ويولول، ورجع إلى مكانه في الخارج. عندها خرج (أبو حفيرة)، وحين وجد عمامته ممزقة، مزّق طربوش اليهودي، وانهال هو أيضاً عليه بالشتيم والضرب. وهكذا، عاد أبو حفيرة بدون عمامته، واليهودي بدون طربوشه مع (بسطتين) عراقيتين.

❀ ❀ ❀

من دفتر جيب ١٢ تشرين الأول ١٩٣٥: في أوائل الحكم الأهلي، وفي إحدى جلسات المحكمة الشرعية ببغداد حكم القاضي إبراهيم شوقي لإمرأة مطلقة بنفقة قدرها (قرش صاغ)، فاعترض المحكوم عليه قائلاً: يا سيدي القاضي! أنا (سقّاء)، ودخلي الشهري (بيشلغ) واحد، ولي أربع زوجات غير مطلقتي هذه، فكيف أستطيع تدبير أموري المعاشية؟ فما كان من القاضي إلاّ أن ترك كرسي القضاء، وأمسك بتلابيبه وقال له غاضباً: أمِنَ العدل أن تتزوّج خمساً وأنت ضعيف الحال، وأنا متمكن، ولم أتزوّج لحد الآن؟ وفوق ذلك تستكثر القرش الصاغ؟



الجريدة السورية ذات الجريمتين - اج.جي. ويلز ومستقبل البصرة - الفرسان الثلاثة واليهودي المريض - رسالة من (صحفي قديم) إلى الكرخي -

كتب الكرخي في دفتر جيبه المؤرّخ ١٢ تشرين الأول ١٩٣٥ ما يلي:

بعض الموتورين والأفاقين من الكتّاب وصغارهم، أصبحوا لقاء دريهمات يتلقفونها من هذا وذاك، لا ديدن لهم إلاّ الإساءة إلى سمعة بلادهم، ولكن بضاعة هؤلاء كاسدة، ووسائلهم دنيئة، بحيث لا تجوز ولا تنطلي على صحافة هذا البلد. فراحوا يلجؤون إلى بعض الصحف الهزيلة المرتزقة في سوريا، بعد أن امتنعت الصحف التي تحترم نفسها هناك، عن نشر أكاذيبهم وتلفيقاتهم. وقد أصبحت جريدة (النظام)!؟ عشاً لهذه الغربان، ولما كان هؤلاء معروفين بتلونهم ووسائلهم الواهنة، فلا تعجب!؟ إنَّما العجب من جريدة سورية تنسى قضية بلادها، وما يعاني شعبها، فلا تكتب في ذلك حرفاً واحداً بينما تفسح صدرها لمقالات يمكن أن تُسمّى بذات الجريمتين، الأولى جريمتها بحق العراق، والثانية سكوتها عن الحالة المتردية في سوريا، ولا غرابة، فإنَّ مَن يرضى بمهانة وطنه، لا يهمه أن يسيء إلى الأقطار الأخرى، حتى وإن كانت عربية شقيقة.



وورد في دفتر جيبه المؤرّخ ٦ مارت ١٩٣٨ الآتي:

تخيل الكاتب الإنكليزي الشهير اج.جي. ويلز مستقبل العالم بعد مائة سنة، في كتاب له صدر مؤخراً. ومما قاله عن البصرة، إنَّها ستصبح ميناءً جوياً،

ومركزاً عالمياً، تمر به جميع خطوط المواصلات الجوية، وتصبح محط أنظار العالم، وسيكون مركزها العالمي كمركز مصر يوم فتح قنال السويس.

ويعلّق الكرخي على ذلك بقوله: كم أتمنى أن يمد الله في عمري، حتى أرى ذلك بعيني، مثلما رأيت افتتاح قناة السويس قبل سبعين عاماً.



من دفتر الجيب المؤرّخ ١ حزيران ١٩٣٦:

كنت جالساً مع صَديقي محيي الدين أبي الخطاب وبعض وجهاء الموصل في بيته الكائن في ضواحي المدينة وبمنطقة (الدفران) وهو مشهد لأحد الصالحين. وكان الحديث يدور حول ذكاء اليهود، فروى لنا أبو الخطاب - صاحب جريدة الأديب الموصلية - هذه الطريفة: في باريس مَرِض أحد اليهود الفقراء، وكان له ثلاثة أصدقاء، مسلم ومسيحي ويهودي، ذهبوا جميعاً لعيادته، فشكرهم وقال لهم: إن مرضي الشديد هذا سيفضي بي إلى الموت المحتم، وعليه أرجو عند وفاتي أن يضع كل واحد منكم ألف فرنك في نعشي، فلربما أحتاج في العالم الثاني إلى (خرجية).

بعد يومين توفي، فحضر أصدقاؤه الثلاثة مراسيم التشييع والدفن، وحسب الاتفاق السابق وضع المسلم ألف فرنك في نعشه، وفعل المسيحي مثله. وانتظر أن يفعل اليهودي مثلهما، ولكنه لم يمد يده إلى جيبه، فقالا له: أنت أيضاً ضع المبلغ الذي اتفقنا عليه، فقال: لا يوجد عندي المبلغ المطلوب نقداً. فقالا له: هذا المبلغ ضئيل وكان عليك أن تهيئه قبل مجيئك لتضعه في النعش، فأجابهم بخبث:

- ما يخالف! فما دمتم مصرّين، سأحرر صكاً بثلاثة آلاف فرنك وأضعه في النعش، وآخذ الألفين التي وضعتموها أنتم!؟؟ فيكون كلٌّ منا قد وضع حصته ووفى بوعده. وهكذا خرج اليهودي بألفي فرنك نقداً بحيلته وخبثه، لقاء صك غير قابل للصرف في (الآخرة).

❀ ❀ ❀

في دفتر الجيب المؤرّخ ١٦ مارت ١٩٣٩ كتب الكرخي:

وصلتني رسالة بتوقيع (صحفي قديم) جاء فيها:

حضرة الأستاذ الشاعر القدير الملا عبود الكرخي المحترم

تحية

أخذني العجب من الصحافة المحلية في العاصمة، فقد قرأت كما قرأ غيري ما كُتب عن المظاهرات التي أقيمت يوم الجمعة ١٨/ ٣/ ١٩٣٨ انتصاراً للبلاد العربية المظلومة، ومع أنكم كنتم تقودون صفوف المتظاهرين، وكان قد بلغ بالناس الحماس لكم أنْ حملوكم على الأعناق عندما بدأتم بقراءة قصيدتكم الشعبية الرائعة، فإنَّ الصحف لم تشر إلى هذا، عدا جريدة (البلاد) الغراء، بينما هذه الصحف نفسها لم تتورع من نشر أسماء لم يشاهدها المتظاهرون، وقالت عنهم، إنهم قادوا الحركة وألقوا الخطب والقصائد.

ولذلك، إن كنا نعتب على شيْ ، إنَّما نعتب على هذه الصحف، وموقفها المخجل منكم.

(صحفي قديم)



المستشار البريطاني وحسون أبو الجبن ـ باقة أخرى من نوادر مجيد أيوب ـ الفنهراوي إمام محلة (باب السيف)

من دفتر الجيب المؤرّخ ١٥ أيلول ١٩٤٠:

كان الحديث في إدارة الجريدة يدور حول مشكلة فلسطين، وكيف أن الإنكليز ساندوا اليهودية العالمية بوعدهم المشؤوم (وعد بلفور)، وعملوا على إظهار إسرائيل إلى الوجود، وأمدّوها بالمساعدات والدعم السياسي والمادي، فخذلوا حق العرب في أرضهم ووطنهم، ثم انتقل الحاضرون إلى الحديث عن السبل الضرورية لإعادة الحق إلى أهله، فقال لهم الكرخي إن الحل الوحيد هو البندقية، أما الكلام في الجرائد، والمظاهرات وغيرها فهي غير مجدية، وتعتبر من قبيل الوسائل السلبية التي لا تأثير لها في تغيير الواقع المفروض على العرب، والإنكليز أنفسهم يعرفون ذلك جيداً، ولا يأبهون له، بل على العكس يسخرون مما يجري، والدليل على ذلك ما رأيته وسمعته بأذني في ديوان وزارة الداخلية، ففي إحدى المرات، سمعت متنفذاً كبيراً يسأل مستشار الوزارة الإنكليزي هذا السؤال: متى تنتهي الحرب في فلسطين؟ فأجابه ساخراً:

ـ إسألوا (حسون أبو الجبن)[1]!؟؟

والمعروف، أن أبا الجبن كان كثير التظاهر من أجل قضية فلسطين، وقول المستشار الإنكليزي هذا يعني أن المظاهرات ورفع الشعارات لا يمكنها أن تغيِّر من الأمر شيئاً، وإنها مجرد (تنفيس) وحسب.

❀ ❀ ❀

من دفتر الجيب المؤرّخ ١٦ مارت ١٩٣٩ أنقل هذه النوادر للظريف البغدادي مجيد أيوب:

١) قال له جليسه الكرخي مرةً، كم كان بودي أن يكون لك خلف، يحيي ذكرك!؟

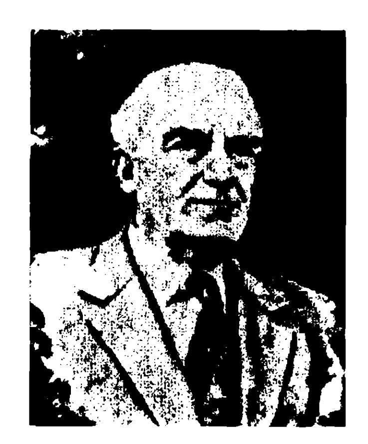
فأجابه مجيد: أنا وداره بك - رئيس عشائر الداوودة الكردية - والبغل عقماء.

والله سبحانه وتعالى يفتخر بأنه لم يلد ولم يولد، فلا تأسف، فمن أمثالي كثيرون والحمد لله يا أبا نجم!؟

٢) ونصحه مرة أن يترك الخمرة ويتقرب إلى الله بالصوم والصلاة ليحظى بالجنة التي عرضها السموات والأرض. فأجابه:

- مولانا! الجنة ما تصرفلي، لأنَّ الأنهار تجري من تحتها، وأنا عندي روماتيز، وهذا ينراد له حرارة، وجهنم أنفع لصحتي!؟

٣) ويقول الكرخي إن مجيد أيوب كان حينما يسكر يغني: (طير السمندل في السعير يفرّخ) فسألته مرة عن مغزاه، فقال لي: إنَّ النار التي يعبدها (زرادشت)، قد خُلق فيها طير اسمه (السمندل)[٢]، لا يعيش إلاً فيها، كالسمك الذي لا يعيش إلاً في الماء، ولذلك، ولأنني في الآخرة، أكون من سكنة جهنم، فأصبح كالسمندل لا أستطيع فراق النار، ولهذا تراني لا أخاف من دخولها، والذي أخافه وأخشاه هو الخروج منها، لأنَّه سيكون سبباً في موتي!؟



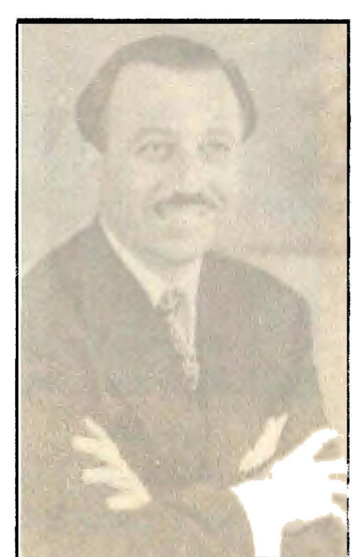
سندرسن

٤) عندما مَرِض مرضه الذي أودى بحياته - رحمه الله -[٣] أرسل أهله بطلب الدكتور حسني علي مبارك، وبعد أن فحصه نصحه بالإقلاع عن الخمرة، وتدخين النارگيلة، فغضب عليه وأسمعه قارص السباب وبذيء الشتائم. ثم جلبوا له الدكتور عبد الرحمن قطان فحصل نفس الشي

• ، فقال أهله له، سنستدعي لك الدكتور عبد المجيد القصّاب(*)، فقال لهم: لا بأس إنه ابن محلتي وصديقي. فلما جاء وفحصه وكرّر عليه نصيحة زملائه، لم يُسمعه شيئاً من فاحش القول، بل اكتفى بالإعراب عن عدم الرضا. فاضطر أهله أخيراً أن يستدعوا الدكتور سندرسن باشا، وقبل أن يدخل عليه، سأل عن الأطباء الذين فحصوه قبله، وما جرى له معهم، فأخبروه بما حصل تفصيلاً، ثم دخل وفحصه، فوجده على حافة الموت، ولكنه لم ينصحه بترك الخمرة والتدخين لئلا يتلقى ما تلقاه زملاؤه، بل قال له: لا بأس من تعاطي القليل من الخمر، وهنا انفرجت أسارير مجيد أيوب، وقال له: ألف رحمة على روح السوّاك باشه، أنت الطبيب الصُدُگ وغيرك لا.



(*) الدكتور عبد المجيد القصاب: من أسرة القصاب المعروفة، وُلِد في بغداد سنة ١٩٠٧ ودرس الطب في المعهد العربي بدمشق، وأكمل تحصيله في فرنسا واشتغل سنتين في مختبر الجرائيم في مستشفى (السوپرمان) في مونبليه، وحاز على شهادة الدكتوراه في الطب، وعُيِّن طبيباً في المستشفى الملكي في بغداد للأمراض الداخلية. ويعد من أدباء الشباب العاملين، وأحد أعضاء نادي المثنى في بغداد.



وهو نجل عبد العزيز القصاب بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن حسين بن علي بن ناصر بن درع بن مهنا بن كنعان بن جشعم ويرتقي نسبه إلى قبيلة جشم العربية.

في عام ١٩٥٢ انتخب نائباً عن المنطقة السابعة من الكرخ وعُيِّن وزيراً للصحة، وأسَّس كلية طب الأسنان.

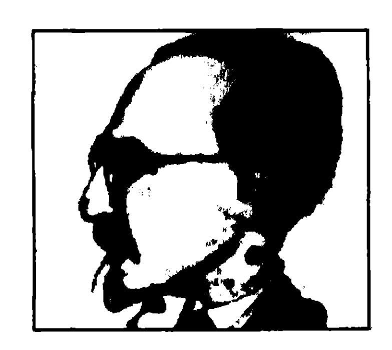
في عام ١٩٥٣ عُيِّن وزيراً للمعارف.

وهو متزوج عام ١٩٣٤ م وله ستة أولاد من زوجته الأولى، وولدان وابنة واحدة من زوجته الثانية.

وبعد كل هذا فهو أديب وله كتب مطبوعة.

وله مجلس يجتمع فيه مساء كل جمعة في داره المطل على نهر دجلة في محلة كرادة مريم وجوه وأدباء وعلماء بغداد (ت ١٩٨٨).

د. عبد المجيد القصاب



ولندع الدكتور القصاب يتحدّث عن سيرة حياته، التي أنفذها إلى جريدة (الاتحاد) الصادرة بتاريخ ٣١/ ١٠/ ١٩٨٧ حيث قال:

ـ وُلِدت في ٢٣ تشرين الأول عام ١٩٠٧ في دار جدي لأبي السيد محمد العبد اللطيف. وذلك في محلة سوق حمادة بجانب الكرخ في بغداد. وأبي هو عبد العزيز القصاب. الذي كان وزيراً لعدة وزارات في عهد الملك فيصل الأول وفي الوزارات التي ألّفها السادة عبد المحسن السعدون وناجي السويدي وجميل المدفعي، ثم كان نائباً عن بغداد ورئيساً لمجلس النواب في العديد من المرات. واستقال من آخر رئاسة للمجلس في عام ١٩٤٨ احتجاجاً على معاهدة بورتسموث، وذلك لعدم استشارته في عقدها، ثم على ضرب المتظاهرين واستخدام الوسائل القهرية في ثني عزيمتهم إبان الوثبة الكبرى... ومع بداية عام ١٩١٢ بدأت، في دراسة القرآن والحساب لدى كتّاب بغداد، ثم التحقت في الصفوف الأولية للدراسة الابتدائية في عام ١٩١٤ وذلك في مدرسة السماوة الابتدائية، وما لبث أن استكملت ذلك في مدرسة (النمونة) التركية في الكريمات بجانب الكرخ، وكان أبي آنذاك قد عهد بي إلى أعمامي عندما كان يتقلب في الوظائف الإدارية ويجاهد في صفوف المجاهدين في الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩٢٢ كنت قد أنهيت دراستي الابتدائية ودخلت ثانوية بغداد المركزية لأنتقل بعدها إلى ثانوية الموصل عندما تعيَّن والدي متصرفاً فيها... وفي عام ١٩٢٦ بدأت رحلتي مع دراسة الطب واللغة الفرنسية في المعهد الطبي العربي في الجامعة السورية، ومعها بدأت أولى اتصالاتي برجال الحركة القومية والالتحاق في صفوف التنظيمات القومية... وبعد مرور أربع سنوات انتقلت بشهادة التعادل إلى إكمال الدراسة في جامعة (مونبليه) في فرنسا، وأكملت دراستي عام ١٩٣٤

لأعود بعدها إلى الوطن، حيث بدأت رحلتي الجديدة الوظيفية والسياسية..

❀ ❀ ❀

من دفتر الجيب المؤرّخ ١٢ تشرين الأول ١٩٣٥:

علمنا أن في نية الدوائر المختصة، أن تجعل في كل محلة من محلات بغداد مستقبلاً، مختار أول، ونائب مختار، و(إمامي)، وقد راجعنا، وقابلنا فريق من وجوه محلة (باب السيف) في جانب الكرخ، وهم يرشحون للإمامة في محلتهم السيد الورع؟! كاظم بن عباس الفنهراوي، جليسنا الفكه في مقهى البيروتي، لما يعهدونه فيه من اللياقة والمقدرة، ولما كنا نحن أيضاً ممن يتوسمون فيه هذه الكفاءة النادرة، لهذا نرشحه آملين أن تنصّبه الدوائر المختصة خدمة للدين والعلم والأدب ولأبناء محلته.

ولما كنّا نتوقّع فوزه بهذا المنصب لذا بادرنا إلى تهنئته سلفاً بهذه الأبيات:

هنيئاً لهل (باب السيف) (إمامهم) خيِّر، ظريف[٤]

❀ ❀ ❀

هنيئاً لهل المَحَلّه (كاظم)، كاتب، و(ملاّ)
يشفي بـ (طَرَفه) العِلّه ويسرط على ريگه أرغيف[٥]
مثله لا تظن مغوار أبو هِمّه، وبحر تيار
يِفْتِلّ دائمي (كنبار) ولا يدغش حَبِل باللِيف[٦]

❀ ❀ ❀

هوامش

(١) ورد في الصفحة ٨٥ من كتاب الأستاذ أمين المميز (بغداد كما عرفتها) ١٩٨٤ وصف طريف له، قال: «إلى يمين الداخل إلى سوق (المولة خانة) يقع دكان (حسون أبو الجبن) المختص ببيع أجود أنواع الجبن الكردي، والجبن الأوشاري والجبن المثوّم، وكذلك العسل والشهدة وما شاكلهما. إن حسوناً هذا هو شاب نابه قدم من (عانة) صغير السن، وعمل في (المولة خانة) بائعاً للجبن سنين طويلة، وكان من الرعيل الأول من الذين تكلموا بالاشتراكية، ولذلك سمّى دكانه (حانوت الاشتراك) وقد انضم إلى جماعة الأهالي، في الثلاثينات. كنت أقضي ساعات طويلة في دكان حسون نتناقش ونتجادل حول المعتقدات السياسية الحديثة، وكان أسلوب حسون في الجدل والمناقشة مقنعاً وممتعاً جداً».
أقول: رأيته مرة يرتدي كفناً على رأس مظاهرة في باب الآغا، كتب عليه بالدم شعارات وطنية وقومية أذكر منها: لبيك يا فلسطين الشهيدة. إمَّا الموت وهذا الكفن وإما بقاؤك للعرب. ـ المؤلف ـ

(٢) السمندل: طائر يكثر وجوده في الهند.

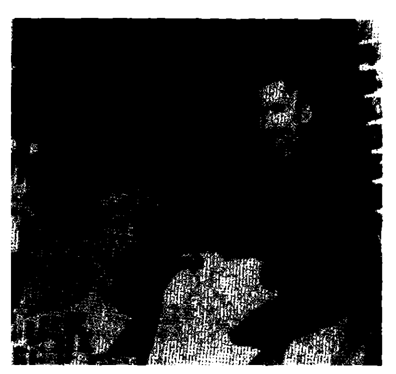
(٣) هذه النادرة رواها لي نسيبي السيد عبد الصاحب الريس، حيث كان بيت والده مجاوراً لبيت مجيد أيوب في محلة الشيخ بشار، واطلع بنفسه على ما جرى ذلك اليوم للمرحوم مجيد.

(٤) لهل: لأهل.

(٥) الطرف: المحلة.

(٦) يدغش: يغش.

والمعروف أن الظريف كاظم الفنهراوي يمتهن مهنة فتل وبيع مختلف أنواع الحبال في محلة (باب السيف).



محاورة بين طاهر وباقر ـ نموذج عن قائمقامي أيام زمان ـ إسماعيل العبد والمصوّر الأهلي

من دفتر الجيب المؤرّخ ١ كانون الأول ١٩٣٩:

كان يجلس بالقرب مني في مقهى (عارف آغا) بالميدان، اثنان من الأفندية، وهما يتحدثان بصوت مسموع، الأول يُدعى (طاهراً) والثاني (باقراً)، فأراد طاهر أن يزدري بجليسه باقر، فقال له: باقر كلمة مشتقة من البقرة!؟

فأسرع باقر وأجابه: البقرة حيوان خراؤها (طاهر)!؟ في الهند. فبلعها وسكت، وبعد هنيهة من الوقت، أراد طاهر الانتقام من باقر، فقال له: لماذا لم تحضر الحفلة الفلانية؟ فأجابه: كثرة الأشغال منعتني من الحضور! وحين وجد باقر أن الكرة مهيئة لأن يدخلها في مرمى طاهر، أجابه على الفور:

ـ الحفلة بدونك يا طاهر، مثل جامع من غير طهارة!؟

وهكذا انتصر باقر على طاهر بنقطتين ضد لا شئ بسرعة بديهته وانتباهه، والظلم بالظلم والبادئ أظلم.

❁ ❁ ❁

من دفتر الجيب المؤرّخ ١ نيسان ١٩٢٦:

في إدارة جريدتي، سألني أحد الجلساء من أصدقائي: بصفتك صحفياً، تتطلب مهامه أن يكون موكلاً في فضاء الله يذرعه، ما هو أطرف ما شاهدته في جولاتك الصحفية؟ فأجبته: الطرائف الكثيرة، وإليك هذا النموذج من إداريي أيام زمان:

ـ كان في قضاء (مخمور) قائمقام يدعى عبد الرحمن، وهو (نصف أمي)، يكتب على باب القائمقامية (قه زاي مخمور، كوملي إدارة) ومعناها بالعربية (قضاء مخمور ـ مجلس الإدارة)، ولا أدري كيف أجاز لنفسه ذلك، في حين أن القوانين تحتم أن تكون الكتابة باللغة العربية، وكلمة (لواء) يكتبها (ليواء)، وحاكم الصلح (حاكم آشتي)، ويكتب (بغداد) بهذا الشكل (به غا)، ويكتب عبدالله (عولا)، وقد أحرق الحرث والنسل في عشيرة (بني طي) التي تسكن قضاء مخمور في ناحية (الگوير). واستبدل مختاري عشيرة بني طي بمختارين من محاسبيه، والأغرب من كل ذلك انه ثُبّت بمكانه بالرغم من إرادة المتصرف (المحافظ)، وباقتراح المفتش البريطاني (مستر چاپمن).

كل ذلك يجري ـ طبعاً ـ في حكم لم يخجلوا أن يسموه وطنياً (إحم، إحم) ومن الغريب أنه كان يوقّع بهذا الشكل: (عو الرحمن) أي عبد الرحمن. فهنيئاً لحكومتنا الساهرة على مصالح الشعب، بانتقائها أمثال (حضرته) من الإداريين الأفذاذ.

❁ ❁ ❁

إسماعيل العبد، مراقب بلدي في منطقة القشلة وما جاورها، وكان ظريفاً يلتقي في إدارة جريدة حبزبوز والكرخ وغيرها، أهل الأدب والصحافة والنكتة، وكانوا يستملحونه ويقرّبونه إلى مجالسهم. والعبد كنيته لأنَّه كان زنجياً بالفعل، طويل القامة، أنيقاً في بزته الرسمية. وقد رأيته مراراً في الثلاثينات لأنَّه كان أيضاً من أصدقاء والدي حاتم الكرخي.

ولإسماعيل العبد نوادر كثيرة يحفظها معاصروه، إلاَّ أنني سمعت من والدي واحدة منها، وهي:

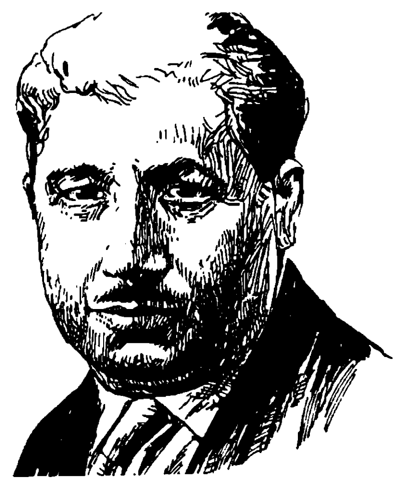
قصد مرةً المصوّر الأهلي المرحوم عبد الرحمن[1]، وطلب أن يلتقط له صورة! ورجاه أن يجتهد في إخراج صورة جميلة له، قائلاً:

ـ عيني أبو قدري، أريد شويه تبيّض وجهي، وبالرتوش تعدّل خشمي الأفنص، أمّا شعري المفلفل فتستطيع بالقلم أن تجعله (سَرِحاً) عدلاً، وشويه رقّع شفافي الغليظة، والعيون انطيها ضوه زائد حتى تبيِّن وكأنَّها ملوّنة، و... و... و... الخ.

كل هذا وأبو قدري يقول له: ميخالف، ميخالف. وأخيراً حبكت النكتة عند عبد الرحمن ـ رحمه الله ـ فقال له: أوگف أبو حقي، صورتك حاضرة،

وأنزل صورة لفاتن النساء (رودولف فالنتينو) كانت معلقة بين مجموعة الصور في جدران الاستديو، وسلمه إيّاها قائلاً: هاك أبو حقي هذي صورتك!؟ فهي تحوي كل توصياتك، فضحك إسماعيل العبد على نفسه وعلى نكتة (أبو قدري)، وقال له: عيوني! لا تزعل، شما يطلع من إيدك آني راضي!؟ ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر.

وبالمناسبة نقول إنَّ المصور الأهلي عبد الرحمن من أوائل المصورين في بغداد، خلال النصف الأول من القرن العشرين وما قبله بقليل، وإن صوره النادرة التي التقطها أصبحت في عداد (الانتِكات) التي يرجع إليها مؤرخو بغداد، وكتاب الفولكلور. هذا عدا ما التقطه من صور لشخصيات العراق السياسية والأدبية والدينية والاجتماعية وغيرها. وكان صديقاً حميماً لكافة الوجوه المعروفة آنذاك ومنهم جدي الكرخي الذي كتب قصيدة طريفة في الثناء على فنه أذكر منها هذه الأبيات:



(قُطْعه) تشوف مكتوبه بهل عنوان | (المصور) أبو قدري (الأهلي) بـ (الميدان)

❀ ❀ ❀

في هذا القطر مو قابل أن ايصير | من أمثال هذا الرجل بالتصوير
تحب؟ إسمه أَعَلمك بيه، ليش اتحير؟ | يم (سواگ الهرج) (عبدٌ إلى الرحمان)
مصوّر مقتدر بالعاصمه مشهور | اسم اچبير حاز اليوم مو منكور
يشهد، آني ما اكتب بشعري زور | ولا عن طمع أنظم مَدِح كل إنسان
إذا أكذب، اتفضّل، أرجو حالاً روح | لمحلّه أتشاهد التصوير عايز روح
بمعاملته كذلكْ، دائمي ممدوح | اسمه اشتهر بالأقطار والبلدان

على أقرانه فاق بهالعمل استاد   جاهَدْ بالمصالح، عمل استعداد
الفرصه اغنموها يا أهل بغداد   اخذوا (رسمكم) عنده، الوقت قد حان

❁ ❁ ❁

ومن مشاهير المصورين في بغداد آنذاك: عبوش، ارشاك، جبوري شامة، أ. كريم، جعفر الحسيني.

هوامش

(١) المصوّر الأهلي هو عبد الرحمن بن محمد بن عارف بن محمود. وُلد عام ١٨٩٤ في محلة الطوب من رصافة بغداد. أكمل الدراسة الابتدائية والإعدادية العسكرية في بغداد، وفي أوائل الحرب العظمى الأولى سافر إلى إسطنبول للدخول في المدرسة الحربية هناك، وعند إعلان الثورة العربية عاد إلى بغداد عام ١٩١٦ واشترك فيها، حيث سافر إلى الحجاز مع مجموعة من الضباط، وبعد الثورة عاد إلى بغداد، ولما كان له إلمام بالتصوير تلقاه من والده محمد عارف، فتح محلاً للتصوير في مدخل سوق الهرج وبقي فيه إلى عام ١٩٢٤ ثم انتقل إلى عدة محلات إلى أن استقر في محله الحالي، توفي رحمه الله عام ١٩٦٠ بعد مرض عضال. وفي محله كانت تنعقد مجالس أدبية يحضرها أصدقاؤه، منهم: نوري ثابت والرصافي وأحمد حقي جبارة وكمال السنوي وخلف شوقي الداوودي وغيرهم.

نموذج من نواب المجالس السابقة ـ من نوادر المصوّر الأهلي ـ حجة الأقوياء (پرنس أوف عگرگوف) في مصر ـ من كلام البسطاء في البصرة

من دفتر الجيب المؤرّخ ١٢ كانون الثاني ١٩٣٧:

سافرت في مهمة صحفية إلى (السماوة)، ولما كانت مهنتي الشاقة تقضي عليّ أن أتوجه إلى (الشنافية) فقد سعيت إليها، وفي الطريق هبطت على مضيف قيل إنه لأحد الرؤساء، وكان البرد قارصاً، فجلست القرفصاء في المضيف المذكور منتظراً مَن يستقبلني، فلم أجد أحداً، وبقيت حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، فجاء أحد الأعراب بالغداء وكان عبارة عن خبز من الذرة السوداء، وقليل من التمر اليابس (الجسب)، فأخذت عصاي وخرجت لا ألوي على شيْ ... سرت بجانب النهر قاصداً مكاناً آخر، خوفاً من بقائي تلك الليلة في ذلك المضيف!؟ بدون فراش أو غطاء، فصادفت في طريقي راعياً يصرخ ويولول: (راحن الجويمسات... أويلاخ) فتقرّبت منه مستفسراً عن الموضوع، وبينما أنا أحدّثه، وإذا بشخصٍ أسود الوجه، قد شوّهه الجدري، يرتدي من الألبسة أجودها، سحب الراعي من تلابيبه، وأمره بتسليمه عباءته، ثم انتزع بقية ملابسه الثقيلة فارتداها، وكمَن في (البردي) ليحمي نفسه من تيارات الهواء البارد، بعدها سألت الراعي عن صاحب المضيف الذي مررت به، فأجابني: إنّه هذا الشخص الذي سلبني ملابسي، وهو نفسه الذي خبّأ نفسه عن الضيوف (الخطار) حين قصدت مضيفه، فهو معتاد على ذلك، بعد ذلك عرّجت على (غماس) فـ

(الشنافية) وهناك حللت ضيفاً على رئيس بلديتها عبد الحميد الحاج حسن، فرويت له الحادثة، فأجابني. إنَّ الشخص الذي حدّثتني عنه ـ صاحب المضيف ـ!؟ هو واحد من النواب المزمنين في المجالس النيابية، فتصوّر!؟

❀ ❀ ❀

من نوادر المصوّر الأهلي المرحوم عبد الرحمن عبد الرحمن محمد عارف، التي رواها لي ولده قدري بتاريخ ٢٨/١/١٩٨٧ م ما يلي:

١) اعترض أحد الزبائن على صورته بحجة أنها غير جميلة، وعبثاً حاول عبد الرحمن إقناعه بأنَّها مطابقة لصورته الحقيقية، ولكن بدون جدوى، فالزبون يلح وعبد الرحمن يتجمل بالصبر، وفي لحظة حدّة، قال للزبون: صورتك لا غبار عليها، لكن إذا الله (گالب چهرتك) بهالشكل! إي، متگلي آني شسوّيلك؟!

٢) ومن المفارقات التي صادفتها في (الاستديو)، أن زبوناً له أعمى، كان معتاداً على أن تؤخذ له في كل أسبوع صورة مع عدد من البنات يجلبهن معه، وبعد ظهور الصورة، كان يستدعي صديقاً له ليصف له الوضعية، وهو يفرح ويفرفش وكأنَّه يراها بنفسه، وهذه العادة الشاذة ظلّت ملازمة له قرابة العام، ثم اختفى ولم يعد إلى (الاستديو) فيما بعد. وكان (أبو قدري) يقول له: سوف ألتقط لك صورة، تظهر فيها عيونك وكأنَّها مبصرة، وفعلاً كان يتقدّم من عينيه ويفتحهما بأصابيعه، والبصير يُصدّق ـ من كل عقله ـ فيرتاح نفسياً، ولله في خلقه شؤون!؟

❀ ❀ ❀

من دفتر جيب الشاعرالكرخي المؤرّخ ١ شباط ١٩٣٩ م:

بعد انتصار الألمان على الفرنسيين في حرب السبعين، فرض القائد الألماني غرامات حرب، تؤدّى ذهباً، فأحضر ميزاناً، ووضع العيار في كفة، وأخذ الفرنسيون يضعون الذهب في الكفة الثانية، وحين تتعادل الكفتان يأمرهم بوضع المزيد من الذهب. فقالوا له: يمعود[1]، الوزن زاد!؟ أكثر من اللازم!؟ فما كان من القائد الألماني إلاَّ أن وضع سيفه في كفة العيارات، تذكيراً لهم بأن الحق للقوة، أما الضعيف فمهما كانت حجته قويّة فلا يؤخذ بها. ويختم الكرخي ملاحظته هذه بهذا البيت الذي اتخذه شعاراً لجريدته:

إذا لم تكن ذئباً على الأرض أجردا　　　كثير الأذى بالت عليك الثعالبُ

❀ ❀ ❀



حسن السهيل

من دفتر جيب ١ شباط ١٩٣٩:

قال السيد عبد الهادي الپاچچي: في مصر أقاموا لنا حفلة، وكنا من بين أعضاء المؤتمر الطبي، فدخل (پرنس أوف عگرگوف) الشيخ حسن السهيل(٢) وهو مرتدٍ بدلة (فراك)، فقال له علويّه پاشا: كنت أود أن تجلس على الطاولة بلباس عربي، شأن الأوروپيين الذين لا يغيرون زيهم الوطني، وكم كنت أتمنى أن تتزيا بزي الشيخ عجيل الياور(٣)، رئيس قبائل شمر، الذي رفع بزيه هذا اسم العروبة عالياً، ولو حافظنا نحن جميعاً على تقاليدنا لما أضعنا سيماء وخصائص عروبتنا.

❁ ❁ ❁

جاء في دفتر الجيب المؤرّخ ١٠ حزيران ١٩٣٧ ما يأتي:

كنت راكباً في أحد الزوارق العشارية بالبصرة مع جمع من الناس السود، فنادى على صاحب الزورق زميل له، يطلب منه حاجة، فأجابه هذا:

ـ انتظرني، راح اوصّل (الخصايا) وأجيك!؟

وحين وصل الجانب الآخر من شط العرب، انهال هؤلاء عليه ضرباً وشتماً، في حين أنه تكلم بحسن نية، ولم يتقصد في إهانة ركابه السود. ولولا وجودي وتدخلي في فض النزاع لحصل ما لا يحمد عقباه.

❁ ❁ ❁

هوامش

(١) يمعود: يا مَن عوّدت الناس على فضلك.

(٢) الشيخ حسن السهيل: وُلِدَ في عكركوف (الكاظمية) سنة ١٨٨٩ م وهو رئيس عشائر تميم الشهيرة، انتخب نائباً في المجلس النيابي سنة ١٩٣٢، وجدّد انتخابه سنة ١٩٣٥ وقد اشتهر بضيافاته وكرمه، وهو من أصدقاء الكرخي الذي داعبه بالعديد من القصائد التي كان يتلقاها بصدر رحب، وهو الذي أطلق عليه لقب (پرنس أوف عگرگوف).

(٣) عجيل الياور: الشيخ عجيل الياور من كبار رؤساء العشائر العربية في العراق، كما أن عشيرته التي يرأسها من كبرى العشائر وأوسعها، وهي قبيلة شمر القاطنة في أرجاء الموصل، له اهتمام عظيم في تحضير عشيرته وترقيتها والتقدم بها في مضمار التعليم، وقد أنشأ في مضاربه عدة مدارس لمكافحة الأمية وتعليم مبادئ العلوم، ويمتاز بثقافته الواسعة واطلاعه ما بين شيوخ العشائر ورؤسائها.

لماذا غضب الجواهري من البراك؟ ـ ماذا قال البراك لحسين مردان[1] ـ البراك في ضيافة رؤوف الجبوري

(استوديو) المصور الأهلي، مجلس أدبي (مصغّر) يحضره الكثير من الأصدقاء والأدباء والصحفيين، تدور فيه مختلف الأحاديث والطرائف الشائعة، ولاسيما في حياة مؤسسه المرحوم عبد الرحمن محمد عارف، وظلَّ هذا الاستديو كذلك، بعد وفاته، وانتقال إدارته إلى ولده الأستاذ قدري. مرة روى لي الصديق قدري عدداً من الطرائف الشائعة عن الصديق الأستاذ عبد القادر البراك أذكر منها ما يلي: في الخامس من كانون الثاني ١٩٤٦ م، أقيم حفل تأبيني كبير في صالة (سينما غازي)[2] بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الزعيم الوطني المرحوم جعفر أبي التمن، شارك فيه عدد من شعراء وخطباء العراق، من بينهم الشاعر المجلّي محمد مهدي الجواهري. وقبل بدء الحفل، عرج الجواهري على مقهى (حسن العجمي) في الحيدرخانة، فلمح صديقه البراك جالساً مع قدري عبد الرحمن، وهو يدخن (النارگيلة) وبيده (القمچي)، فسعى إليه. وبعد السلام والكلام، قال للبراك: نظمت قصيدة رائية في تأبين أبي التمن، وسألقيها اليوم في الحفل. فأجابه البراك: هل لك أن تسمعنا شيئاً منها يا أبا فرات؟ فقرأ المطلع وشيئاً منها:

طالت ولو قصرت يد الأقدار   لرمت سواك عظمت من مختار

ولما وصل إلى قوله:

رمت العمايات العيون وصكّت الأسماع (صافرة من الإنذار).

ضحك البراك، فامتعض الجواهري وقال له: لماذا تضحك؟ فأجابه: هوّن عليك، أبا فرات، لماذا لا تقول: (صفارة الإنذار) على وجِه؟ فطوى الجواهري أوراقه غاضباً وقال للبراك وهو يترك المقهى:

ـ گوم. . . آني إلمن (لمن) دا أقره شعر؟

(وحسبي أعلمني الأخ قدري أن الجواهري يحترم ملاحظات البراك، فإذا وجد بعضها وجيهاً أخذ بها).

❀ ❀ ❀

كانت جريدة (الأهالي) بحاجة إلى محرّر، فكلّف المرحوم كامل الچادرچي، رئيس التحرير المرحوم عبد المجيد الونداوي بذلك، وكان للونداوي صديق، هو المرحوم حسين مردان، فعرض اسمه على الچادرچي، إلاّ أنه كان يرجح أن يعمل البراك معه، وفي اليوم الثاني حضر المرشحان إلى إدارة الجريدة، فدخل الونداوي على الچادرچي مستفسراً عمَن يرشحه منهما، فقال له: أرشح عبد القادر البراك[٣] فهو أجدر من صاحبه بهذا العمل. ثم خرج الونداوي وأفهمهما بالكيفية. فانصرف حسين مردان أولاً، وقبل خروجه من المبنى، قصد (دورة المياه) لقضاء حاجته، وتصادف أن دخل البراك بعده، ففتح باب الدورة، وإذا بصاحبه في الداخل، فارتد، وحبكت النكتة عنده، فقال لحسين مردان: ـ هاي ما صارت ويّاك. . . لِهْنا ولاحگني!؟ (إلى هنا تلاحقني).

❀ ❀ ❀

المرحوم رؤوف الجبوري[*]، شاعر جيد، وصحفي معروف، أصدر مجلة (الحكمة) عام ١٩٣٦، ومجلة (الغد) عام ١٩٣٧، وجريدة (الحلة) في نفس العام، وكان يُلقّب بـ (النبي)، نظم قصيدة عينية مكشوفة بعنوان (الراهب الأصلع) انتشرت في الأوساط الأدبية، حتى حفظها الناس عن ظهر قلب، ومطلعها، كما أتذكر:

علـى رسـالـك (البـيـر)	إلـى الأوتـيـل كـي نـكـرع
ودعـه يـدخـل الـديـر	وهـذا الـراهـب الأصـلـع
فـإن شـئـت بـشـلـشـيـه	وإن شـئـت بـه أجـمـع

وكان يتعمد التحدث بالفصحى، ويبالغ في ذلك، حتى أنه كان إذا ارتاد المقهى، قال للنادل: أحضر لي قدحاً من (عاذل كُف)، يريد (لايم جوز) وهو عصير الليمون، فاللايم اللائم، وجوز بالعامية بمعنى كُف.

زاره مرة صديقه البراك في الحلة، دون سابق موعد، ولما كان يعرف أن صاحبه كان آنذاك ـ من هواة (حليب السباع)، قدَّم له كأساً منه، وهو كل ما كان لديه تلك الليلة، وخرج إلى السوق لشراء قنينة، وأوصاه أن (يتلهّى) بهذه الكأس لحين عودته من السوق، وعندما عاد وجد ضيفه، قد أجهز على الكأس، فلاطفه قائلاً:

ـ شدعوه هالسرعة؟ غير تشرب (كشتبان، كشتبان) إلى أن أجيك، أشو أنت جرّيته فد جرّه!؟

فضحك الجميع، وأمضوا ليلة (من العمر) حتى الصباح، تخلّلتها صنوف النوادر والأفاكيه والشعر والأدب.

أقول الكشتبان يتخذه الخياطون في أصابعهم لدفع الإبرة، واتقاء وخزها.

هوامش

(١) حسين مردان: وُلِدَ في مدينة طويريج (الهندية) عام ١٩٢٧، ونشأ في قضاء الخالص، ونزل في بغداد عام ١٩٤٧، وفي عام ١٩٦١ رشح للمساهمة في مؤتمر موسكو لنزع السلاح، نظم الشعر ونشره في الصحف، توفي عام ١٩٧٢ م. وهو وجودي النزعة، له مؤلفات منها (أغصان الحديد) و(الربيع والجويح) و(رجل الضباب) و(عزيزتي فلانة) و(اللحن الأسود) و(هلاهل نحو الشمس) و(قصائد عارية) و(رسالة من شاعر إلى رسام) و(مقالات في النقد الأدبي) و(نشيد الإنشاد) وغيرها.

(٢) سينما غازي، هدمت وأضيفت إلى حديقة الأمة، في ساحة التحرير، خلف جدارية النحات الراحل الفنان جواد سليم (١٩٢٠ ـ ١٩٦١).

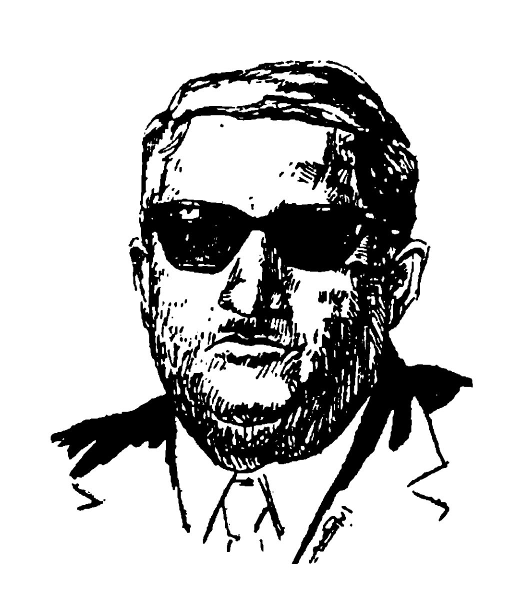
(*) المحامي رؤوف الجبوري ابن حسن بن جبوري ـ بالتشديد ـ بن ملا حمد بن جارالله الشوك، بغدادي الأصل، وأمه من أسرة بغدادية تُعرف بآل الطحان، وُلِدَ في كرادة مريم سنة ١٣٣٠ هـ وتوفي في بغداد سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، وتوجد محل صغيرة في كرادة مريم تدعى (الشوكية) نسبة إلى عائلة الشوك.

(٣) هو عبد القادر بن أحمد بن براك، والبراك لقبه، وُلِدَ عام ١٩٢٣ في إحدى محلات الكرخ العريقة وهي محلة (الست نفيسة). دخل مدرسة (دار السلام الابتدائية) في الكرخ ثم التحق بإعدادية الكرخ، ولم يكمل دراسته بيد أنه بدأ بتثقيف نفسه ثقافة أدبية عالية من خلال قراءة أمهات الكتب العربية القديمة والحديثة. وفي الأيام الأخيرة من الثلاثينات انضم إلى أسرة تحرير جريدة (العراق) للمرحوم رزوق غنام، ثم انتقل إلى جريدة (الرأي العام) للجواهري، بعدها اشتغل بجريدة (الأهالي)، ثم في جريدة (الأخبار) لجبران ملكون وغيرها من الصحف. وبعد الحرب العالمية الثانية أصدر جريدة باسم (الأمالي). وتنقّل بين الصحف العراقية وأشغل فيها أخطر المراكز، من رئيس تحرير إلى سكرتير تحرير وأصبح اسمه من الأسماء اللامعة في سماء الصحافة. ثم اشتغل سكرتيراً لجريدة (الجبهة الشعبية)، ثم تولّى سكرتارية تحرير جريدة (الدفاع) حتى إغلاقها عام ١٩٥٤، وكان يمتلك امتياز مجلة باسم (الميثاق). وعند قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كان محرراً في جريدة (الأخبار) وبعد إغلاقها عاد إلى (الأهالي). وفي عام ١٩٦٢ أصدر جريدة (الأيام) التي تحوّل اسمها إلى (البلد) بعد ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ حيث جمعت رصانة (الأهالي) وأدبيات (البلاد) وتنوّع (الأخبار). وهو أحد مؤسسي وكالة الأنباء العراقية عام ١٩٦١،

وبعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ اشتغل في جريدة (الجمهورية) حتى طلبه التقاعد ١٩٧٩ ليبدأ بجهد أدبي جديد، يتجسد بكتابة المقالات الأدبية والتاريخية. والبراك بغدادي كرخي أصيل، غاية في الوفاء والتواضع والخلق الرصين، أمد الله بعمره لخدمة الصحافة والأدب.

«بتصرف، من مقال السيد رفعت عبد الرزاق محمد، المنشور في جريدة (الاتحاد) بتاريخ ١٥/١/٨٧».

توفي المرحوم عبد القادر البراك، يوم الخميس ٥/١/١٩٩٥ م.



التعبير عن الظلم في الشعر العفوي ـ الدكتور فائق شاكر مدير المطار المدني ـ من نوادر عبدالله الخياط ـ سطور مضيئة في دفاتر جيب الكرخي

(دفتر الجيب المؤرّخ ١ تموز ١٩٣٨):

لاحظت، أن الشعور بالظلم والعسف في ظل الإقطاع متفجر في نفوس الفلاحين والفلاحات، ويظهر واضحاً في أحاديثهم وأغانيهم وهوساتهم، عندما يختلون بأنفسهم، أو يكونون في مأمن من سطوته، فعندما رجعت من (بداع السعيد)، في طريقي إلى (الدغارة)، صادفت أعرابية ماشية في الطريق، وهي تغني بلهجتها الريفية هذين البيتين، فأعجبتني وأخذت أردّدهما خلفها، حتى حفظتهما:

وِمْـنِ (الـسـعـيـد) وجـيـت، خـطـوه الـدرب صـار
غـنّـن وإمـشـن حـيـل، مـا ظـل شـي لـلـدار
ظـلـم وعَـسِـف هـل دار أصـبـحـت سـوده
لا (مـيـري) مـطـلـوبـيـن لا بـاچـي (كـوده)

وتعني بالميري الضرائب الأميرية الحكومية، أمَّا الكودة فهي الرسم الذي تتقاضاه الحكومة من الناس، وكلمة باچي بلهجة أهل الريف هي (باقي)، فكل قاف يقلب إلى جيم بلهجتهم، أمَّا جيت فتعني جئت.

❀ ❀ ❀

(دفتر الجيب المؤرّخ ١١ نيسان ١٩٣٤):

هبط أحد السواح الأجانب في مطار المثنى، الذي كان محلياً ودولياً ـ قبل إنشاء مطار صدام الدولي الحالي ـ وكان الدكتور فائق شاكر[١] حاضراً، فقام بتسهيل أمر هذا السائح، لأنَّه يتكلم اللغة الإنكليزية بطلاقة، ولأن هذا السائح كان من الشخصيات المهمة آنذاك، فقد طلب إليه أن يذكر أهم ما شاهده عند نزوله في مطار بغداد، فكتب في دفتر الزيارات ما يلي:

أعظم ما شاهدته هو مدير المطار، طبيب العيون، الدكتور فائق شاكر!؟

❀ ❀ ❀

(دفتر الجيب المؤرّخ ٤ حزيران ١٩٣٥):

ارتكب نجم، ابن عبدالله الخياط، الظريف المشهور، مخالفة أزعجت والده، فعنفه، وهجم عليه بقصد تأديبه، بالعجول والچلاقات، فانهزم نجم من أمامه، وركض أبوه وراءه، ولما كان نجم يعرف أن والده يكره الدخول إلى الجوامع، فقد دخل جامعاً، وفي بابه وقف أبوه، وصاح بابنه:

ـ ابن الزانية.. إطلع، لا تخلّيني ادخل هل (مهجوم)!؟ تالي شيبي.

❀ ❀ ❀

زرت صديقاً لي في الحلة، فنادى على طفله البالغ من العمر ثلاث سنوات، وقال له: هذا ملا عبود الكرخي، الذي تخوفك به أمك لتنام، فلما سمع الطفل بذلك، فرَّ هارباً من خوفه.

❀ ❀ ❀

أعاد لي أحد المشتركين الجريدة بالبريد كاتباً عليها (توفي)، وبعد مضي عام، شاهدته (حياً)، فقلت له: تقول إنَّك توفيت، فكيف عدت إلى الحياة؟ فأجابني: رجعت إلى الحياة بقدرة القادر! فقلت له: إذن، إخبرني، كيف وجدت جهنم؟ وهل رأيت فلاناً وعلاناً من أمثالك؟

❀ ❀ ❀

أشيع أن الجاسوس البريطاني، الذي أعلن إسلامه!؟ فأصبح اسمه (عبدالله فلبي)[٢] قد مات، فأسرعتُ بنظم هذه الأبيات في رثائه:

أدعو من قلبي وربّي	يغفر للـ (عبدالله فلبي)
اليوم هذا الرجل حَبّه	أيُّها الإسلام ربّه



حبواً أشهد على اركبّه   يروح للفردوس يحبي
ودّي أن أفتهم منّه   ونُصح انطيه لا ايتعنّه
إذا فكره إلى الجنة   يروح، خَلْ يدخل بجعبي

❀ ❀ ❀

قيل لي: لماذا لا تشتري سيارة وتريح نفسك من العناء، سيما وأنّك كثير التجوال؟ فأجبتهم ارتجالاً:

اهنا يا المسرع بممشاك وانه

(تأنّى)

اتم انعي عليك الدهر وانه

(أوِن، من الأنين)

الناس اشترت سيارات وانه

(أنا)

أهرول شبه كلب الكاوليه

❀ ❀ ❀

سُئل مرة، عندما تشكّلت مفارز شرطة الأخلاق في الثلاثينات:

ـ ملا: شرطة الأخلاق شنو؟

فأجاب: يريدون ينطوهم (معاش ثاني)؟؟!

❀ ❀ ❀

قصد أحد المشتركين مطالباً إيّاه بتسديد البدل، فلم يجده، وحاول كثيراً العثور عليه ولكن بدون جدوى، ومرة رأى واحداً من خاصته فقال له: إخبر

فلاناً بأنني سوف أقيم في المقبرة بانتظاره، يعني قابل هناك هم ما يجي؟؟! (أيضاً لا يجيء).

❁ ❁ ❁

أحد المترفين أراد أن يكتب اسمه على عريضة يقدّمها إلى دائرة (الطابو) التسجيل العقاري فنسي اسمه، وكان طفله بصحبته، فسأله:

- إبني! آني شسمي؟ (ما إسمي).

فأجابه الطفل ببراءة: اسمك بابا!؟ يا بابا!؟

فما كان من صاحبنا إلاً أن كتب في ذيل عريضته: بابا، ووقّعها ثم قدّمها.

❁ ❁ ❁

من النساء من هُنّ حاضرات الجواب، ومنهن على العكس (بودلات) أي خفيفات العقل! ومن ذلك أن واحدةً، جاء زوجها إلى البيت وقت الغداء، فطبخت له (حنيني) وهو تمر وبيض ودهن. وقدّمته في صينية، وكان لهما طفل صغير ما زال يزحف، فلما رأى والده، وهو يأكل، أخذ يزحف نحوه، فنهرته أمه (البودلة):

- إرجع! إرجع، أبوك وياكل (ععّه)؟! (براز).

فقد علّمته بأن (الععّه) لا يجوز أكلها أو التقرّب منها.

وفعلاً توقّف عن الزحف، إلاً أن والده نفض يده وقام مشمئزاً.

❁ ❁ ❁

قيل لي، لقد هاجمت بشعرك الذي يصحبون أطفالهم في الولائم، ولم تذكر بشيئ ، الفضوليين الذين يحضرون الولائم بدون دعوة، وأقول لهم في الطريق الكثير ممّا تحبّون. وإليكم (العربون): دُعي أحدهم لوليمة، فقال له صديقه (الفضولي): خُذني معك. فأجابه: صاحب الوليمة لا يعرفك! فقال: لا ، إنَّه يعرفني جيداً. ونتيجة لإلحاحه وافق على أخذه معه. فلما حضرا، حاول الداعي معرفة (الفضولي) دون جدوى، فالتفت إلى صاحبه المدعو وسأله بغضب: مَن هذا الكلب ابن الكلب الذي معك؟

فابتسم الفضولي وقال لصاحبه: ألم أقل لك إنَّه يعرفني ويعرف والدي!؟

❁ ❁ ❁

الأستاذ أحمد حامد الصراف[٣] يقول لي بمحضر من الأصدقاء والأدباء دائماً:

ـ حين تموت، أبو نجم، وما إلك خلف!؟ (ويقصد بالشعر الشعبي).

❀ ❀ ❀

اللحن اللغوي الذي سمعته في أسطوانة مقام (السيگاه) لمحمد الگبنچي، غير مقبول منه، فقد قرأ بيتاً من الشعر، بالشكل الآتي (فإنَّ أحاديثُ الغرام مدامي) وصحيحه (فإنَّ أحاديثَ) أمَّا مقام (الأورفه) فكان (مخربطاً)، قرأه تارة باللهجة المصرية، وأخرى عراقية، وطوراً (مخلّط محيه)، فأسفت كثيراً.

❀ ❀ ❀

سمعت بأذني الياكلها الدود باچر، قائمقاماً يتكلم مع المتصرف (المحافظ) ويقول له: أنا (والدتي)، ويعني بذلك إنَّه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

❀ ❀ ❀

(ابن الحميدي) تاجر قماش من (النجف)، يتعامل مع أهل (المشخاب). بعد ثورة العشرين، أخذ يطالبهم بتسديد ما بذمتهم، في حين أنهم وبسبب الثورة أصبحوا غير قادرين على الدفع، فقالت واحدة من نساء (المشخاب) هذا البيت من الشعر:

شبني وشحط بالبيت، وشنطي (الحميدي)
شدعي أعلى (سيدنور) و(ابن السويدي)

ويظهر أن البيت الذي كانت تسكنه، انهدم أثناء العمليات العسكرية بين الثوار والإنكليز، ويحتاج إلى إعادة بناء أو ترميم، وتدبير بعض الضروريات من الأثاث، لهذا نراها تقول ما معناه: ماذا ابني، وماذا أضع في البيت من المتطلبات الضرورية، وماذا أعطي إلى (الحميدي)؟ وأنا في حالة يرثى لها من الفقر. (شبني: ايش ابني)، ماذا أبني.

❀ ❀ ❀

مما قاله حضرة الشاعر المفلق!؟ أمين خزينة (الشامية) سعادة حسين أفندي، في رثاء المرحوم السيد علي أبو طبيخ:

سيد صحيح، عالم منتخب ذوي النجابة، أنجب الأنجاب
ذكرتَ الدنيا في وقت الشباب دخلتَ الجنات بغير حساب

من هذه الكأس كلٌّ يشرب شراب   الدنيا حماره آخرها يظهر خراب

❁ ❁ ❁

قابلني ناجي باشا السويدي يوم ١٥ أيلول ١٩٤٠ وكان وزيراً للمالية، فقال لي: «أحسنت على هذه السدارة الوطنية المصنوعة من جلد القوزي[٤]. ارسل لي واحدة حتى ألبسها وأعمم لبسها بالمالية».

❁ ❁ ❁

راجعت مكتب المحامي توفيق الفكيكي امرأة تروم توكيله في دعوى، وحين دخلت المكتب، كان الفكيكي يفتش عن معاملة في رفوف المكتبة، وظهره باتجاه المراجِعة، فقالت له: عيني! زغيرون، وين المحامي؟ ولما أدار وجهه، وقال لها أنا المحامي، صرخت من هول المفاجأة:

ـ بَهْ يُمّه... أنت رجّال!؟ عبالي زغيرون!!

❁ ❁ ❁

كم مرّة قلت: إذا يقرأ رشيد القندرچي مقاماً عليه أن لا يقرأ: (قريض)، فقد سمعته يقرأ همزية (أبي نؤاس):

دع عنك لومي فإنَّ اللوم إغراءُ   وداوني بالتي كانت هي الداء

فأخطأ ولحّن وشوّه القصيدة، لأنَّه أمي. فالأوفق أن يقرأ:

(ويلاد برخ البروخ المطلجين احنه)
(دارگابنه گنطره للي يسامحنه)
(واسيافنه مشهرة للي يگابحنه)
(لو ذاب عود السفرجل ما نذوب احنه)

ففي العراق وفود وأناس غرباء، فماذا يقولون حين يسمعونه يلحن؟

❁ ❁ ❁

سُئل مرة: لماذا انقطعت عن إلقاء قصائدك في الراديو؟ فأجابهم:

غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد   لغزليَ نساجاً فكسّرت مغزلي

❁ ❁ ❁

أخبرني أحد المصطافين من الطلاب في سوريا، أنه زار الأستاذ نوري ثابت (حبزبوز) فوجده يتمتع بصحة متقدمة، وقال إنَّه ـ أي نوري ـ دخل (شاغور حمانه) وأخذ يتفرس بوجوه الواقفين والجالسين بغية العثور على مَن يعرفه من

إخوانه العراقيين، وإذا به يرى شخصين يرتديان البدلة الإفرنجية، وكل منهما يتأبط إحدى بنات الهوى (أرتيست)، ولما تفرس بوجهيهما فإذا هما (پرنس أوف عگرگوف) و(شعلان السلمان الظاهر)، وقد سافرا للاصطياف بالفلوس التي قبضاها (على الأخضر) من الناس لقاء الحنطة والشعير، والتي يبددانها على بنات الهوى في الخارج.

❀ ❀ ❀

روى لي الحاج مجيد مكية[٥] هذه الرواية الطريفة:

(ع.م) من البخلاء المعروفين في جانب الكرخ. وجد (فانيلة) قديمة مطروحة فوق المزبلة، فأخذها، و(خيّط) منها زوجين من الجواريب له، شاهدتها في مقهى البيروتي في ساقية.

❀ ❀ ❀

روى لي حبزبوز، في إدارة الجريدة هذه الرواية في معرض الحديث عن نوادر المترفين: ملا نصر الدين، كان يتناول الغداء في بيته، فجاءه مَن يخبره بأن حمارة فلان ولدت كرّة بدون ذيل، فترك الغداء محزوناً، وحين سئل عن السبب، أجاب:

- باچر الكُرّة تكبر، وتوگع بالطين، منو ايشيلها إذا ما عِدهه ذيل؟ (عِدْهه: عندها).

❀ ❀ ❀

نظمتُ هذه الأبيات، عندما سمعت بأن صديقي و(ابن ولايتي) أحمد نسيم سوسة[٦] أعلن إسلامه عام ١٩٣٦ :

أيُّـهـا (الـدكـتـور أحـمـد)	شبـل (سوسه) الوفي الأوحد
هـذا (أحـمـد) نـجـل (سوسه)	(عـاليـه) روحـه، ونـفـوسـه[٧]
لـلأدب شـارب كـؤوسـه	احـشـم واشـيـم وأمـجـد
يُـمُـرْ ذِكْـرك يـا (نـسـيـم)	عـالـمَـلا أنـقـى نـسـيـم
حـلـيـم، ذو قـلـبٍ سـلـيـم	فـيـك كـل الـنـاس تـشـهـد
يـا سـمـيّ الـنـبـي الـمُـرْسَـلْ	أحـمـد الـهـادي الـمـبـجّـل
فِـزِت فـي فـكـرك الأمـثـل	إي وحـگ ربـك الـيُـعـبـد

❀ ❀ ❀

هوامش

(١) الدكتور فائق شاكر كان طبيباً كحالاً، وكان بطيناً، إلى القصر أميل، عفيف اليد والذيل، وكان من أمراء الفكاهة، يتصيد النكتة، ويعجب بها ويرويها، ولو كانت على نفسه، مارس الطب زمناً، ثم تقلّب في مناصب عدة، منها أمانة العاصمة، ومديرية البرق والبريد العامة ومديرية المطار المدني.

(٢) فلبي: هو العميد سانت جون هاري فلبي، وُلِدَ عام ١٨٨٥ م وتوفي عام ١٩٦٠ م، من الخبراء الإنكليز في القضايا العربية والتاريخ العربي ومن أوائل الذين جازفوا ـ في حينه ـ بعبور الربع الخالي الصحراوي، عمل إلى جانب الثورة العربية في الحجاز، اعتنق الديانة الإسلامية وأطلق على نفسه اسم عبدالله فلبي، عُيِّن في أواخر مناصبه مستشاراً للملك الراحل عبد العزيز السعود.

(٣) أحمد حامد الصراف: هو أحمد بن حامد بن موسى بن أحمد بن موسى بن أحمد الصراف، وُلِدَ في كربلاء عام ١٩٠٠ م ودرس في المدارس التركية في العهد العثماني، وتخرّج في كلية الحقوق سنة ١٩٢٥ م وأشغل وظائف الادعاء العام والتدوين القانوني ورئاسة تسوية حقوق الأراضي وحاكمية عدة محافظات، ورئاسة المحكمة الكبرى في الرمادي والناصرية، ترجم رباعيات الخيّام من الفارسية إلى العربية، ومثّل العراق مع الزهاوي في مهرجان الخيّام التي قامت به حكومة إيران في الثلاثينات، وكان مديراً مسؤولاً لجريدة (بغداد) عام ١٩٣٠، وله كتاب (بغداد قديماً وحديثاً) وكان يراسل عدداً من الصحف والنشرات الدورية خارج العراق وداخله.

(٤) كان يصنعها إبراهيم الترك في سوق السراي، ويبيعها بربع دينار.

(٥) الحاج مجيد مكية: من أشهر تجار العباءة النسائية وملحقاتها، وكان محله في (سوق دانيال)، وُلِدَ عام ١٨٧٤ م وتوفي إلى رحمة الله عام ١٩٤٦ م في مستشفيات فلسطين، على أثر اصابته بذات الجنب. تزوّج ثلاث نساء، الأولى أنجبت له عبد الحسن ـ والد طبيب الأطفال الدكتور مهدي ـ ومحمد حسين ـ والد التاجر والصناعي طارق مكية ـ وبنت واحدة. والثانية له منها ناصر وحميد، وبنت واحدة هي زوجة الوجيه محمد كاظم مكية، وله من الزوجة الثالثة عبد الإله وعوني وبنتان. وزوجته الثانية أم ناصر هي ابنة أخت الشاعر الكرخي. والحاج مجيد من أعز أصدقاء الكرخي، ومن جلسائه في مقهى البيروتي، حلو المعشر، حاضر النكتة، وفيّ لأصدقائه، ومن بدائع منظومات الكرخي

المكشوفة، القصيدة الشهيرة ـ على شكل رسالة ـ التي وجهها إلى الحاج مجيد من طهران والتي منها:

قم إلى (طهران) يا حجّي مجيد   أسرع من البرق أريدك والبريد
لأنْ فرصه أحب في هذا الزمان   تغتنمها يا أبا عبد الحسن
تموت لازم بالنتيجة فإذن   في حياتك يقتضي أن تستفيد

(٦) الدكتور أحمد نسيم سوسة: وُلِدَ بمدينة الحلة، من عائلة آل سوسة المعروفة سنة ١٩٠٢م، أتم دراسته الإعدادية في الجامعة الأميركية ببيروت سنة ١٩٢٣، ثم ذهب إلى الولايات المتحدة الأميركية فتخرّج في كلية (كولورادو) فنال منها شهادة بكالوريوس في الهندسة المدنية عام ١٩٢٧ م، واصل بعد ذلك دراسته العالية فحصل على شهادة الماجستير من جامعة جورج واشنطن في سنة ١٩٢٨، وشهادة الدكتوراه من جامعة جونس هوبكنس سنة ١٩٣٠، وقد انتخب عضواً في مؤسسة (فاي بيتاكابا) العلمية الأمريكية، كما منحته جامعة جورج واشنطن في سنة ١٩٢٩ جائزة (ويديل) التي تمنح كل سنة لكاتب أحسن مقال في موضوع عام من شأنه أن يثبت دعامة السلم بين دول العالم.

عُيِّن أول مرة مهندساً في دائرة الري سنة ١٩٣٠ م، وفي عام ١٩٤٧ عُيِّن مديراً عاما للمساحة حتى سنة ١٩٥٧، وقد انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٩ م، وله عدة مؤلفات مطبوعة تربو على الخمسين مؤلفاً، اعتنق الإسلام عام ١٩٣٦.

له مكتبة تعتبر من أهم المكتبات التي تضم أنفس المراجع عن تاريخ العراق القديم وري العراق.

وله مجلس حافل يختلف إليه كبار المهندسين والمؤرخين والباحثين وأهل الفكر والفضل والأدب. توفي إلى رحمة الله عام ١٩٨٢).

(٧) كأن الكرخي تنبّأ بأنه سيرزق بابنة يطلق عليها اسم (عالية)، من خلال التورية التي ساقها في عجز البيت، وبالمناسبة فإنَّ ابنته عالية حصلت على الدكتوراه، وهي من الفضليات التي لها باع طويل في العلوم ولاسيما علم الآثار وغيرها وهي من مواليد ١٩٤٩ م.

(أبو الغربان) ومنهاجه الانتخابي ـ نسب الشاعر الكرخي في أبيات ـ أصالة الشعر العفوي في الريف ـ الكلمة التي يستهل بها الكرخي قصائده في الراديو العراقي ـ

السخرية من المرشحين للنيابة من غير الكفئين وأنصاف الأميين في أوائل الحكم الوطني، لم تقتصر على الصحف الجريئة، وعلى الشعراء وحملة الفكر الحر، بل تعدتها إلى عامة الناس من الناخبين، وقد عبّروا عن شعورهم بما أرسلوه إلى الجرائد من كلمات وتعليقات ساخرة ووخزات قاسية، عسى أن تنبه ذوي الحل والعقد إلى ضرورة الإتيان بمجلس يمثّل الشعب، ولكن هيهات. ومن ذلك هذه البرقية التي أرسلها أحدهم إلى جريدة (الزمان) البغدادية بتاريخ ٢٩/١/١٩٤٧:

أذاع اليوم في مدينة الكوت السيد ياسر أبو الغربان نداءً إلى الأهالي الكرام رشَّح به نفسه نائباً عنهم ونشر عليهم منهاجه في المجلس ألخصّه لكم بالمواد التالية:

ـ تعبيد طرق بغداد ـ الكوت بالكاشي والمرمر ورشه بماء المسك والعنبر وغرسه بالورد المعطر.

ـ تشجيع المنتوجات الوطنية بركوب الخيل والدواب ومنع استيراد السيارات الأجنبية.

ـ تبريد مياه النهر شتاء وتسخينها صيفاً «زنبور» نعتقد أن القضية معكوسة.

- السعي لمنع تجارب القنبلة الذرية في البحار حرصاً على صحة وسلامة الأسماك والحيتان واحتراماً لشعور أسماك سدة الكوت.

- السعي لتحديد عدد ساعات العمل للحيوانات الحكومية والأهلية وجعلها ثماني ساعات في اليوم.

- السعي لتحريم ضرب خيل العربات والتفاهم معها بالحسنى!

أرجو نشر برقيتي هذه وأشكركم ألف مرة ومرة.

«غراب»

❀ ❀ ❀

لخّص الشاعر الكرخي نسبه وانتماءه القبلي في قصيدة، كتبها في دفتر جيبه المؤرّخ في ١٠ حزيران ١٩٤١ موجهة إلى الملك فيصل الثاني، بدأها بهذا المقطع:

أنا يا ابن الرسول وسيد الأكوان — عرب أهلي أماجد من نسل قحطان
عني اليوم، سل (نايف ابن جريان) — عراقي عربي، وبالأصل (سلطاني)
انتقلنه من عشيرتنه إلى (الحله) — شاهدنه المدينه عامره وفلّه
(خبز اشعير وامنگع بباگله) — بقينه خَمس تظهر، أمر رباني[1]
وبعد الخمس تظهر ضبط بالأعداد — من الحله انتقلنه رأساً لبغداد
هذا أصلنه من نخبة الأمجاد — انا مو هندي كلا ولا أفغاني
لكنّي عراقي عربي اتبع — أجدادي العرب خُلّص لهم أرجعَ
أولاد اليماني الألمعي (تبع) — والداعي (زبيدي) ورجل (قحطاني)
عن هذا البلد، غارات كثره انشن — منذ أنشأنا واندافع عن الموطن
أنا مو أجنبي من أوروبا، لكنْ — جدي (معن ابن زائده الشيباني)

❀ ❀ ❀

أنا شاعر الجمهور، الأبي الكرخي — على حب البلاد انخه ولا منخي
وبراسي إلى هذا الوطن اصخي — والمظلوم بالأوطان ينخاني
أنا الشاعر الحر، معتصم في ربي — يزداد إلى الشعب وللوطن حُبي
أمير الشعراء، البلبل الأبي — ولا واحد بشعري الشعبي جاراني[2]
منذ اترعرعت من كل ردي ما خاف — أمدح وطنيين ووجوه أشراف
وأقدح جواسيس الموطن الأجلاف — وعندي بالهجو إلهام شيطاني

❀ ❀ ❀

في جلسة أدبية، سُئل الشاعر الكرخي عن الأصالة في الشعر العفوي الذي يجري على ألسن عوام الناس، ولاسيما في الريف، فأجاب:

- في المدينة حيث الجلبة والضوضاء وزحمة العمل، وطغيان الاتجاه المادي في التعامل، قلّما تسمع شعراً ينبع من روح صافية، يعكس الأحاسيس الصادقة، ويرسم الصورة المشرقة التي تسيل رقة وحلاوة.

بعكس ما يجري عفوياً على ألسن أهل الريف - من الجنسين - حيث الطبيعة الجميلة، والجو الهادي المريح للأعصاب، وبساطة العيش، التي كان لها أبلغ التأثير في رقة مشاعرهم، ورهافة أحاسيسهم وحلاوة كلامهم. ولهذا ترى منتهى الطلاوة والأصالة والصدق فيما يجري على ألسنتهم عفوياً من أهازيج أو أبيات مفردة، تتفجّر آنياً في مناسبات غالباً ما تحصل - خلق الساعة - أو في مواقف وظروف طارئة.

من ذلك مثلاً أن شابة ريفية جرفها حب شاب من أبناء عشيرتها، فأُرغمت على قطع علاقتها به، وجاؤوا بها إلى الإمام العباسي (ع) لتقسم على ذلك، فأمسكت بشباك الضريح، وقالت ارتجالاً:

والبيدي وبالگاع والـ على متوني   ما جوز أنا من هواي لو گطّعوني

وفي رواية أخرى: ما اترك وداد هواي لو گطّعوني.

والمعنى: والبيدي وتعني (الشباك)، والبگاع أي الإمام المدفون في الأرض، والـ على متوني وتقصد الملك (حسيب) والملك (رقيب) اللذين فوق كتفيها، فهي أقسمت بهذه المقدسات أنها لا تقطع علاقتها بحبيبها حتى إذا قطعوها إرباً إربا.

أمّا تفسير الناس لهذا البيت بأنها أقسمت بأطفالها الثلاثة، الأول الذي تقوده بيدها، والثاني الذي يمشي على الأرض، والثالث المحمول على كتفها، فهو خاطئ، ولا يؤدي المعنى الحقيقي الذي تقصده هذه العاشقة، لسبب بسيط أنّها لم تكن متزوجة وليس لها أطفال، وإلاّ لما فكّرت بغير زوجها، تبعاً لتقاليد المجتمع العشائري.

ومن الشعر العفوي الذي يسيل رقة، هذا البيت الذي صوّر حب شابة لحبيبها:

(نـگـلـه) اردا‌حـزم الـمـاي، والـزيـبـگ وگـاي[٣]

يــرمــي الــمــلــح بــطــيــخ؟ وانــه ابــرِجــه هــواي

وتعني: لو استطعتُ أن أحزم الماء على شكل (نگله) حطب، وهذا مستحيل، وإذا أصبح الزئبق على شكل وقاءٍ لرأسها، وهذا أيضاً من المستحيلات، فالزئبق لا يمكن تجميعه بهذا الشكل، وإن الأرض المالحة إذا طرحت بطيخاً وهذا ثالث المستحيلات، فإنَّها ستبقى محافظة على حبها وحبيبها حتى ولو تحققت هذه المستحيلات جميعاً.

أرأيتم أو سمعتم أرق وأبلغ من هذا الشعر، يا جماعة؟

ـ كلا وألف كلا.

❀ ❀ ❀

من دفتر جيب الشاعر الكرخي، المؤرّخ ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٢، هذه المقدمة التي كان يستهل بها قصائده التي يقرؤها من راديو بغداد في الأربعينات:

سيداتي سادتي

بعد غيبة طويلة أعود إليكم من دار الإذاعة العراقية، فأسمعكم هذه القصيدة، متمثلاً بقول الشاعر العربي:

بــأبــي مَــنْ وددتــه فــافــتــرقــنــا وقــضــى الله بــعــد ذاك اجــتــمــاعــا

❀ ❀ ❀

هوامش

(١) الصدر بين هلالين هو عجز البيت السائر:

(لـو رِدْت الـكَرم غـرّب عـلى الـحـلـه　　　خـبـز اشـعـيـر وامـنـگـع بـبـاگـلّـه)

خمس تظهر: خمسة أظهر (أجيال).

(٢) البلبل الأبيّ: الغرّيد. وهواة البلابل يضعون الليل الحديث الولادة في قفص البلبل الأبي ليتعلّم منه التغريد، فهو إذن سيد البلابل مثلما الكرخي عبود أمير الشعراء الشعبيين. جاداني: جاراني، وصل إلى مستواي.

(٣) نگله: حزمة حطب. وگاي من كلمة الوِگَه: لفة سميكة من القماش تقي رأسها مما تحمله فوقه. رِجه: رجاء. هواي: حبيبي. والشاعرة من (بني حچيم) بين السماوة والرميثة.

الكرخي (شكسپير) العراق ـ (مودة) الإعلان شعراً ـ قصيدة ساخرة بلهجة عربية ـ هندية ـ لكل فولكلورية أصل (حيل داري، جرعه نداري!؟)

من دفتر الجيب المؤرّخ ٢٧ كانون الأول ١٩٣٠، قال الكرخي مخاطباً فيصل الأول:

أنـا يـا سـيـدي الأمـجـد — (شـكـسـپـيـر) الـعـراق انـعـد
بـشـعـر الـشـعـبـي لا يـوجـد — مـثـلـي، قـسـم بـالـرحـمـان
مـن الـشـاعـر (الـحـمـدانـي) — و(الـنـابـغـة الـذبـيـانـي)
وأبـو مـحـمـد (ابـن هـانـي) — أنـا أشـعـر ومـن (حـسـان)
شـعـري أيُّـهـا الـضـرغـام — يـأثّـر عـلـى الـخـاص وعـام
مِـثِـل مـا أثّـر (الـخـيّـام) — عـلـى قـومـه نـسـل (سـاسـان)

❀ ❀ ❀

في الثلاثينات انتشرت في الصحف (مودة) الإعلان شعراً عن السلع والأطباء ومنتوجات المعامل وغيرها، ومن ذلك على سبيل المثال أبيات الرصافي في امتداح (سكاير البدر) ومنها:

أدخـن (الـبـدر) أبـغـي — بـه انـتـعـاشـاً لـصـدري
فـأجـتـنـي مـنـه أنـسـاً — يـزيـل وحـشـة دهـري

وقصيدة الكرخي بنفس الموضوع التي أوّلها:

بـحـلّ الـذهـب أنـظـم شـعـر — فـي حـق سـجـايـرنـه (الـبـدر)

والأخرى عن سيكارة (غازي):

علـــى عـــلـــبـــتـــهـــا إشـــاره (غـــازي): مـــكـــتـــوبـــه الـــعـــبـــاره
بـــالـــعـــراق أحـــســـن ســـيـــگـــاره رواجـــهـــا أصـــبـــح عـــظـــيـــم

وعن السيگارة التي كانت تنتج باسم (تركية) في الأربعينات:

نـــور ســـاطـــع ولا مـــخـــفـــي مـــن ســـگـــايـــر (ابـــن لـــطـــفـــي)
ســـگـــايـــره ـ حـــق ـ عـــراقـــيـــه شِـــرْكـــة (الـــتـــركـــيـــه) هـــي
شُـــربـــهـــا يـــزيـــل الأذيـــه مـــن الـــعـــلـــل والـــداء تـــشـــفـــي

وكذلك أبياته عن المعكروني، الذي كانت تنتجه معامل محيي الخضري:

مـــا رأت قـــطـــعـــاً عـــيـــونـــي مـــثـــل هـــذا (الـــمـــعـــكـــرونـــي)
طـــالـــمـــا الـــ (مـــحـــيـــي) ألـــومـــه بـــقـــيـــمـــه بـــخـــســـه لا تـــســـومـــه
الـــمـــعـــكـــرونـــي الـــذي بـــ (رومـــه) هـــــذا أحـــــســـــن، ذاك دونـــــي

وفي القهوة البرازيلية قال:

الـــگـــهـــوه الـــبـــرازيـــلـــيـــه إجـــتـــكـــم يـــا گـــهـــوچـــيّـــه
صـــرتـــي الـــيـــوم يـــا گـــهـــوه فـــي كـــل الـــمـــلا زهـــوه
وبـــهـــذا الـــقـــطـــر شـــهـــوه إلـــى الأمـــة الـــعـــراقـــيـــة

في دفتر جيب الشاعر الكرخي المؤرّخ ٦ مارت ١٩٣٨ وجدنا هذين البيتين في الثناء على صديقه الدكتور ألبير إلياس (البرت):

ولـــم أرَ مـــثـــل (الـــبـــيـــر) طـــبـــيـــبـــاً بـــمـــا أوتـــيـــه مـــن لـــطـــفٍ وحـــذقِ
يـــداوي الـــنـــاس بـــالـــحُـــسْـــنـــيـــنِ مـــنـــه بـــحـــســـن حـــذاقـــةٍ وبـــحـــســـن خـــلـــقِ

❀ ❀ ❀

في دفتر الجيب المؤرّخ ٢٠ كانون الأول ١٩٣٠، وجدت قصيدة رائعة ـ لم يضمها ديوان أو جريدة ـ في مداعبة الهندي (لوري سنك) والإنگليزي (هاري سنك)، اللذين يعملان في السكك الحديدية العراقية، وقد نظمها الشاعر الكرخي بلهجة الهنود وغيرهم من الأعاجم الذين (يدگشون) باللغة العربية، فيلفظون ـ مثلاً ـ الصاد والثاء سيناً، والذال زاياً، والطاء تاءً، والخاء كافاً، والعين ألفاً والغين گافاً، والحاء هاءً وهلم جرّا. وهذه مقاطع منها:

زعل حضرة (الأوفرسير) لوري سنگ هُوَ والإنگليزي ارفيجه هاري سنگ[1]
جناب أنت إجي من بلد هندستان حيس (الپاني) عِذْنه كسير بالنهران[2]
تـمـاتـه وبـانـيـه إزرع وبـازنـجـان وِخْيار وشجر والرگي والگرمگ[3]

أنا لا تعتقد هل ناس أبغضهم ... لكنْ عندي رغبه أن أداعبهم
طرق سمعي، لهم فكره ومقصدهم ... مع (الكركي) السهاني الهُر سوّي جَنْگ[4]
معايه إذا عملوا جَنْگ واشتبكت ... أياديهم، أنا من عندهم أثبت
لأنْ بالزورخانه مشتغل (رودست) ... وشغْل (الفتلپيج وگبرگه والسنْگ)[5]
أنا يا هري سنك ولوري سنك أيكون ... جناباتكم مني بالزعل سيرون[6]
لكنْ جناب آني رايد أتردّون ... مثل ما تِير منّا بالشته اللگلگ[7]
جناب آني: گريب واجنبي ما هِب ... لو بيدي الحكم بالشت شِيل وزِب[8]
أهو إني العراقي شلون متعذب ... والهندي ببلدنه خيّط وشگگ
جناب انت معاشك تقبضه (رُبِّي) ... دسته نوات، واني رُبُع پيسه بي[9]
نگعد بالشمس لمّن يجينه الفي ... ونصبر والصبر تاليّه أكل الزگ[10]
يا هزرت البابوجي أنا هبكم ... لكنْ ما أهبّ هازي أمايلكم[11]
اليگول الكم (الكركي) بشعره يشتمكم ... هذا (پدرسخته، وسك مودرسك)[12]
أنا (يا هري سنك ولوري سنك) ودّي ... في هازا الشعب ما يبقه كل هندي[13]
حيس أن الدخيل أصبح تره زدّي ... بركبتي مِسِل تاگ امدار وامعّلگ[14]
الوتن يا هري سنك انترس ماعونه ... من أمثالك اكّالة (الصالونه)[15]
ابن الوتن سار بها له مهزونه ... عن وجهه يكش ذبّان، نجرس، بگ[16]
انت يا هري سنگ عايش ومستر ... كثره ولوري سنك أزيد إزن اكسر[17]
العراقي على خبز الدخن يتحسّر ... وانت المائدة تاتيك ماية رنگ[18]
أخبركم ويا هزرت البابوات ... رواتبكم ألوف نوات روپيات[19]
وابن الوطن صار بعشر متليكات ... ابرقچي معاشه بجامع (الأزبگ)[20]
أخبرك يا هري سنك العراقي طاح ... من فكره، وصفه بالهيمه والضحضاح
وجهك بالوظيفة أبيض ووضّاح ... ووجهه صار أسود بالعكس (بدرنگ)
في (بهلول دانه) قَسَم وبزمزم ... والتوراة والإنجيل والمحكم[21]
عندي عيد إذا اسمع الهندي لم ... أسبابه، ومن هذا الوطن علّگ[22]
هُكلك (بابو جوشي) السيك ادعاني ... مزّة ومسخره للناس خلاّني[23]
لما كنت أزرع كشره جازاني ... وجهه بشع، أسود، أشرح، امجردم
جناب آني لجناب أنت مَدِح سوّيك ... بـ (الكرْك) الجريده اليوم كُلّش تيك[24]
هندوس ومسلمان انا عندي وسيك ... مِسْلك بالمحبّه سِوه و(لوري سنك)

❀ ❀ ❀

تحدّث الكرخي عن المثل الفارسي (حيل داري، جرعه نداري) قائلاً لجمع

من جلسائه: ـ هذا المثل يعني (عندي حيل وقوة ولكنني لا أمتلك الجرأة)، ولهذا المثل حكاية واقعية كنت واحداً من الذين حضروا وقائعها، وهي عندما كنت في شرخ الشباب وبحدود عام ١٩٠٠ م، كنت مولعاً بالألعاب الرياضية، وكانت الرياضة الوحيدة عندنا، هي (الزورخانة) وكنا ننزل إلى الجفرة، وأذكر من جماعتنا أحمد بك الصادق والد مظهر بك الشادي وإبراهيم الأرضروملي وإسماعيل العباس الخليل آغا وحسون الورد (دلال الجلود) ومحمد شقيق عبد الباقي، والأسطة غني وغيرهم، وكان من جملة الأساتذة الذين يشرفون على ألعابنا، شخص اسمه (ممّي) من أهالي (تبريز)، وكان عمره (٣٠) سنة، رأسه بحجم حلاّنة التمر، وأذناه كأذني الفيل وأنفه كالچاون وعيناه كفناجين من الدم، وله ثديان أشبه بألية الخروف الكرادي، وأقدامه كخف البعير، ورقبته كجذع البربن، وله عضلات ملفوفة كالحديد. فإذا اغتاظ من شخص، يمسكه ويرفعه إلى أعلى ويرميه إلى مسافة بعيدة.

وصادف ذات يوم أن اجتمعنا نحن ـ الرياضيين ـ في قهوة (سلوم الليلو) الكائنة في رأس الجسر من جانب الكرخ، بقصد الذهاب إلى (الزورخانة) وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث، إذا بنا نشاهد على بُعد أستاذنا (ممي) واقفاً بوضعية رياضية كالأسد المتحفز للوثوب على فريسته، وهو يتلقى من أحد الخبازين السطرات والعجول والشلاّقات، فقمنا جميعاً من المقهى لتخليص أستاذنا من يد الخباز، ولما أبعدناه عنه، سألناه: لماذا أنت صابر لهذه الإهانة؟ أجاب: أريد أدوّر له (شُغُل) أخبط عظمه مع لحمه!؟ فقلنا له: ما هو هذا الشغل؟ أجاب مسكة فنية تسمّى (رودست)، ولما استعاد (ممي) قواه، تقدّم من الخباز فبادره هذا بلطمة على عينيه أنسته (الرودست)، واستمر الخباز يوجه له اللطمات القوية حتى أنهكه، فتوسطنا في القضية، وفصلناهما أيضاً، فاتكأ (ممي) على الحائط، يفكّر في إيجاد مسكة أخرى من فنون (الزورخانة) لينتقم من غريمه، فمنعناه ولكنه أبى، وقال: وجدت له فناً آخر وهو (دوحلق)، وهجم عليه، غير أن الخباز ضربه بلكمة على وجهه أنسته كل فنونه، وانهال عليه ضرباً وصفعاً، ثم فصلناهما ثالثة، وكلما عالجنا ونصحنا أستاذنا بالكف عن الخباز، لم يفد معه، وأخذ يفكر بمسكة فنية أخرى لينال بها من خصمه، فقلنا له: ستة أسنان من أسنانك تهشمت، وإحدى أذنيك انشقت، ويدك اليسرى انكسرت، وأنفك تورّم، وأنت لم تترك (الفن)!؟ فأجابنا: هذه المرة سوف أقضي عليه لا محالة بـ (الگبرگه واللنگه هوادار)، وهجم عليه فعلاً، غير أن الخباز أخرج من

عبه (گرطه) حديدية، وبمجرد أن اشتبكا، ضربه بها على رأسه وقضى على حياته في الحال، ومات شهيد الفن؟! وهو يردّد: (حيل داري، جرعه نداري) فراحت مثلاً بين الناس.



هوامش

(١) الأوڤرسير: مراقب عمال.
(٢) إجي: أتيت. حيس: حيث. الپاني: الماء باللغة الهندية. كسير: كثير.
(٣) تماته: طماطه. بازنجان: باذنجان.
(٤) الكركي: الكرخي. السهافي: الصحافي. الهُر: الحر. جنگ: حرب.
(٥) الزورخانة: بيت القوة. والأسماء داخل الأقواس مسكات فنية تستعمل في المصارعة.
(٦) سيرون: تصيرون.
(٧) تير: يطير. الشته: الشتاء.
(٨) گريب: غريب. ماهِب: ما أحب. بالشت: بالشط. شِيل: احمِل، ارفع. زِبّ: ذِب، إرمِ.
(٩) نواَت: أنواط. پي: كلمة إنكليزية بمعنى دفع يدفع.
(١٠) الزگ: الغائط.
(١١) هزرت: حضرة. هبكم: أحبكم. هازي: هذي. أمايلكم: عمايلكم.
(١٢) الكركي: الكرخي. پدرسخته.. إلخ: عبارات شتم.
(١٣) هازا: هذا.
(١٤) حيس: حيث. أسبح: أصبح. زدي: ضدي. مسل: مثل. تاگ: طاق، طوق.
(١٥) الوتن: الوطن. الصالونة: أكلة هندية تكثر فيها التوابل.
(١٦) هاله: حاله. مهزونه: محزونه.
(١٧) أزن: أظن. اكسر: أكثر.
(١٨) رنگ: لون.
(١٩) البابوات جمع بابو وهو السيد بالهندية.
(٢٠) متليكات: جمع متليك وهي أصغر عملة يملكها الإنسان.
(٢١) بهلول دانه: من الرجال الصالحين ويقال أنه أخ الرشيد.
(٢٢) علّگ: سافر، طار، حلق.
(٢٣) البابو جوشي: مهندس الري الهندي الذي عانى ما عانى منه الكرخي أثناء مزاولته الزراعة في المحمودية.
(٢٤) الكرك: الكرخ. تيك: جيد باللغة الهندية. كُلُش: كثير. سويّك: من سوّى يسوّي.

الفيلسوف جواد الدجيلي والنقد!؟ ـ خروف متحرك خير من أسد رابض!؟ ـ ماذا قال محمود عارف آغا لجليسه؟ ـ الصحافة بين الأطرش والمريض والنائب ـ الكرخي بين الإذاعة ومعلاگ (علي الناگه)

قال الكرخي لجلسائه، وكان الحديث يدور حول ضيق صدور البعض من النقد البنّاء: ـ إنَّ الأذكياء لا يضيقون ذرعاً بالنقد، والأغبياء هم وحدهم الذين لا يتقبلونه بدليل، أنني كنت سائراً في شارع الرشيد، فقابلني الفيلسوف الشيخ جواد الدجيلي المحامي، وطلب إليّ أن أعيد نشر القصيدة التي سبق أن داعبته فيها ومطلعها:

شـاهـدت دقـن الـطـفـيـلـي شـيـخـنـا جـواد الـدجـيـلـي؟

فقلت له: هل إنَّك موافق ـ حقيقةً ـ على إعادة نشرها؟ فأجاب: نعم، ولكن أرجوك أن تبدل كلمة (الطفيلي) بكلمة (الفضيلي) فوعدته خيراً ومضى كل منا في طريقه.

أرأيتم؟ كيف أن الأذكياء كالأستاذ الدجيلي يستقبلون النقد بصدر رحب؟! ويعتبرونه من باب المداعبة ليس إلاَّ؟! بعكس الأغبياء والمعقدين! وذوي الصدور الضيقة الذين يعتبرونه من قبيل الشتم والسب.

❀ ❀ ❀

ومن ذكرياته يقول: أعرف السري الأمثل محمود أفندي عارف آغا قبل

أربعين سنة (عام ١٩٠٠)، وقد اشتغلت وكيلاً عنه مدة عشرين سنة في شركة العربات العائدة له، والتي كانت تنقل المسافرين من بغداد إلى أغلب المدن العراقية، ومن ذلك الحين وحتى الآن (١٩٤٠) وأنا أتردّد على زيارته، ولم أتلق منه إلاّ التبجيل والاحترام. وذات يوم زرته في داره العامرة، وتحدّثنا طويلاً، ومما قاله لي: «يندر أن يوجد رجل مثلك بين الناس، وفي هذه السن المتأخرة، يتمتع بهذه الصحة، والغريب، أنك قوي البنية صحيح الجسم بالرغم من أنك أكبر مني سناً، بينما أنا منهوك القوى، وأشعر بانحلال عام في جسمي، وأظن السبب في ذلك يرجع إلى كوني جالساً في داري دائماً، بينما أنت لا تنفك من التنقل في جميع أنحاء العراق بصورة دائمة». فقت له: متَّعك الله بالصحة والعافية، وكلامك هذا ينطبق تمام الانطباق على المثل القائل: خروف متحرك خير من أسد رابض. ثم ودّعته وانصرفت.



ومن نوادر السيد محمود أفندي ابن عارف آغا، أن أحد جلسائه، باشر ببناء دار له، وكان كلما يأتي لزيارة السيد محمود، يتشكى من (العمّالة) والمواد الإنشائية كالجص والطابوق والأخشاب والحديد وغيرها. فضاق ذرعاً بشكاواه، وأخيراً قال له ـ وكنت حاضراً مجلسه:

ـ أنا (شِفت) رؤيا في المنام، وهي أن الإنسان إذا أصابه ضجر من شيء ما، عليه أن يقف في صالون داره، ويهوّس هوسة، فعليك أن تعمل بما رأيته في المنام، ليزول ضجرك. ولكي لا تنسى، خذ هذه التذكرة تجد مكتوباً فيها الهوسة التي سمعتها في الرؤيا وهي:

(يا شيخنا! عبد الكريم، ينطي الفرس بعنانها)

فأجابه الجليس وكان اسمه عبد الكريم فعْلاً:

ـ أنا كثير الأولاد، وأخشى إن أنا هوّست هذه الهوسة بالصالون، أن يسمعوني فيظنون أنني جننت؟!

فضحك الحاضرون لنكتة محمود عارف آغا، وللجواب الوجيه الذي أورده الشاكي المزمن!؟



قال الكرخي لجلسائه: التقيت أحد نواب المجلس فسألني:

- شلون رواج الجريدة هذه الأيام؟

فأجبته: عدم العدم!؟

فقال لي:

- الله يزيدك يا أخي!

ثم سألني: - سمعت أن ورق الجرائد قليل الوجود وغالي الثمن، شلون دتدبرون أموركم؟

- ناخذه بأسعار باهظة ونتكبّد خسارة فادحة!

- تستاهلون لأنكم تخدمون الأمة والوطن.

- هل ستستمر على إذاعة قصائدك في الراديو، كل أسبوع مرة كما أعلنت أثناء إلقائك القصيدة الأخيرة؟

- سأجتهد في تنفيذ ما وعدت به!

وأخيراً أجابني: أنا ما يفرق عليّ، إذا تقره، أو ما تقره، لأني أطرش بالزفة، وأنام من المغرب.

ومثل صاحبنا النائب هذا، مثل الأطرش والمريض. فقال جلساؤه له: وما قصة الأطرش والمريض، مُلا؟

فسحب الملا عبود نَفَساً من نارگيلته وأخذ يروي لهم القصة:

- كان لأحدهم صديق أطرش، وذات يوم مَرِض هذا، ولما علم الأطرش بمرض صديقه، ذهب لعيادته والاطمئنان على صحته، فجلس بالقرب منه وأخذ يوجه له الأسئلة، والمريض يجيبه بضجر من شدة الألم. ولما كان الأطرش لا يسمع ما يتفوه به المريض، أخذ يجامله بكلمات من عندياته كالآتي:

الأطرش: شلون صحتك؟

المريض: دا أموت يا أبو فلان!

الأطرش: انشاء الله! لكنْ أكلك شنو؟

المريض: أكلي زقنبوت!

الأطرش: بالعافية! وطبيبك منو؟

المريض: طبيبي عزرائيل!

الأطرش: هذا خوش طبيب إيده خفيفه.

۞ ۞ ۞

في أواخر عام ١٩٣٩ انقطع الكرخي - موقتاً - عن إذاعة قصائده في الراديو، فكثر القال والقيل وارتفعت علامات الاستفهام للبحث عن السبب، فكان أينما مرَّ في الشوارع والطرقات، وفي الأندية والمقاهي وحتى في الدوائر الرسمية، يُسأل:

- شوكِت[١] تقره بالراديو يا كرخي، ومتى نسمع صوتك؟

فيجيبهم: إن العديد من الأدباء والشعراء والاختصاصيين والمحاضرين والمغنين وغيرهم من الذين قدّموا بحوثهم وقصائدهم، لم نسمع مَن يطالبهم بإعادة القراءة في الراديو!؟ فهل أصبح الكرخي شبيهاً لحامل السمكة أو المعلاق. وإذا كان الأمر كذلك، وإن (علي الناگه) صاحب المعلاق لم يتمكن من تخليص نفسه من أسئلة الناس، حتى اضطر إلى تسلّق السدرة وصعد إلى أعلاها، وصاح:

- يا أهل الكريمات، المعلاگ بقمري، حاضركم أيسمّع غايبكم!؟ فإنّني سوف أصعد فوق منارة سوق الغزل وأصيح بأعلى صوتي:

- يا ناصرا يا منصورا القراءة بالراديو في الحال الحاضر مو وگتهه؟!

فقيل له: وما قصة (علي الناگه)؟ فأجابهم: - الشيْ اللافت للنظر، هو أن أهالي بغداد عندما يشاهدون أحد الناس يحمل (سمكة) أو (معلاگ) يكثرون عليه الأسئلة:

- يا به! بيش اشتريت هالسمچه؟

- عيوني! النشده[٢] مو عيب، بيش اشتريت هالمعلاگ؟

وما على المشتري إلاّ أن يجيب الناس حتى يصل إلى بيته، في حين أن مَن يحمل غيرهما من الحاجيات أو المأكولات لا يُسأل. وتذكرني هذه العادة، بما جرى لواحد من أهالي الكريمات يدعى (علي الناگه)، اشترى يوماً (معلاقاً) وحمله بيده، وتوجّه إلى بيته، فأخذ كل مَن صادفه في الطريق يسأله عن ثمنه:

- علي الناگه! بيش اشتريت هالمعلاگ؟

- بقمري[٣].

ـ علي الناگه! إحـ الصدگ بيش اشتريته؟

ـ يا به، والله بكسـ ـ اشتريته بقمري!

ولم يصل إلى بيته ـسق الأنفس، فصعد إلى أعلى (النبگه) ـ السدرة ـ التي في بيته، وصاح بأعلـ ـوته:

ـ يا أهل الكريمات! حاضركم ايسمّع غايبكم، المعلاگ بقمري!؟

ومن ذلك الوقت أصبح (معلاگ علي الناگه) مثلاً يجري على ألسن الناس.

هذه يا جماعة! قصتي ـ الإذاعة!؟ مو وگتهه، مو وگتهه!؟

❀ ❀ ❀

هوامش

(١) شوكت: ايش وكت، أي وقت، متى.
(٢) النشده: السؤال، من الفعل ناشد.
(٣) القمري: عملة عثمانية معدنية من فئة صغيرة ويعادل قرشين، نقش عليه صورة الهلال، ومن هنا جاءت تسميته بالقمري.

المؤذن (قُنّي) في الحلة - في مجلس الأب انستاس ماري الكرملي - (تنكّة) التنسيقات - من كلام البسطاء -

في جلسة ضمت الكرخي وعدداً من أصدقائه في إدارة الجريدة، سأله أحدهم: - ما سر اتخاذك هذين البيتين شعاراً، بحيث وضعتهما في رأس الصفحة الأولى من جريدتك؟

إذا لم تكن ذئباً على الأرض أجرداً ... كثير الأذى بالت عليك الثعالب
ومن رعى غنماً في أرض مسبعةٍ ... ونام عنها تولّى رعيها الأسد

فأجاب:

النواميس قضت أن لا يعيش الضعفاء ... إن مَن كان ضعيفاً أكلته الأقوياء

والأدلة على ذلك كثيرة، ولكنني أذكر لكم واحداً منها، رأيته بنفسي:

في مدينة الحلة يوجد مؤذن اسمه (قُنّي)، اعتاد بعد الانتهاء من الآذان أن يردّد هذه العبارة: (طاح حظ إلما يصلي، وطاح حظها إلما تصلي)!؟

وفي أحد الأيام صادفه في السوق أحد القصابين التاركين للصلاة، فتصدى له وأخذ يؤنّبه قائلاً: لماذا تشتمني كل يوم وقت الأذان من على المنارة؟ وقبل أن ينتظر الجواب، ضربه بجريدة نخل كان يحملها، على رقبته دون أن يعطيه مجالاً للاعتذار. فتركه (قني) وفرّ من أمامه هارباً خشية أن يبطش به. وفي اليوم الثاني صعد (قني) إلى المنارة، وبعد أن أذّن، حث الناس على الصلاة، ولكن بطريقة تختلف عن طريقته السابقة، فقال: (طاح حظ إلما يصلي، وطاح حظها

إلما تصلي، من حَشه الگصّاب)، فاستثناه من الشتيمة خوفاً منه، وهكذا الناس يخشون القوة في كل زمان ومكان، ويتسخّرون على الضعفاء، وحيث إنني من المؤمنين بهذه الحقيقة فقد اتخذت هذين البيتين شعاراً لجريدتي وعملت بهما في حياتي وشعري ومقالاتي، مهاجماً المقصرين والمسيئين بلا هوادة!؟ وهي اللغة الوحيدة التي يفهمونها.

❁ ❁ ❁

روى الكرخي لقرائه ما جرى له في مجلس الأب الكرملي قائلاً:

يوم الجمعة ١٦ آب ١٩٤٠ زرت صديقي سيادة العلأمة الفاضل واللغوي الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي في كنيسة الآباء الكرمليين، فوجدت مجلسه غاصاً بالأدباء والوجوه والحكّام والأطباء، فاستقبلني هاشاً باشاً، لأنه صديقي الحميم من زمن الحكم العثماني، ولأنّه من محبي شعري. ومنذ عهد طويل، وأنا أتردّد على مجلسه لزيارته والاطمئنان على صحته وأحواله، ومما سرّني أنني لم أر تغيراً محسوساً على هيأته وطلعته، فمن عشر سنوات شاهدته، نوراني الوجه، لا أثر للتجاعيد في وجهه، ذا لحية بيضاء ناصعة طويلة، واليوم رأيته على ما كان سابقاً، ويرجع السبب إلى محافظته التامة على صحته، فهو بعيد عن المتاعب والمطامع، منصرف إلى التعمّق في العلوم والآداب واللغة والتأليف، فضلاً عن أنه لا يأكل اللحم ولا يحتسي الخمرة، ولا يدخن، ويقتصر طعامه على الخضراوات، وما يزال أعزب. سألته عن عمره فأفادني أنه بلغ حتى الآن الاثنين والسبعين عاماً. ثم ألقيت نظرة على مكتبته فوجدتها واسعة جداً، وهي على سعتها، خاصة بأندر وأثمن المؤلفات والمخطوطات والكتب التاريخية واللغوية والأدبية، كما أنها تحوي مجموعة ضخمة من دواوين مشاهير الشعراء العرب. وقد تلطف سيادته، وعاتبني على عدم تقديمي ديوان شعري له ليحتفظ به في مكتبته. فاعتذرت له بأن إدارة الجريدة سهت عن ذلك، ووعدته بأن أقدّم له نسخة منه عاجلاً وسأحملها بنفسي له.

وصادف أنني عطشت، فجاءني بماء غير مثلج والجو كان شديد الحرارة في آب، فتباطأت بشربه، وحين لاحظ سيادته ذلك، قال لي: إنّه ماء قراح ولا يحتاج إلى ثلج فاشرب هنيئاً. وهذا دليل آخر على انصرافه عن ملذات الدنيا، فقلت له ـ من باب المداعبة ـ لو أدري أن الأمر كذلك لزرتك في الصباح الباكر

لأحظى بالماء (البيّوتي)[1] البارد طبيعياً، فابتسم لي، وبعد أحاديث طريفة دارت بيننا ودّعته شاكراً وانصرفت.

❁ ❁ ❁

لم تكن الأحاديث في المجالس الأدبية تقتصر على مطارحة الشعر ومناقشة أمور الأدب والدين واللغة، بل كانت تتعداها إلى مختلف المستجدات وقضايا الساعة التي تمس حياة ومعيشة الناس، ففي الثلاثينات مثلاً كان الحديث في المجالس يدور حول صدور قانون التنسيق والذي اصطلح الناس على تسميته بـ (الذيل)، فيقولون مثلاً (فلان أصبح مذيلاً) أو (علان لفّه الذيل) وهكذا، وفي هذا الموضوع كتبت الصحف، ونظم الشعراء، الكثير الكثير من المقالات والقصائد، ومن ذلك قصيدة الكرخي التي كتبها عندما شمل (الذيل) صديقه نوري ثابت (حبزبوز) والتي استهلها بقوله:

واويــــــــــلاه، واويــــــــــل   لــفّــه الــحــبــزبــوز الــذيــل

عن تلك الأيام قال الكرخي: صادفت صديقاً لي يسير الهوينا في الصالحية، حاسر الرأس، ماسكاً (سدارته) بيده، ناقماً على الحياة، فظننت لأول وهلة بأنّه متضايق من شدة حر آب اللهاب، فسألته عن حاله، وراحته، وصحته، و(شلون كيفك؟ وإلك زمان ما تبيِّن!؟) إلى آخر ما هنالك من عبارات الترحيب والمجاملة. وبعد أن انتهيت من أداء (كليشة) التحية، التفت وأجابني:

ـ أنا الآن بـ (التُنگه)!؟ فاستغربت من هذا الرد المغلق، وطلبت إليه توضيح عبارة (بالتنگه) ومغزاها، سيما وأنه سريع البديهة، حاضر النكتة، خفيف الروح، فلم يتردّد في الشرح والتوضيح، رغم اشتداد الحر في تلك الساعة، قال:

ـ يروى ـ والعهدة على المرده شورية ـ أن اثنين من العاطلين، اعتادا الجلوس في باب مقبرة (الشيخ معروف الكرخي) يومياً وبدون انقطاع، من الصباح حتى المساء وقد وضعا أمامهما (تنگه مگرگمه)[2]، بجانبها كومة من نواة التمر، وهما يراقبان مرور الجنائز، فكلما مرّت جنازة تناولا نواة واحدة ووضعاها بالتنگه، وحيث إن هذه العملية تلفت النظر، فقد لفتت نظر أحد (المرده شورية)[3] الذين يستقبلون الجنائز من أماكن بعيدة، ويمشون خلفها للتعيش من (السابجة)[4]، فأخذ هذا يراقبهما مدة طويلة ليتوصل إلى معرفة قصدهما من هذه العملية.

وفي ذات يوم جاء هذا (المرده شور) وهو يمشي خلف جنازة، ولما وصل إلى المكان الذي يجلسان فيه، التفت إليهما حسب عادته فوجد أن أحدهما غير موجود، ومع ذلك فإنَّ الثاني، عندما شاهد الجنازة تناول نواة ووضعها في (التنگه)، فترك ذلك (المرده شور) الجنازة، وسأل صاحب (التنگه):

ـ أشوفك اليوم وحدك، ماذا حلَّ برفيقك؟

ـ رفيقي بالتنگه!؟

ـ گول غيرها، يمعوّد؟ شلون يصير؟

ـ كل شي يصير، لا تلقلق!؟

فأسف (المرده شور) لوفاة رفيقه وقال:

ـ إذن، إذا جاء دورك ـ لا سمح الله ـ فمَن الذي يضع نواتك بالتنگه؟؟

ـ أنت گول!؟

وبعد أن ختم رفيقي (المذيل) حكايته هذه، قال:

ـ لقد وضعت نواتي في تنگة التنسيقات، فلا عجب إذا قلت لك آنفاً: (أنا حالياً بالتنگه)، فضحكت ثم ودّعته وانصرفت.

❀ ❀ ❀

عن سذاجة بسطاء الناس، وأساليبهم الشوهاء في التعبير، روى الكرخي لجلسائه هذه النادرة الواقعية:

سبق أن نظمت قصيدة شدّدت فيها النكير على الخونة والأذناب، ألقيتها في الراديو، بعدها سافرت إلى البصرة، فقابلني هناك أحد الناس وقال لي:

ـ يا أستاذ! سمعت قصيدتك الأخيرة التي هاجمت بها خونة البلاد، وكان بجنبي ـ في المقهى ـ عدد من الأصدقاء، فقلت لهم:

ـ لقد أحسن الأستاذ فيما قاله بحق الخونة، فما دواء العقرب إلاَّ اليمني[٥]!؟

وطبيعي أنه قالها بسلامة قلب وحسن نية، لأنَّه كان بسيطاً ساذجاً، فضحكت ولم أغضب.

وفي (الموصل) صادفتني قضية مماثلة، فقد ركبت وصديق لي عربة، وفي الطريق قال صديقي للعربنچي[٦]:

ـ هل تعرف الكرخي؟ فأجابه: لا.

فقد حسب أنه اسم طائر (الكُركي)، أو عفريت، أو حيوان خرافي... الخ

فقال له: إذاً، مَن تعرف؟

فرد عليه: أنا أعرف الأوادم!؟

فاعترض عليه قائلاً: أليس الشاعر الكرخي آدمياً؟

فأجابه العربنجي: العفوا أنا سامع أنه شخصية محترمة وهو على راسي!؟

فضحكنا، لعلمنا بأنّه تكلّم بحسن نية وعلى البساطة، ولا شك أنه سليم القلب كأخيه البصري، ولكن عيب السذّج ـ كما أسلفنا ـ عدم قدرتهم على التعبير الصحيح.



هوامش

(١) الماء البيوتي أو البايت: هو ماء الشَّرْبة أو الكوز أو (التُنگة) الفخارية، الذي يبرد بفعل نسيم الليل فيكون في أوجه صباحاً، ومعروف أن البغادة ينامون صيفاً فوق سطوح منازلهم، ويضعون أكواز الماء فوق السياج (التيغة) لتأمين الماء البارد.

(٢) مگرگمه: قديمة تالفة.

(٣) المرده شور: كلمة أعجمية معناها الحرفي، الرجل الذي يقوم بغسل الموتى. إلاّ أنها هنا تعني المحتال، الهتلي، أو الذي يكسب معيشته عن أداء بعض الخدمات في المقابر.

(٤) السابجة: السابقة وهي الحلاوة أو المأكولات التي يوزعها أهل الميت على الفقراء في المقبرة قبل وصول الجنازة.

(٥) اليمني: ضرب من الأحذية التي يستعملها الناس وعلى الأخص البغادة.

(٦) العربنچي: سائق العربة. يمعوّد: أي يا مَن عوّدت الناس على فضلك.

النقد في الشعر كالملح في الطعام ـ لماذا انتصر الكرخي للحجابيين في العشرينات؟ ـ تحريف الأسماء العربية ـ نماذج من نداءات الباعة على سلعهم

قال الكرخي لجلسائه:

على أثر إلقائي القصيدة الرائية يوم الجمعة ١٤ حزيران ١٩٤٠ من الإذاعة العراقية بمناسبة (يوم الجيش) اتصل بي عدد من الشخصيات في أحد الدواوين الخاصة مستحسنين ما ورد فيها من نقد لبعض المشاغبين الذين يعملون دائماً من أجل مطامعهم الشخصية دون النظر إلى المصلحة العامة، وغيرهم من الذين يسعون إلى التفرقة بين أبناء الشعب الواحد، حتى أن أحد الحاضرين وكان من كبار الرجال البارزين قال لي: إن جميع قصائدك مهما كان موضوعها، لا بد أن تشتمل على النقد، وإن طريقتك هذه، تلقى قبولاً من الجمهور ـ وهو على حق في ذلك ـ لأنَّ القصيدة التي تخلو من النقد، كالمائدة التي مهما تنوّعت ألوانها، وخلت من الملح ليست مستساغة، فالنقد في شعرك كالملح في الطعام.

❀ ❀ ❀

وسُئل ـ مرّة ـ لماذا أيّدت الحجابيين عام ١٩٢٤؟ فأجاب: أنا من المؤمنين بفكرة التطور، ولكن المجتمع العراقي آنذاك كان محافظاً، يخيّم عليه الجهل والأمية، ولم يكن مهيَّأً لتقبل السفور وهو عهدئذٍ (طفرة) سريعة، وقد عبّرت عن ذلك بقولي من قصيدة في هذا الباب:

نحن اليوم نطلع بالنظر أطفال	قطعاً ما بلغنا الرشد، بل جهّال
إذا أكلنا علم وأدب صرنا رجال	ذاك الوقت نفحم أوروپاويه
قبل ما تصلحون المرأة، أنفسكم	قوموا أصلحوها إذا أمكنكم

لأنَّ يا معشر الإسلام جاهلكم   فلا معقول تكسب منّه أمنيّه

بالإضافة إلى أن الناس أيام زمان كانون يرون حرجاً عند مصاحبتهم لزوجاتهم أو أمهاتهم وأخواتهم في الشوارع، حتى وإن كانوا متوجهين إلى عيادات الأطباء، ولذلك ترى الرجال يخرجون لوحدهم خشية من النظرات المشبوهة والتعليقات الخارجة عن حدود الأدب:

أفتونا سريعاً أيُها الأنجاب   كي نخضع ونجري حالاً الإيجاب
مَن يكفل المرأة من السفيه الشاب؟   كلا مستحيل وميّه بالميّه

وإليكم ما رواه لي أحد الأصدقاء:

صادف أن اصطحبت والدتي البالغة من العمر ثمانين عاماً، وأختي التي بلغت الستين، إلى الطبيب ورجعت حاملاً قنينة الدواء (بُطُل) وفي الطريق أخذ مَن لا أخلاق لهم يسمعونني كلمات بذيئة، مثل:

- يا به! شراكه، على خير هالنيه؟ مرَّ علينه يا حلو!؟

إلى آخر ما هنالك من التعابير التي يخجل الدب منها، أما صاحبنا فقد واصل سيره دون الالتفات إلى هؤلاء الأوباش، والأنكى من ذلك أنهم في اليوم الثاني أخذوا يتحدثون عنه في المقاهي والمجتمعات، قائلين:

يا به! البارحه شفنا فلان يمشي بالطريق ومعه (صديقه الملايه وجليله العراقيه) وشايل بطل عرگ بيده!؟

فيصدقهم بعض السامعين، ويضيفون من عندياتهم أشياء أخرى ما أنزل الله بها من سلطان!؟ فتكبر الرواية وتكبر، على أساس من الكذب والباطل. فكيف تريدون مني في ذلك الوقت أن أدعو إلى السفور وهذه أخلاق البعض عندنا؟!

أمَّا الجهل المخيّم على البلاد آنذاك - فحدّث ولا حرج - فمن بين عدة آلاف من الناس تجد واحداً يقرأ ويكتب، أو يقرأ ولا يكتب، والكل يعتقدون بالغيبيات والخرافات و(الحلول) و(التناسخ)، بمعنى أن من الممكن أن يتحوّل الإنسان إلى حيوان أو بالعكس، ومن ذلك مثلاً، هذه الواقعة الحقيقية التي وقعت في العهد العثماني الأظلم:

ضاع لطريمش ابن خرموش حمار، ففتّش عنه في كل مكان ولم يعثر عليه، وأخيراً صادفه (ابن حلال، فلفوز) وأخبره: إن حمارك صار قاضياً، فصدّق، وفي الحال أخذ (الرشمة والجلال) وجلس أمام باب القاضي العثماني، وراح

بين آونة وأخرى يومئ بيده إلى القاضي ويقول:

ـ متجي عاد مو عطّلتنه؟! الحِمِل مالك حاضر وانت گاعد هنا!

وأخيراً حانت من القاضي التفاتة فرأى صاحب الحمار وهو يكلمه، ولما كان القاضي لا يحسن اللغة العربية، أرسل ترجمانه ليستفسر منه عمّا يريده، فأخبر طريمش الترجمان بالأمر، والترجمان بدوره أخبر القاضي بجلية الأمر، فانتفض القاضي غاضباً وقال:

ـ ما دامت منزلة القاضي في هذا البلد هكذا، فأنا من الآن أقدّم استقالتي وأرجع غداً إلى الآستانة!؟

۞ ۞ ۞

في مجلس أدبي كان الحديث يدور حول ضرورة إطلاق الأسماء العربية على المحلات والأشخاص والمنتوجات وغيرها اعتزازاً بأسماء العرب الأوائل وإلغاء للأسماء الأجنبية التي كانت شائعة في العشرينات، وفعلاً بدأ الناس يطلقون على أولادهم تلك الأسماء الحسنة، كما أن الكثير من المحلات استبدلت أسماءها الأجنبية بأسماء عربية، فسُئل الكرخي عن رأيه فأجاب: ـ أنا أوّل مَن سمّى جميع أولاده وأحفاده بأسماء القادة والعلماء والشعراء والوجهاء العرب فمن أسمائهم مثلاً: حاتم، طارق، قيس، وائل، نزار، إياد، تبع، أسامة، منذر، يقظان، ليث، معن.. الخ. إلاّ أنني وجدت بعض الناس يغيّرون الأسماء بحيث تصبح مدعاة للسخرية، وهذا ما أحزنني وأثار غضبي ومن ذلك مثلاً (دعد) أصبح (دعدوشه)، و(الخنساء) أصبح (خنسه وخنوسة)، و(هند) (هنديه) ويعرب (عريبي) و(زيد) (زيدان) و(عائشة) (عيشه وعواشة)... الخ.

وصادف أنني ركبت ـ مرة ـ سيارة من الشطرة إلى الناصرة، وسألت السائق عن اسمه فقال: (چيوان) فقلت له يقتضي أن أصل اسمك هو (كيوان) وقد استبدل الكاف بالچيم، ولشدة غضبي قلت: عليك أن تحمد الله، فلو استُبدل الكاف بالحاء لأصبح اسمك (حيوان)!؟

ومرة سألت آخر عن اسمه فأجابني: محمود ابن محمد، ولكن الناس يطلقون عليّ اسم محمود أبو الجاموس لأنني دهست ـ مرة ـ جاموسه. فقلت له أيضاً: احمد الله لأنّك لم تدهس كلباً، فلو فعلت ذلك لأطلقوا عليك اسم (محمود أبو چلاب).

۞ ۞ ۞

وروى لجلسائه أيضاً هذه النادرة التي شاهدها بنفسه أثناء جولاته:

- ينادي أرباب السلع على سلعهم - من باب الترغيب - بعبارات لا تخلو من لغز أو غمز، فبائع الشلغم في بغداد ينادي: (مر علينا يا حلو) وبائع المشمش يصيح: (يا محنه ضارب الكفين لأجل الغوه، محنّه يا خوخ) وبائع الكبة: (اليضوگ يبلش) والقصاب: (وجعان ما بيّ وجع، درد الهوش راميني) وقد شاهدت بائع بطيخ (گرمگ) في الحلة، جالساً في دكانه يقابله دكان بقال لشاب جميل الخلقة اسمه (نعمه) وهو ينادي على سلعته: (أبيض وناعم، نعمة الله يا گرمگ!) فما كان من (نعمة) إلاّ و(عزّل) دكانه وانتقل إلى مكان بعيد آخر، معتقداً أنّه هو المقصود، والمناداة كانت من باب (الحِرشه) والتغزل. وإن أردتم المزيد فارجعوا إلى قصيدتي (الكونية) فستجدون الكثير من هذه النماذج الطريفة (الجزء الثاني من الديوان، صفحة ٢).



طعامهم حِلٌّ لكم - حتى المجانين يعرفون المشاهير! - نبي جديد في (الدغارة)!؟ - نموذج من مدعي القومية والوطنية - الصحافي الحاكم المطلق - رأي الشبيبي في شاعرية الكرخي -

من ذكريات الكرخي التي رواها لقرائه: أولم التاجر المعروف محمد الرفيق، وليمة في داره بمدينة (الديوانية) لي ولعدد من أصدقائه التجار - القادمين من بغداد - أذكر منهم السيد مكي بهيه وعبد الرضا شعبان ومير سودايي، وحيث إن الضيوف من أعزائه، فقد قدَّم لهم ما لذَّ وطاب من أصناف الطعام، وأثناء تناولنا الغداء على مائدته لاحظت، أن الضيفين مير سودايي وعبد الرضا شعبان يأكلان في صحن واحد لحوماً طرية، فقلت لمير سودايي:

- أيجوز في شرعكم أكل لحوم الگوييم (المسلمين)؟

- أبدالك! نحن متجددون، ما بقى حغام (حرام) عندنا!

ثم سألت عبد الرضا شعبان:

- أنت شتگول؟ حلال تأكل مع مير؟

فأجاب:

- طعامهم حل لكم، وطعامكم حل لهم!؟

فشكرت الاثنين على جوابهما المقنع.

❁ ❁ ❁

ومن ذكرياته أيضاً: كنت في مجلس الصديق (حكمت الإمام) في السماوة، نتسامر، إذ دخل رجل مجنون يدعى جبار، ولما شاهدني قال مخاطباً نفسه:

ـ لكْ جبار! اشرد لا يهتكك ملا عبود، هذا البندگ بيه ما يخلص منّه إلى يوم القيامة!؟

فناديته، ولاطفته، وما هي إلا دقائق حتى زال خوفه فقربته من مجلسي، وأفهمته بأنني لست كما يتصور، ثم قرأت له هذه الأبيات فارتاح وانصرف مقتنعاً.

گبل ما ارضع الدايه   زاد بالموطن بلايه

تاكل الجاجه عشايه   ولقّبوني بـ (شانتاج)

قاتل الله الشهرة، فهي مجلبة للويلات والمتاعب!

❁ ❁ ❁

ومن ذكرياته: بينما كنت صحبة السيد عبد الحميد الدهان مأمور استهلاك (الدغارة) وبعض الموظفين نتجول في طرقات البلدة، شاهدت رجلاً يفترش الأرض وأمامه كمية من التمر المتسخ فسألت عنه (الدهان) فأخبرني بأن هذا الشخص يدَّعي النبوة، ورأيت أن أستطلع رأيه، وما يوحى إليه، ولا بد قبل ذلك أن آتي على وصفه وهويته، فهو يدعى (هادي السلمان)، ويلقِّب نفسه (بالنبي الهادي)، طويل القامة، أسمر البشرة، غائر العينين، كريه الوجه، رث الثياب، قذر اليدين والرجلين، فابتدرته بالسؤال عن اسمه، فأجابني بأنَّه (النبي الهادي) لهذه الأمة، ويستدل على نبوته بأن يوم البعث قد حل، وأن العالم أصيب بالفناء، والعالم الموجود الآن قد ظهر بعد الفناء، وإنه نبي هذا العالم، المرسل له، ولما سألته عن ماهية معجزات النبوة التي تؤيد مدعاه، أجابني: أليس النبيُّ محمدٌ أمياً، قلت: نعم، قال: وكذلك أنا (أمي) كالنبي محمد وهذا أكبر دليل على نبوّتي. واستمر في هذيانه وخزعبلاته فتركته بعد أن لعنته جهاراً نهاراً أمام الناس، ومَن كان معي.



ومن ذكرياته التي ترجع إلى نيسان ١٩٣٩:

عدت من المظاهرة التي أقيمت احتجاجاً على مظالم فرنسا تجاه إخواننا عرب الشقيقة سوريا، فصادفني المثري الكبير، صاحب العقارات والأطيان (ل. ي) في جانب الكرخ وقال لي متحمساً:

- أنا يا كرخي لا أصبر على الضيم، ولا على جور الفرنسيين في جزء من بلادنا العربية وهي سوريا، وأنا مستعد أن أمشي للجهاد في سبيل نصرة إخواني عرب سوريا، وأبذل دمي وما أملكه في سبيل هذه الغاية المقدسة. فقلت له: - بارك الله فيك على هذا الشعور الطيب، ولكن الشيخوخة بادية عليك، وإن حياتك الصحية لا تساعدك على تحمّل أتعاب السفر إلى هناك، فالأجدر بك أن تتبرع بشيئ من المال لمساعدة أبناء سوريا المضطهدة وفلسطين المظلومة، وهذا أضعف الإيمان.

ولما رأى أني أكلمه بجد، تلعثم وأخذ يتملص، بعد أن أصبح تجاه الأمر الواقع، وقد نزلت معه إلى المائة فلس فلم يحصل منه أي شيئ. وبعد أن يئست منه وتأكدت أن (من هالزاغور ما يطلع عصفور) قلت له ساخراً: هكذا الجهاد وإلاّ فلا!؟

وتذكّرت قول شاعرنا الرصافي:

كم يدّعي وطنيةً مَن لم تكن مرت ببابه
ليكون مكتسباً بها مالاً تهالك في اكتسابه
فكأنما هو صائدٌ وكأنَّما هي من كلابه

❀ ❀ ❀

ومن ذكرياته الصحفية عام ١٩٣٩:

يعتقد الكثير من الناس بأنَّ الصحافي في هذا البلد هو الحاكم المطلق، وعلى يديه تحل جميع المشاكل المعقدة والقضايا المستعصية، ولا أبالغ إذا حدثتكم عن قليل من كثير مما عرضه عليّ بعض الناس من المشاكل لأحلّها لهم بنفسي، فقد صادفني أحدهم في الطريق ورفع إليّ شكواه بهذه الصورة:

- مولاي! زوجتي أخذها أبوها من بيتي دون رضاي، وأريدك تسوّيلي جاره ببخت الله وبختك؟!

وقال لي آخر:

- عمّي! اشتريت عايشة من خريبط المعيدي بشرط أن تكون حلوباً وأخيراً

طلعت ما تحلب، والآن ما يرضى يرجعها، أريدك تبعث عليه وتجبره على إرجاعها!؟

وقال لي سائق سيارة:

- سيدي! أخبرك عن الشرطي فلان، هدّدني حتى أرشيه (كذا) .

وقال لي موظف صغير:

- أستاذ! سويلي چاره، أنا مستأجر دار، والآن صاحبها يريد زيادة بالشهر دينار، منين أجيب له، من كثرة راتبي!؟

وقال آخر:

- عمي! المزين جرحني، وأنا جيت أشتكي عليه عندك.

وقال آخر:

- آخر، أنت شلون صحافي؟ ما تشوف الهوا شرجي حار، مو ضاقت أنفاسنا، ما تعمل لنا چاره؟!

وهكذا، يظن بعض الناس، أن الصحافي هو الحاكم المطلق، وأن قوله هو الفصل في جميع الأمور. ولو أردت أن أعدد ما أسمعه يومياً من الناس من مطاليب وشكاوى لأحوجوني ذلك إلى مجلدات ضخمة ولله في خلقه شؤون!؟

❁ ❁ ❁

ومما رواه الكرخي لقرائه: في اليوم الأول من عيد الفطر المبارك عام ١٩٣٨ م زرت ديوان مجلس الوزراء بقصد معايدة أصدقائي الوزراء، فدخلت على الشيخ محمد رضا الشبيبي وجرت بيننا المحاورة الآتية:

- أيامك سعيدة يا شيخنا الشبيبي!

- وأيامك يا لسان العراق وشاعر الأمة وأمير الشعر الشعبي.. إلخ.

وكان أحد الشخصيات حاضراً، فعقب على ثنائه قائلاً:

- يكفيك يا كرخي فخراً أن جهبذاً من جهابذة الشعر العربي شهد بحقك.

❁ ❁ ❁



الشيخ محمد رضا الشبيبي

حدوة فرس (عبيد) ـ رأي الكرخي في (البصير) ـ الكرخي بين بطي والسمعاني ـ ويح فردٍ حاربته دول!؟ ـ مجلس الشيخ مظهر الحاج صگب ـ قصيدة العبدلي في مدح الكرخي ـ من خصال العرب الحميدة ـ

كان الحديث يدور في مجلس الشيخ مظهر الحاج صگب ببيته الكائن في محلة جديد حسن باشا، حول الصحافة المحلية، فدخل في الحديث السيد محمود الپاچچي، صاحب جريدة (أبو جاسم) المتوقفة عن الصدور، ولكن الشيخ مظهر قاطعه مازحاً:

ـ أنت جريدتك تشبه (حدوة فرس عبيد)!؟

وحيث إن الحاضرين لا يعرفون مغزى هذا المثل، فقد طلب الكرخي إلى صديقه الشيخ مظهر شرح المثل وبيان علاقته بجريدة الپاچچي، فقال: ـ كان لأحد الأعراب ويدعى (عبيد) من أهالي الحلة فرس، وكلما كانت تحتاج إلى (تنعيل) يأتي بها إلى (النعلبند) في الجانب الصغير من الحلة، فيدفع له ربع (مجيدي)، فقد أثار هذا التفاوت استغراب ولده الذي يشتغل معه في المحل، فسأل والده:

ـ ما الفرق بين فرس (عبيد) وبقية الخيل، حتى تكون الأجرة متباينة بهذا الشكل المحسوس؟

ـ هذا مو شغلك، إحنه نشرّب على گد فلوس المشتري، گوم روح للنزمِزة، براس الولاية واشلع چم نعل من الفطايس، وتعال!؟

فذهب الولد وجلب الحدوات وسلمها لوالده، فوضعها في قوائم فرس (عبيد) وقال لولده:

- تنعيل فرس (عبيد) بربع مجيدي، غالي لو رخيص؟

فأجابه:

- طبعاً، إذا شغلك هالترتيب، الربُع مجيدي هوايه، لأننا لم نخسر سوى المسامير، وبعد چم يوم هم راح يطير النعل، ويجيك (عبيد) من جديد!

وبعد أن أنهى الشيخ مظهر حكايته، التفت إلى محمود وقال له:

- جريدتك صدرت مرة واحدة وطارت، مثلما طارت حدود فرس (عبيد)!؟

فضحك الحاضرون، ثم انتقلوا إلى أحاديث شائقة أخرى.

❁ ❁ ❁

قال الكرخي في معرض الحديث عن أدب الدكتور البصير في شباط ١٩٣٩: - أوفدت الحكومة الشاعر الأستاذ محمد مهدي البصير[1] إلى فرنسا لدراسة الآداب والتخصص فيها، وقد أكمل الأستاذ دراسته، ثم قدَّم أطروحته فنال (الدكتوراه)، تماماً كالدكتور طه حسين في مصر.

لكننا إذا فتشنا سوق السراي (سوق المكتبات) لوجدناها غاصة بإنتاج طه حسين وثمرات شهادته. فأين إنتاجكم يا أستاذنا البصير، وماذا ستكون مخلفاتكم في الآداب؟

هل ستبقون ساكتين هكذا، مكتفين بأن يقال لكم الدكتور محمد مهدي البصير، أو ماذا؟؟

❁ ❁ ❁

في كانون الثاني ١٩٣٩ عقدت جريدة (الزمان) البغدادية لصاحبها السيد توفيق السمعاني مقالاً افتتاحياً (تناوشت) فيه الأستاذ رفائيل بطي، صاحب جريدة (البلاد)، قالت فيه: (لا نعرف لهذا الزميل لوناً نصبغه فيه.. الخ)، فاستاء الكرخي من هذه المهاترات ولاسيما بين زملاء، تظللهم خيمة الصحافة، فتوجه بهذا العتاب إلى السيد السمعاني:

«نحن لا نريد أن نتدخل بين الزميلين، ولكننا نود أن نعرف لونكم الذي صُبِغتم فيه، وثبتّم عليه، فهل أنتم على (عهدكم) باقون؟؟»

ـ والمعروف أن توفيق السمعاني كان من أنصار حزب (العهد) الذي يرأسه نوري السعيد أمّا رفائيل بطي فكان من مؤيدي حزب (الإخاء الوطني) الذي تزعمه ياسين الهاشمي وجعفر أبو التمن[٢].

۞ ۞ ۞

روى الكرخي لقرائه هذه الرواية الطريفة:

لا أدري هل كان من حسن الحظ أو من سوئه، عندما شاهدت ـ لأول مرة ـ تصوير العلامة الأشهر الأستاذ حبيب العبيدي ـ النائب السابق ـ وصاحب القصيدة المشهورة، التي مطلعها:

أيُّها السائل عنا في القصور الهجّع نحن لا نرقد إلاّ تحت ظل المدفع

حدث ذلك في الأسبوع الماضي حين زرته فوجدت صورة وجهه الحسن مكبرةً في مكان بارز من مجلسه، كتب تحتها هذا البيت:

كل يوم دولة تظلمني ويح فرو حاربته دولُ

وفي الحقيقة أن البيت المذكور أعجبني كثيراً، ولكنني عندما عدت إلى داري وجدت حافظة نقودي مفقودة، ويظهر أن واحداً من (أبناء الحلال)!؟ نشلها في الطريق.

فقلت وأنا أخاطب تصوير الأستاذ العبيدي:

ـ بربّي، ميقصرون بيك، هسّه آني ليش فلوسي تروح؟

۞ ۞ ۞

وصف الكرخي مجلس الشيخ مظهر الحاج صكب ـ رئيس عشائر السعيد ـ الكائن في جديد حسن باشا قائلاً: إنّه من المجالس الكبيرة الأنيقة، التي يجد فيه رواده نكهة المجالس العربية وأنسها، فإنّه دائماً غاص بشرائح مختلفة من المجتمع، فأنت تجد فيه الأديب والشاعر والوزير والموظف الكبير والمحامي والطبيب والعالِم والصحافي... الخ وحتى المتسولين والفقراء والمساكين يجدون في هذا البيت العامر والمجلس العربي الفاخر، ما يمنون به أنفسهم من الرزق، وخاصة في أيام الأعياد.

وصادف أن زرته في أحد أيام العيد، فوجدته ـ كالعادة ـ غاصاً بالزائرين وكلهم من علية القوم، ولكنني وجدت إلى جانب ذلك عدداً من البائسين جالسين في الزوايا، فقلت للشيخ مظهر:

ـ إن ديوانك محط الأنظار ومنتدى كبار القوم فأرى أن تصرف هؤلاء الفقراء بإعطائهم شيئاً مما أعطاك الله، أو تخصص غرفة لهم يجلسون فيها.
فأجابني:

ـ هؤلاء بشر مثلنا، وقد قال صاحب الرسالة محمد (ﷺ): (الفقراء عيالي)، فلا يمكنني أن أصرفهم، وأنت تدري يا أبا نجم وتعلم أن: (قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى).

فقلت له:

ـ هذا كله تمام، ولكنني أرى أكثرهم يعتمرون (السيديات) في رؤوسهم باعتبار أنهم (سادة) وهم يدّعون ذلك حيلة، وأنا أعرفهم جيداً، وقد ألفوا عصابة للتسول، تسكن في خان، في (صوب الكرخ) وقد كتبت مراراً بشأنهم، ولفت إليهم أنظار الشرطة، لذلك إنَّني أرى مساعدة أمثال هؤلاء يخالف قول سيد الرسل (ﷺ): (الصدقة حرام علينا أهل البيت)، إذا سلمنا جدلاً بأنَّهم (سادة)!؟

❀ ❀ ❀

في هذا المجلس كانت تُتلى القصائد والكلمات والطرائف والأفاكيه المستملحة من قبل الحاضرين من أهل الشعر والظرف والأدب. أذكر مرة ـ والكلام للكرخي ـ أن الحاج شمران ـ شقيق الحاج مظهر ـ عاد من الحج، فنظمت بهذه المناسبة قصيدة كان مطلعها:

(أهلاً بمَن صام وصلَّى واعتمر　　　واستلم الركن مراراً والحجر)

وهي طويلة، كانت أقرب إلى الفصحى منها إلى العامية، وقد أعجبت كل من سمعها أو قرأها، ومنهم الشاعر عباس العبدلي، الذي نظم قصيدة يمتدحني بها، تلاها في هذا المجلس، منها على ما اتخطر:

قرأ (الكرخي) أبياتاً إلى　　　(حاج شمران) الرئيس (ابن صقب)
حبذا أبيات شعرٍ أنها　　　قد أعيدت بين أرباب الأدب
يا فلله يد عند الثنا　　　كتبتها بسطورٍ من ذهب
كيف لا وهو الذي قد فاق من　　　نظم الشعر قديماً وكتب
فهو من حيث المعاني شاعر　　　وله غر القوافي تنتسب
جلّ من أعطاه ذيّاك النهى　　　وكفاه الشعر للمدح سبب
مثله لم نر في هذا الورى　　　شاعراً قط قديراً في العرب
درس النحو وبالصرف انتهى　　　والبديع اختار والمنطق حَسبْ

والعروض الرائق الباهي ارتضى والبيان الفائق الزاهي انتخب
فإذا قيل لعمري شاعرٌ فله في شعره أعلى الرتب

❀ ❀ ❀

وأكثر الأحاديث التي تدور في مجلسٍ كهذا كانت تتناول صفات العرب وسجاياهم وتقاليدهم وعاداتهم وأخبارهم، فلكل مقامٍ مقال، ومما رواه الكرخي للحاضرين هذه المشاهدات التي عاشها، والوقائعَ التي سمع بها عن خصال العرب الأماجد في هذا البلد من سنين قريبة:

كان المرحوم الشيخ فرحان باشا، شيخ مشايخ شمر - جد الشيخ عجيل الياور - رجلاً كريماً، كبير النفس، تتجسم فيه كل الصفات والخصال العربية. صادف أن ضافه رجلان أحدهما إنكليزي والآخر هندي، وكانا متنكرين بملابس بدوية، وبقيا مدة طويلة في ضيافة الشيخ فرحان على رحب وسعة، وفي ذات يوم أرادا أن يسافرا إلى جهة أخرى، فدخلا على (فرحان باشا) وسألاه:

- يا لاجي خير، أشو ما سألتنه علويش جايين، وشنو شغلنه؟

فأجابهما:

- حنّه، ما لنا عادة نسأل الضيف، لو يبگه سنه!؟

فقالا له:

- إن أحدنا إنكليزي والثاني هندي، ونريد منك أن تعدنا بأنك تصير صديق بريطانيا، ومخلصاً لها.

فأجابهما:

- معاذ الله، أنا رجل بدوي، لا أستطيع أن أتفق مع الإنكليز، لا بالفكر ولا بالعادات.

وتوفى رحمه الله وهو عربي صميم لم يغير من عاداته وتقاليده شيئاً.

ثم خلفه ولده (العاصي)، وذات مرة، جاء إلى بغداد، وكان آنذاك المرحوم السيد عبد الرحمن النقيب فتى صغيراً، فرآه (العاصي) وسأل عنه فقيل له: هذا ابن النقيب.

وبعد ستين سنة جاء (العاصي) ثانيةً إلى بغداد والتقى المرحوم السيد عبد الرحمن النقيب، وكان آنذاك نقيب أشراف بغداد، فقال (العاصي) له:

ـ لقد شاهدت هذه الملامح منذ ستين سنة، يوم كانت القبائل كلها تفد إلى دار والدك النقيب فيتوسط بينها وبين الحكومة لقضاء المصالح والأشغال، علاوة على ما كانت تلاقيه من حسن الضيافة، فبارك الله فيك يا نعم الخلف لخير سلف.

أسوق لكم هذه العبر ـ والكلام ما يزال للكرخي ـ وأنا أرى تصرفات وسلوك بعض رؤساء القبائل والشيوخ في الحال الحاضر، من الذين غيروا عاداتهم، بحجة التمدن، فأصبحوا (متنگرزين)[٣]، يرقصون (الدانس) ويحتسون الويسكي، ويخاصرون الراقصات، ولهم في (الأوتيلات) والمراسح شأن كبير. أسفاً على العادات التي تبدّلت والدنيا التي أصبحت غير الدنيا، فأين هم شيوخ ورؤساء عهد (فرحان باشا والعاصي) وأمثالهما، أين؟



هوامش

(١) الدكتور محمد مهدي البصير: وُلِدَ في الحلة في ٢٤ حزيران ١٨٩٥ م ونشأ فيها وتعلم وبدأ نظم الشعر وأسّس فرعاً لحرس الاستقلال.
ترك الحلة في ربيع ١٩٢٠ إلى بغداد واشترك في ثورة العشرين خطيباً وشاعراً، اعتقل وسجن واشترك في تأسيس الحزب الوطني ونفي إلى جزيرة (هنجام) في الخليج العربي. ألّف كتاب (القضية العراقية) وعمل أستاذاً في جامعة آل البيت، غادر العراق للدراسة العالية سنة ١٩٣٠ إلى مصر ثم إلى فرنسا. حصل على الدكتوراه برسالة (شعر كورني الغنائي). عاد إلى بغداد وعُيِّن أستاذاً للأدب العربي بدار المعلمين العالية سنة ١٩٣٨. ألف ونشر: بعث الشعر الجاهلي، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، عصر القرآن، الموشح في الأندلس وفي المشرق، في الأدب العباسي، خطرات، البركان.
نشر الجزء الأول من (سوانح) وأعاد طبع (في الأدب العباسي) للمرة الثالثة. أكمل (خطوات) وألقى أحاديث في الأدب العربي من تلفزيون بغداد.
خلف من المخطوطات: زبد الأمواج (ديوان). أحيل على التقاعد عام ١٩٥٩. توفي في بغداد فجر يوم السبت ١٩ تشرين الأول ١٩٧٤ م.

(٢) يظهر أن المرحوم الأستاذ رفائيل بطي اتجه عام ١٩٣٥ إلى مناصرة الحكومة القائمة آنذاك، مما أغضب (الإخائيين)، فعاتبه زميله وصديقه الكرخي بقصيدة رقيقة، نشرها في جريدته آنذاك، منها:

بيك ظني حسن، مُبطي … أيها الأستاذ (بطي)
بيك أنا ظني لدالي … داعي لحزب الإخاء
وابلالي، وابلالي … وصلت المسألة البسطي
ناس أرادوا يبعطوني … ويشتموني، وينقدوني
من المجالس يطردوني … ويعذوني رجل مخطي
للشعب شغلته عاري؟ … يا زميلي تاه فكري
حللوا كفرك وكفري … وانفقد قسطك وقسطي
أناصرك حتى لمعاني … عجز يا حلو المعاني
صرت أنا أشبه الجاني … محنة وساحلني شرطي

أثقلت فكري، ونفسي ـل، وازدادت إهمومي

هل (إجانبي) أم (حكومي) أنت إصدلتني بـ (بطني)

(٣) متنگرون أو متنگلزون: المتشبهون بالإنكليز.

من عاداتنا العربية الأصيلة ـ كان (الحافاتي) مراقباً على (الكرخي) في الكتاب ـ أسماء الأبناء في العهود المتعاقبة على العراق ـ (البمبيلي) في مقهى البيروتي ـ

تحدّث الكرخي إلى جلسائه عن العادات العربية الأصيلة التي كان لجولاته وأسفاره الفضل الأكبر في الوقوف على الكثير منها:

لما كنت في لبنان عام ١٩٣٧، أردت رؤية صديق لي كان هناك آنذاك، فلم أستطع التعرف على محل إقامته، فاضطررت أن أسأل عنه الناس، ومن باب الصدف مررت بدكان أحد الحلاقين، وسألته عن صاحبي فقال لي: أعط خمسة قروش إلى صبي المحل وهو يرشدك إلى مكانه. فدفعت القروش صاغراً، ثم خرج (صانع الحلاق) معي ودلني على محله، وإذا هو بجانب الدكان نفسه، وهذه ظاهرة مردودة وعادة ذميمة تتنافى مع الخلق العربي الأصيل، ويظهر أن هؤلاء، إمّا أن تكون أصولهم غير عربية أو أن طبيعة الحياة المادية، وتأثيرات الاحتلال الفرنسي وغيره قد أفسدت أخلاقهم، وأماتت شهامتهم. بالعكس تماماً مما لمسته لمس اليد في بلادنا العراق أثناء جولاتي في ربوعه، فكم من مرة سألت أحد بسطاء الأعراب عن محل ما، فأجابني: (ما أدلّيك إلاّ إذا تغديت معنا). وصادف مرة أنني ركبتُ سيارة من (الشطرة)، وكان معي في السيارة، أحد مشايخ (خفاجة) واسمه (مطشر بن شطب المنهل) ومعه رجلان من عشيرته، وبعد أن قطعنا مرحلة من الطريق، قال لي السائق:

ـ ملا! أهل الشيخ في هذا الطريق الفرعي، وهو يبعد مقدار نصف ساعة

عن الشارع العام، فإذا تريد توگف تنتظرني، إلى أن أوصلهم وأرجع عليك، أو تجي ويّانه؟ أنت حر!؟

ولما سمع الشيخ كلام السائق أصرَّ عليه قائلاً:

ـ والله، ما يصير الركاب ينزلون من السيارة، لو يجون كلهم ويّانه، وهناك يتغدون، لو آني وربعي نمشي إلى أهلنا. خاصة وأني أبحث عن ملا عبود الكرخي بالمنى، وأتمنى أشوفه، ولذلك كرامة الخاطر ملا عبود راح ننزل نمشي للـ (قلعة)، ولو إحنه معاملين السايق يوصلنه لأهلنه!؟

وفعلاً نزل الشيخ ومَن معه، وذهبوا إلى بيوتهم مشياً على الأقدام بعد أن ودّعونا وداعاً حاراً.

هذه يا جماعة واحدة من خصال العرب الحميدة، فأين الثرى وأين الثريا؟

❀ ❀ ❀

ومما جرى له مع العلامة عبد الحليم الحافاتي[1]:

في عام ١٩٣٨ كان العلامة الحافاتي نائباً في المجلس، وفي إحدى الجلسات، كنت في شرفة الصحفيين، أستمع إلى خطبة له، كانت للأسف ركيكة، وفيها بعض الأغلاط النحوية والصرفية، وبوقته نبّهته إليها ولكنه اغتاظ، في حين أنني ما كنت أقصد إغاظته، بل كنت أخشى أن تتناوله الألسنة بالنقد، فهو من أصدقائي القلائل الذين بقوا على قيد الحياة ممن تربطني بهم رابطة صداقة قديمة، تعود إلى عهد الصبا، يوم كنا في كتاب (ملا عبده)، وكان حضرته مراقباً علينا، إذ إنه يكبرنا بنحو عشر سنين، ولتصفية الجو فيما بيننا تقدّمت إليه معتذراً.

❀ ❀ ❀

وفي جلسة كان الحديث يدور حول غرابة الأسماء الشائعة بين الناس، قلت:

اعتاد الناس على تسمية أبنائهم بأسماء يستقونها من الظواهر الكونية والجوية والمناخية، مثل: ندى، مطر، حالوب، ثلج، شرجي، غربي، نجم، سهيل، كيوان، صيهود، صافي، خابط، بحر، نهر، وادي، جبل... إلخ.

أو من الحيوانات مثل: أسد، سبع، غزال، عربيد، جري، شبوط، بني، واوي، بزون، مطي، صگر، جحش:

أرجو تصدقني لأن عقلي اندهش   سمتك امك جحش اما گحش

دريج:

دريج اسمك يا فقير   بنسبتك يطلع صغير

سيد ذيب: (اشتهر بالبخل في بغداد أيام زمان):

(سيد ذيب) لملمها   بعمره ما خِرج منها

بلاسم (كناية عن الأفعى غير السامة) وهو اسم الشيخ بلاسم الياسين:

أفعى لكنّك بلا سم   تلدغ أعداءك (بلاسم)

كما يسمون أبناءهم بأسماء مستقاة من الحديث (خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد).

وفي العهد العثماني انتشرت في العراق الأسماء المركبة مثل مصطفى عاصم، أحمد حالت، توفيق فكرت... إلخ وأسماء الأعلام من أمثال: محمد رشاد، ناظم، محمود شوكت، خليل، قوچان، فرمان، مدحت، عبد الحميد، عادلة، راغبة، هيبت، نوزاد، وهكذا.

وبعد الثورة العربية عام ١٩١٦ ظهرت الأسماء، فيصل، غازي، عبدالله، عبد الإله، عاليه.. إلخ.

وأثناء الاحتلال البريطاني للعراق سمعنا من الأسماء: كوكس، لورنس بن الشيخ متعب الهذال، ديلي، دكسن العومي (رئيس التشريفات)، نواط (رئيس البوعنه)، وهناك أسماء تدل على عهود أخرى مثلاً: عجمي وتركي أولاد عطية أبو گلل، روسي وألماني أولاد عباس الترف في علاوي الحلة.

وحين توالت الانقلابات العسكرية على العراق، أطلق الناس أسماء أبطالها على أولادهم، ولكن البعض منهم كانوا يغيرون أسماء أبنائهم بمجرد أن يتغير الحكم، أو يصبح الاسم من المغضوب عليه، وأذكر من باب الطرافة، أن صديقاً لي أطلق على وليد له جاء في عهد انقلاب ١٩٣٦ اسماً مركباً هو (بكر صدقي) تيمناً ببطل الانقلاب الفريق بكر صدقي، وبعد مقتله بتاريخ ١١ آب ١٩٣٧، أسرع الوالد بمراجعة دائرة النفوس طالباً حذف (صدقي) من اسم ولده ليصبح اسمه الجديد (بكراً) فقط، لله في خلقه شؤون.

❁ ❁ ❁

روى لي والدي حاتم أنه كان صبيحة أحد أيام صيف ١٩٢٨ جالساً في

قهوة البيروتي المطلة على دجلة، والقريبة من رأس الجسر القديم (الشهداء حالياً) من جهة الكرخ، فشاهد (البمبيلي)(*) داخلاً، فاستغرب والدي لأنه لم يعتد على رؤيته في القهوة وربما لم يدخلها سابقاً، وعلى تخت قريب من الباب جلس يتفحص الداخلين. مرت ساعة أو أكثر وهو جالس، وعلى حين غرة دخل المقهى أحد الأعراب وهو يبكي ويولول، فاجتمع الناس حوله وأخذوا يهونون عليه، وطلبوا له شيئاً من الماء ليغسل وجهه ويهدئ من روعه، ثم سألوه عمّا أصابه، فأجابهم: إني رجل من الريف، آتي بين آونة وأخرى إلى (علاوي الحلة) للتسوّق، فأنا بائع قماش، وقد فقدت كل الفلوس التي جلبتها معي. عندها نهض (البمبيلي) وتقدّم إلى الأعرابي وسأله: ما هي أوصاف الفلوس التي ضاعت منك؟!

فأجابه: چلبي! فلوسي ٥٠٠ روبيه، كلها أوراق، ويّاها خمس روبيات خردة، للخرجية، مشدودة بچفيّه حمره مورّدة بلون أخضر وأصفر وماوي!؟

ولما تأكّد (البمبيلي) من صدق كلامه، وقف على التخت بقامته المديدة، وقال بصوت جهوري سمعه حتى مَن كان في (چعب) المقهى:

ـ كلكم تعرفون منو آني، كُلّش زين، لكنْ خيّركم ما يسوي سوايتي، وما يرد لهفة ملهوف، فقد عثرت على فلوس هذا الرجّال مطروحة على الأرض، وأنا أعبر الجسر في طريقي من ذاك الصوب لصوب الكرخ فالتقطتها، وربكم حميد ما شالها غيري چان لفلفها، وگلت خل اگعد بـ (البيروتي) لا بد أشوف صاحبها، يمر من الگهوه، وأسلمها إله.

ثم صاح بالأعرابي، (دير بالك على فلوسك منّا وغاد)، ثم سلّمه إيّاها،

(*) للكرخي في (محمد البمبيلي) قصائد عديدة، حفظها الكثير من الناس عن ظهر قلب، وهي من الشعر الصريح المكشوف، أشهرها القصيدة الدالية التي نظمها عندما طلق زوجته (رهجينة)، أخت سليمة مراد، ومطلعها:

رزق الرجل مِن زاد، اعتقد يفسد ... وبالنعمه محقق يكفر ويجحد
هذا مَثل يُضرب بالنمل، مشهور ... إذا يطفي، جناح ايصير له ومغرور
اول ما يطير ويصرطه العصفور ... يصبح ضَرِگ أصفر لاطِش بمقعد

ضَرِگ: ذرق، براز الطيور.
لاطش: ملتصق، لاصق.
البمبيلي: نسبة إلى مدينة (بومباي) الهندية.

وخرج من المقهى، والمسكين يدعو له بالخير!؟

أمّا الناس فقد أخذ كل منهم ينظر في وجه صاحبه، بعد أن (بلعوا) ما سمعوه من فاعل الخير (البمبيلي)!؟ من كلمات قارصة.

❀ ❀ ❀

ومن القصص التي حدثونا بها عن (ريمة أم عظام)، أنها مرّت ذات يوم بالسوق الذي تقع عليه (قهوة البيروتي) في الكرخ، فرآها (حمودي الواوي)، أحد تجار الفاكهة بالكرخ، وكان جالساً بباب الخان الذي يمارس فيه عمله، والخان ملك لريمة، فقال لها:

ـ يا ريمة! سمعت أنك تريدين أن تبيعي هذا الخان. قالت: نعم، قال: بكم أردته؟ قالت: بعشرة آلاف مجيدي، قال: اشتريت. قالت: هات عربوناً. فمد حمودي يده إلى سلة تفاح كانت بجانبه وأخذ تفاحة فرمى بها إليها، وقال لها: هاك العربون، فتناولت التفاحة ومضت في طريقها، وكانت هذه المحاورة بمرأى ومسمع من تاجر من مزاحمي حمودي الواوي، فسعى وراء ريمة، بعد أن غابت عن عين حمودي، وتعلق بها، وقال لها: لقد غشك حمودي الواوي، فإنّ الخان يساوي ثمناً أكثر من الثمن الذي عرضه عليك، وأنا مستعد لشرائه منك بضعف المبلغ، فالتفتت إليه، وقالت له: أما أنا فقد بعته وقبضت العربون، وأرته التفاحة التي في يدها، وعليك أن تراجع صاحب التفاحة، لأن الخان أصبح ملكاً له.

(موسوعة الأستاذ الشالجي)

هوامش

(١) الحافاتي: الشيخ عبد الحليم أبو أفضل الدين العراقي البغدادي، له صلة رحم بمصطفى عزت عبد السلام أحد كبار رجال القانون في العراق.
كان ـ رحمه الله ـ فقيهاً عالماً، وقد عمَّر طويلاً، وكان موقتاً للساعات في جامع السراي، توفي في الرابعة والتسعين، وإنَّه كان متنعماً، متأنقاً في ملبسه. وكان رحمه الله، يطلق لسانه في الناس لطول عمره ومعرفته بهم، ولذلك فإنَّه لم يكن محبوباً منهم، ومن لطائفه أنَّه كان جالساً في قاعة الساعات في جامع السراي، وهي قاعة تطل على الطريق العام ومرت سيارة فيها (حداد پاشا) أحد كبار حاشية المرحوم الملك فيصل الأول، فنظر إليه الحافاتي وحرّك ساعده في غيظ وقال: نحتاج بعد إلى (سندان پاشا). ومنها أيضاً أنه قال: لا تصدق مَن يقول لك أنه يفضل الموت على الحياة، إنَّ الانسان لو حُشَّ في است بغل، بحيث لا يظهر منه إلاَّ أنفه يتنفس به. ثم يخيّر، هل يفضل أن يموت، أو أن يبقى حياً ويظل في است البغل، لفضل أن يبقى حياً في است البغل على الموت.
لاطش: ملتصق، لاصق.
البمبيلي: نسبة إلى مدينة (بومباي) الهندية.

مناظرة شعرية بين أكرم وشاهين في ظلال الباروك ـ من أين جاء لقب المغنية سليمة مراد؟ ـ لمحة خاطفة عن شعر الكرخي المكشوف ـ

في ظهر يوم ٢٧ تموز ١٩٤٩ م اجتمع في (نبع الباروك) بلبنان، على مائدة الغداء، الأساتذة أمين المميز، وأكرم أحمد ـ شاعر الشباب ـ والشاعر اللبناني شاهين، والشاعر (تلحوق) زميل المميز في الجامعة الأمريكية ببيروت، وقد جرت مناظرة ارتجالية بين أكرم وشاهين، سجلها المميز في مفكرته، ثم نشرها عام ١٩٨٥ م في كتابه القيم (بغداد كما عرفتها)، ولطرافتها وعلاقتها بموضوع كتابي هذا، فقد وجدت ـ بعد الاستئذان ـ ضرورة نشرها هنا، إتماماً للفائدة.

أكرم:

في ظلال (الباروك) قد جمعتنا ... ساعة للزمان تفضل عمرا
أطلقت أرضه فكانت سماءً ... من بدور الشباب بدراً فبدرا
قد رأينا وقد نزلنا عليهم ... أدباً عالياً وخلقاً أغرا

شاهين:

في ظلال (الباروك) ضيف كريم ... من بلاد العراق ينظم شعرا
كان لطفاً وكان وحياً إلينا ... قد حملناه في المشاعر فخرا
لم يكن ظالماً ولكنْ بليغاً ... جعل الصحب في المجالس أسرى
إن يوماً بقربه وحماه ... قد حسبناه في الحقيقة عمرا

أكرم:

في ظلال (الباروك) طيرٌ يغني ... بقصيدٍ يغادر النفس سكرى
نغمات إذا وعتها الندامى ... خلت هاروت جاء ينفث سحرا

شاهين:

يا فتى الرافدين منك شعوري ... كان عفواً وليس عمداً وقسرا
إن من أنجب (الزهاوي) يوماً ... زف أهل الينبوع بحراً وبرا
كان موت (الجميل) طيباً لحسنٍ ... فغدت روحه بـ (أكرم) نشرا

أكرم:

سلام أيُّها الشادي ... لإخوانك في الوادي
لقد هيجت (شاهين) ... أحاسيسي بإنشادي
إلى أبناء (لبنان) ... تحايا أهل (بغداد)

شاهين:

ولولاكم لما غنَّى ... حيال الأخضر الهادي
له في وصفكم شنف ... شدا في وصفه الحادي

أكرم:

أدر لي الكأس يا ساق ... فقد طاب لي الأنس
وغنِّ الشعر إهزاجاً ... بها تنشرح النفس
وساجلْ صبية الحي ... لهم في حيهم عرس

شاهين:

ربة الشعر ألهميني بيانا ... ذا حنانٍ ونفسي عن جناني
ألهميني بلاغة (المتنبي) ... أوهبيني عذوبة (لابن هاني)

أكرم:

الأغاني يا طيب هذي الأغاني ... هدهدت لذتي وغذت جناني
الزمان الظنين جاد بيوم ... سوف يبقى تاجاً لكل زمان

❀ ❀ ❀

سئل الكرخي عن اللقب الذي تحمله الراقصة والمغنية سليمة مراد، فأجاب: إنَّه ليس من تلك الألقاب التي ألغيت، فحسبما أعلمني الشيخ محمد

سعيد بن الشيخ خزعل ـ أمير المحمرة سابقاً ـ عندما كنت في البصرة، بأن طيراً كاسراً يعيش في إيران، ويأكل اللحم والطيور الصغيرة، يطلق عليه اسم (باشه) وهو اللقب الذي كانت تُعرف به أمها.



لمحة
عن شعر الكرخي المكشوف(*)

كان الحديث عن شعر الكرخي المكشوف لا يدعو الهمس في الآذان بين الخاصة، واللصيقين بالشاعر من الأصدقاء والمقربين، ثم تطور إلى تبادل الأبيات المتيسرة، التي وردت على ألسن الرواة، بعدها أخذت بعض اللمحات تنشر عنه هنا وهناك في الصحف والمجلات المحلية، ولعل أبرز إشارة إلى هذا اللون الشعري السائغ، تلك التي وردت في (تيار) الأستاذ مهدي القزاز، المنشور في هذه الصحيفة بتاريخ ٢١ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ حيث قال من جملة ما قاله: (.. وهناك عدد كبير من قصائد الكرخي ستبقى تتداولها الألسن وتترنم بها الشفاه وتنتقل بين الأشخاص، وهي تراث يمثل لوناً صريحاً من ألوان الشعر الشعبي، ولا أدري لماذا التحرج من نشر هذه القصائد الصريحة وأمثالها كثيرة في كتب الأدب الأخرى مليئة بأفضح ألوان الشعر، تعتبر قصائد الكرخي بالنسبة إليها على غاية من الحياء).

وفي اليوم الثاني، التقيت جمعاً من الإخوان في مقهى (الزهاوي)، فابتدرني الأخ (العروضي) المعروف، حكمت فرج البدري بالسؤال: ما هذا الذي تحدّث عنه القزاز في (البلد) صباح أمس؟ فأجبته بما أشفى غليله وأرضى فضوله.. عندئذ فكرت في أن أكتب شيئاً في الموضوع يقصد التعريف والإفادة، وتنوير أذهان الناشئة من الذين لم يدركوا عصر الشاعر، ولم يسمعوا شيئاً من شعره السافر، وهي بلا شك خدمة وإفادة مراعياً فيما

(*) نُشِرت في جريدة (البلد) لصاحبها الأستاذ عبد القادر البراك بتاريخ ٢٦/٥/١٩٦٧.

أكتبه حدود النشر المسموح به.

الكرخي كتب كثيراً من الشعر المكشوف ينتظم في نيف وستين قصيدة بمختلف المواضيع والأغراض. وما تزال هنا وهناك بعض القصائد مخزونة في الصدور الحافظة والقراطيس القديمة البالية، نحن الآن نتعقبها ونلاحقها من أجل جمعها وصيانتها من التلف والضياع. وهي بمجموعها الحالي تكون ديواناً مستقلاً يضاف إلى دواوينه المطبوعة والتي ستطبع فيما بعد.

هذه القصائد تعالج مواضيع عديدة، أبرزها:

أ ـ وصف الجنس. ب ـ التفريج الجنسي بشتى الوسائل الطبيعية والشاذة. جـ ـ الحياة الناعمة التي يحياها السماسرة وغيرهم من المحسوبين على ملاكهم. د ـ استعراض لأشهر المواخير والمباغي العامة مع ذكر أسماء المشاهير في هذا الحقل. هـ ـ صدى الإجراءات الحكومية المتخذة في العهود السابقة ضد البغاء والمباغي وانعكاسها في الشعر. و ـ وصف دقيق للشذوذ الجنسي على اختلاف أشكاله، وحتى الحيواني؟! منه. ز ـ الهجاء المبطن بالتورية والتلميح، والهجاء المقذع السافر، الذي انتشر كالأمثال السائرة على كل شفة ولسان.

لقد اطلع على هذا الشعر ورعاه في الماضي والحاضر كثير من أرباب الذوق الأدبي والحس المرهف، الشاب والشيخ، الأمي والمثقف، المُسدَّر والمُعمَّم، وراحوا يرددونه في مجالسهم الخاصة بشوق وتلذذ واعتزاز واستمع إليه، وأعجب به، يتلى على لسان قائلة، عدد من شيوخ الأدب والشعر كالرصافي و المدرس ونوري ثابت (حبزبوز) والصراف، وغيرهم وأجمعوا على إنه يمثل واقعاً وتأريخاً، وإنه ألذ وأمتع من شعره المنشور، وقد أشاروا إلى ذلك صراحة فيما كتبوه في مقدمة دواوين شعره. فالرصافي يقول (.. وشعره (المسموع)! إذا هو أنشده..) والمدرس يقول: (... إذا ما ساعدت الأقدار على نشر ما (طوي)! منه...) فما هو (المطوي)؟ وما هو (المسموع)؟ إنَّه بلا شك، هذا الشعر المكشوف الذي نتحدّث عنه بإيجاز الآن. وهناك إلى جانب هذه النخبة الصالحة من الشعراء والكتّاب، العديد من الهواة والرواة والحفظة، الأحياء منهم والأموات وعلى رأسهم جميعاً الأستاذ قاسم العلوي المحامي، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر السادة: إبراهيم زهدي كتخدا زادة، شهاب الدين الكيلاني، عبد الملك الخضيري، خيري الهنداوي، فائق توفيق، أكرم أحمد، مصطفى الدفتري، عدنان رؤوف، سالم الألوسي، هاشم الرجب وأخوه

شيخ الوراقين قاسم الرجب، شريف يوسف، عبود الشالجي، جميل الشواف، عادل عوني، محمد القبانجي، يوسف عمر ورشيد القندرجي.. وغيرهم.

هناك عدة مصادر لهذا الشعر يرجع إليه هواته وعشاقه في الحال الحاضر أهمها:

١ ـ مجموعة طبعت على الآلة الكاتبة عام ١٩٥٥، تتداول الآن بين الناس. ٢)ـ مجموعة طبعت باللاينو في بيروت على حد ما ورد في (البلد) الأغر قبل أشهر، على نفقة أحد المعجبين، وزعها على أصدقائه، ولكننا لم نطلع لحد الآن على نسخة منها برغم الوعود التي كيلت لنا من بعض الإخوان. ٣ ـ شريط مسجل بصوت المغني الشاب يوسف عمر مع التخت الشرقي غنى فيه مرثية (داود اللمبه جي) الشهيرة التي لحنها بنفسه فأبدع وأجاد. هذا الشريط تتناقله الأيدي بشوق عجيب، وهو ما ينفك يدور مشنفاً الأسماع في ليالي بغداد الملاح وكان قد سجل دون علم منه في حفلة خاصة أقامها لفيف من الأطباء، ثم سجلت المئات من الأشرطة عليه، حتى بيعت نسخة منه إلى أحد المعجبين بخمسة وعشرين ديناراً، والعهدة على (أبو يعقوب). ٤ ـ الرواة والحفظة وهم كثيرون كما أسلفنا.

والحقيقة أن كثيراً من الناس متلهفون لمعرفة الشئ الكثير عن هذا الشعر، مواضيعه، عدد قصائده، المناسبات التي قيل فيها مطالعه ومستهلاته ولو شيئاً يسيراً مما يمكن نشره، لأنهم مأخوذون بما قيل ويقال عن روعة هذا الشعر، والمأخوذ المتحمس، تتجسد فيه غريزة حب الاطلاع بشكل غريب.

إلى هؤلاء كلهم، ولأجل التسجيل الأدبي التاريخي نسوق هذه اللمحة الخاطفة، عسى أن لا تمنعنا المشاغل من كتابة لمحات أخرى في هذا الباب.

حسين حاتم الكرخي(*)

(*) علمت فيما بعد أن هذه المجموعة طبعت طبعاً أنيقاً على ورق فاخر يميل إلى الخضرة في إحدى مطابع بغداد ـ دون إذن منّا ـ حصلت على نسخة منها ـ بصعوبة بالغة ـ من صديقي القمّاش إبراهيم جرجيس كرجية. وللأسف كانت تمج بالأخطاء المطبعية، كما أن أبيات القصيدة الشهيرة في هجاء الملك فيصل الأول، نشر صدرها في صفحة وعجزها في صفحة أخرى مما أفسد معانيها، وأخل بتسلسل أفكارها.

تراجم الأعلام في الجزء الأول

تراجم الاعلام في الجزء الثاني

ـــ مراجع الجزء الثاني ـــ

١ ـ مجموعة جريدة (الكرخ) ـ الملا عبود الكرخي.

٢ ـ مجموعة جريدة (حبزبوز) ـ نوري ثابت.

٣ ـ مجموعة جريدة (العندليب) ـ عبد الأمير الناهض.

٤ ـ جريدة الحوادث ـ عادل عوني.

٥ ـ ديوان محمد الهاشمي.

٦ ـ البغداديون، أخبارهم ومجالسهم ـ إبراهيم الدروبي، عام ١٩٥٨.

٧ ـ مجالس بغداد ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، ١٩٨٥.

٨ ـ بغداد كما عرفتها ـ أمين المميز ـ ١٩٨٤.

٩ ـ موسوعة الكنايات العامة البغدادية ـ عبود الشالجي ـ عام ١٩٨٢ (ثلاثة أجزاء).

١٠ ـ المجموعة الشعرية الكاملة ـ محمد مهدي البصير ـ ١٩٧٧.

١١ ـ توفيق الفكيكي ـ عبدالله الجبوري ـ ١٩٧١.

١٢ ـ أعلام العراق الحديث ـ باقر أمين الورد المحامي ـ ١٩٧٨.

١٣ ـ الأعلام للزركلي.

١٤ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة، دار الفكر، بيروت، عام ١٩٥٥.

١٥ ـ المنجد ـ لويس معلوف ـ ١٩٦٦.

١٦ ـ شموس الأدب ـ مخطوط ـ عبد الأمير الناهض.

١٧ ـ دفاتر جيب الشاعر الكرخي (٣٤٧ دفتراً) وأوراقه.

١٨ ـ مقابلات شخصية مع عدد من المعاصرين.

١٩ ـ ذكريات من الذاكرة.



فهرست الجزء الأول

فهرست الجزء الثاني

ـ من فصول الجزء الثالث ـ

- مجلس الفكيكي في الأعظمية.
- أربع عشرة قصيدة للرصافي لم يضمها ديوان.
- الدكتور مصطفى جواد وسائق سيارة أجرة.
- حبزبوز ينظم الشعر العامي.
- من ذكريات خالد الدرة.
- الريحاني في زيارة الرصافي.
- متيمر (الحلة) وطرشي (النجف).
- سعيد البدري، رواية الرصافي الثانية.
- قصائد لحافظ جميل لم يضمها ديوان.
- يا شراعاً وراء دجلة يجري.
- الرصافي وإبراهيم صالح شكر في سُرُرٍ متقابلة.
- نوادر أخرى للشاوي لم يضمها كتاب.
- ثلاث قصائد مكشوفة للرصافي.
- الزهاوي يقترح فتح مدرسة للبنات في منارة سوق الغزل.
- رأي الجواهري في الشعر الحر.
- الحبوبي: لا وجدِّي ما شربتها.
- الرصافي ومخطوطة (الشخصية المحمدية).

- خيري الهنداوي يرثي حمار أستاذه الفقيه.
- رأي عبود الشالجي في عمر الكرخي.
- من شعر المطارحات.

❀ ❀ ❀

المؤلف في سطور

- هو حسين بن حاتم بن عبود (الكرخي) بن الحاج حسين بن عباس بن سهيل بن نجم بن عبد الله بن فارس (رئيس البو طيف) من عشيرة (البو سلطان) الزبيدية، التي ترجع إلى عشيرة (الظواهر) النازحة من الحجاز.
- وُلِدَ بجانب الكرخ من بغداد عام ١٩٢٦ م.
- درس في كتاتيب الملا عباس، والملا قاسم في (علاوي الحلة) و(باب السيف) ثم درس النحو والمنطق على يد العلامة الفاضل حسين الموسوي.
- أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية في مدارس الكرخ، ثم حصل على البكالوريوس في العلوم التجارية والاقتصادية من كلية التجارة والاقتصاد العراقية عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤.
- بدأ في كتابة الشعر عام ١٩٤٠، ونشر أول قصيدة له في جريدة (الحوادث) البغدادية في العام نفسه.
- رأس تحرير جريدة عمه نجم عبود الكرخي (صوت الكرخ) عام ١٩٤٨م.
- نشر نتاجه شعراً ونثراً في الصحف العراقية والعربية (كالأديب، والصباح، والمجلة) وغيرها.
- له مجموعة من الشعر الفصيح بعنوان (أول الغيث) تقع في جزأين ـ مخطوطة ـ ومجموعة من الشعر العامي، و(ظرفاء بغداد)، ومعجم (الألفاظ العامية البغدادية) ومخطوطات أخرى.
- له كتاب بعنوان (مجالس الأدب في بغداد) وهو الذي بين يديكم.
- جمع وحقق وشرح شعر جده الكرخي، فأصدر الجزء الثاني من ديوانه عام

١٩٥٥، وأعاد طبع الجزء الأول (طبعة مزيدة ومنقحة) عام ١٩٥٦. وفي عام ١٩٦٧ أصدر الجزء الثالث منه. وفي نهاية ١٩٨٦ باشر بطبع الجزء الرابع. كما أنه جمع وحقق أجزاء الديوان الأخرى وهي الخامس والسادس والسابع، وجمع وحقق ديوانه المتضمن (شعره المكشوف).

- جمع وحقق مجاميع شعر عبد الأمير الناهض (ابن أخي الكرخي)، ونشر عام ١٩٥٥ مباراته لملحمة (المجرشة) الخالدة.
- متزوج وله ولد وثلاث بنات.

LITERARY SALONS IN BAGHDAD

مجالس الأدب في بغداد

حسين حاتم الكرخي

إنَّ الكتابة عن مجالس الأدب في بغداد، وما يجري فيها من مطارحات ومناظرات وملح أدبية، تعتبر تسجيلاً تاريخياً هاماً ينبغي أن يستأثر بعناية الكتّاب واهتماماتهم، لأنَّ هذا التسجيل سوف يبقى حياً تتناقله الأجيال القادمة فتنهل منه العبرة والمتعة والفائدة. وقد فطن إلى ذلك مؤرخو السِيَر الأدبية في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً، فعقدوا الفصول الطوال، بل كتبوا المجلدات الضخمة عن مجالس الشعر الأدب، ولعل (الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني خير سفر ضم كل طريف وملذ من أخبار أدباء العرب في مجالسهم ومناظراتهم ومنادماتهم الشيقة، وهذه مكتبات الغرب، فإنها تحفل بالأسفار القيمة والبحوث المستفيضة لمؤرخين أجلاء اختصت كلها بهذا الضرب من التسجيل الأدبي.

والظاهر أنَّ غالبية كتابنا ومؤرخي أدبنا لم يعنوا العناية الكافية بهذا المنحى الأدبي الهام، قدر عنايتهم بالنتاج الخاص بهم، وقد يعود هذا الإغضاء إلى أنهم، إمّا أن يكونوا مفتقرين إلى مادة البحث، وإمّا أنهم يعتبرون تسجيل أمثال هذه الأخبار في بحوث وتصانيف أمراً لا يتفق وروح العصر الذي يعج بالمذاهب والتيارات الأدبية المتصارعة، والتي لا مجال في ميادينها للمواضيع الكلاسيكية القديمة.

ISBN: 9953 - 36 - 053 - 7

